

عـايض القحطـاني

سَلوَةُ العَاشِق



- إذا كنت تجهل الحب وأسراره، وتريد معرفة قواعده وأصوله...
- إذا كنت تريد أن تعرف حديث العشاق ومستظرف كلامهم، ولا تعرف كيف تخاطب معشوقك أو تراسله...
- إذا شعرت فجأة بتغير حياتك، وأن نظرة تكاد تُخرج قلبك من بين ضلوعك...

فهذا هو الكتاب الذي تبحث عنه...

عـايض القحطـاني

سَلوَةُ العَاشِق

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

سَلوَةُ العَاشِق

عـايض القحطـاني

• كاتب من الكويت

يعتبر الحديث عن الحب حديثاً شيّقاً يستحي الكثير من الناس تناوله علناً، وأنك لترى الناس لا يتكلمون عنه ولا يتناقشون فيه إلا سراً وكأنه من المحظورات. والسبب يعود ببساطة لأن الكثيرين يرونه من جانبه المظلم، فكانت ردة الفعل موازية لزاوية النظر التي سقطت عليه. لكن هذا العمل، «سلوة العاشق» أعلن فيه المؤلف ثورة إيجابية تطالب بالتسامي بعاطفة الحب التي أوشك أن يخبو وميضها مع صخب الأحداث التي يمر بها العالم الحديث.

عاطفة الحب، العاطفة التي تغير مجرى حياة كل إنسان بمجرد وقوعه فيها، وتقتحم عليه فجأة وتغير كل ما اعتاد عليه في حياته اليومية. عاطفة الحب التي تضع في كل إنسان بمجرد وقوعه فيها رغبة عارمة في البوح، رغبة في إخراج كلمات بسيطة لمن حوله، يقول لهم وبكل صراحة يا ناس، أنا أحب ولي حبيب يعشقني!

ضم فيه المؤلف قصصاً رائقة، وأحاديث محبين، جمع فيها بين الحديث والقديم وجعل من هذا العمل «سلوة العاشق» فسيفساء أدبية، يستمتع القارئ بمجرد مشاهدته لها، استخدم فيها طرحاً علمية دقيقاً باستقراءات من أناس متخصصين، وتجارب آخرين، ليخبرك أن ما تعيشه مع نفسك من حالة عاطفية طرأت عليك للتو، قد ذاقها الأولون بجميع صفاتها، وأنه يوجد من حولك من يخفي عنك أيضاً ما تعانيه لنفس السبب الذي جعلك تخفي مشاعرك أنت فلا تتكلم عنها!

ISBN 978-9953-87-254-4
9 789953 872544

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102
بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+)
فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

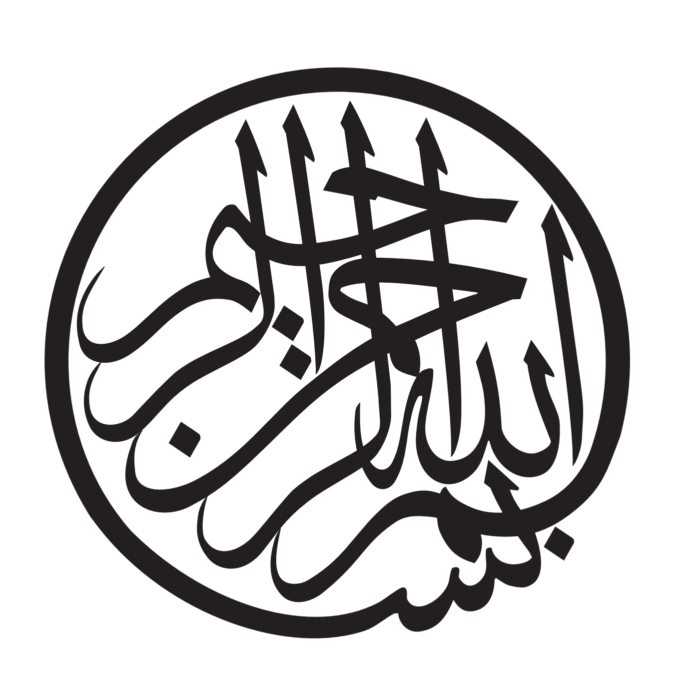
Spine: 11.5 mm

CyanMagentaYellowBlack

سلوة العاشق

«الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف»

حديث شريف


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

من المضحكات أن روائي ألماني من أصل تشيكي حينما صدرت أول رواية له وسعد بها كثيرا اشترى منها عشر نسخ ووزعها فخورا على أصدقائه وأقاربه وبعد بضعة أشهر اتصل بالناشر يسأله عن توزيع كتاب الرواية فأجابه بأنه لم يوزع سوى عدد ١١ نسخة منها النسخ العشر التي اشتراها المؤلف، وإذا بالمؤلف ينشغل لفترة من الوقت بشيء واحد وهو أن يعرف شخص القارىء الوحيد لروايته وراح يسأل عنه في كل مكان دون أن ينجح في التوصل اليه!

عزيزي العاشق، أقصد القارىء، هذه هي الطبعة الثانية منقحة ومزيدة من كتاب «سلوة العاشق» بعد صدور الطبعة الأولى في عام ٢٠٠٤ لتصحح ما لم يستدرك في الطبعة السابقة، وما هذه إلا خطوة أخرى لتضع «سلوة العاشق» في موقع يليق به، ليسجل حضوره بفاعلية ونشاط، ليوجب على من لم يقرأه ندما، وعلى من يقرأه حبا وتقديرا.

إن من أهم عوامل الأمل التي تجعل الكاتب يكتب ويبدع وينتج حتى لو لم يجد رد فعل كان يتوقعه، هو أن يعلم أنه لا بد لجيل من الأجيال القادمة أن يقدر الإبداع والابتكار الذي يأتي به، ومن الجميل أن تكتب كلمات وأنت تعرف أن شخصا ما بعد عشرات إن لم تكن مئات السنين، سيقرأ ما تكتب ويتساءل عن ظروف وأحوال الحياة المحيطة بك.

من قصص الخيال المؤثرة أن مجموعة من الضفادع كانت تقفز مسافرة بين الغابات لمسافات بعيدة، وفجأة وقعت ضفدعتان في فوهة عميقة. تجمع جمهور الضفادع حول الفوهة، ولما رأوا مدى عمقها صاح جمهور الضفادع، بالضفدعتين اللتين في الأسفل أن حالتهما ميئوس منها وإنه لا فائدة من المحاولة.

تجاهلتا الضفدعتان تلك التعليقات، وحاولتا الخروج من تلك الفوهة بكل ما لديهما من قوة وطاقة، واستمر جمهور الضفادع بالصياح بهما لكي تتوقفا عن المحاولة لأنهما ميتتان لا محالة.

أخيرا انصاعت إحدى الضفدعتين لما كان يقوله الجمهور، وحل بها الإرهاق واعتراها اليأس، فسقطت إلى أسفل الفوهة متعبة ميتة. أما الضفدعة الأخرى فقد استمرت في القفز بكل قوتها، واستمر جمهور الضفادع في الصياح بها

طالبين منها أن تضـع حدا للألم وتستـسلم لقضائهـا، ولكنها أخذت تقـفز بشكل أسرع وأقوى حتى وصلت الى الحافة ومنها إلى الخارج وسط دهشة الجميع.

عند ذلك سألها جمهور الضفادع: هل كنت تسمعين صياحنا؟!

شرحت لهم الضـفدعة أنها مـصابة بصمم، لذلك كـانت تظن وهي في الفوهة انهم يشجعونها على إنجاز المهمة الخطيرة طوال الوقت!

بهذه القصة ذات المغزى، لا يسعني ألا أن أنحني احـتراما وتبـجيـلا أمام كل كلمة تشجيع وموقف إطراء حصلت عليه بعد صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب.

في هذه الطبـعة الثـانيـة للكتاب تمـت إضـافـة بعض الفـصول أهدي لكم منهـا فصل «ملكة الليل» والسلام.

عايض حمد القحطاني

٢٠٠٧

المحتويات



مقدمة

منذ أن بدأت مرحلة الدراسة الجامعية وأنا أريد أن أكتب يوما من الأيام كتابا أضع فيه أحاديثي مع نفسي وخواطري على مشاهداتي. وكنت قد تمنيت أن أنجز ذلك الكتاب قبل أن أتخرج. لكن الظروف لم تأت على هواي وكان في ذلك خير. ففي أسبوع التخرج وقفت مع رجل حكيم أحادثه وأنهل من تجاربه، وأخبره عن تخرجي وفرحتي، وعن شوقي إلى إنجاز الكتاب الذي لم اختر موضوعه بعد، فبدأ بتوجيهي ووقفت أتأمله وما يقول وقد خط الشيب عارضيه والذكاء يشع من عينيه، وتابع يحدثني ويقول:

بني، هناك أمور لا يعرفها الإنسان حتى يتخرج وينهي دراسته، وهناك أشياء لا يحسها المرء حتى يتزوج وتكون له عائلة، وهناك خفايا لا تظهر له حتى يبلغ الأربعين. بني، كن عظيما والزم معالي الأمور!

كان لتلك الكلمات وقع السوط على قلبي، ففيها أسرار وخفايا أحببت دائما أن اكتشفها. أسرار الحياة، أسرار العالمين، أسرار النفوس، كل ذلك استهواني وأخذ تفكيري.

ومع ذلك لم تزل فكرة الكتاب راسخة في قلبي وشغفي بالمطالعة يدفعني إلى ذلك حتى اهتديت إلى موضوع الحب والعشق الذي انطلقت شرارته من نظرة جعلتني أقرأ في هذا الموضوع جل مراجعه وأصنف فيه هذا العمل.

لأخرجن من الدنيا وحبهم

بين الجوانح لم يشعر به أحد

ولا يجنح بك تفكيرك:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة

ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها

ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

واعلم أني لم تصبني مصيبة

من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

ولست بماش ما حييت لمنكر

من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي

وليسقط القلم إذا لم يفتح فكرا، أو يضمد جرحا، أو يرقأ دمعة، أو يطهر قلبا، أو يكشف زيفا، أو يبني صرحا من الحب يسعد الإنسان في ضلاله.

الحب حرفان حاء ثم باء

تعبت في معانيها الأحباء!

هذا العمل الذي أريده أن يكون للسلطان بستان، وللعاشق سلوان، وللمحب صديق، وللمهجور نجوة، وللنديم قهوة، وللناسي تذكرة، وللأعمى بصيرة، وللشاعر المجيد بيت القصيد، وللأديب الماهر مثل سائر، وللمحدث قصص، وللحاسد غصص، وللفقيه تنبيه.

وكما أن للحب شجون، فإن له شؤون، وكما له آهات فإن له متطلبات، ولا يخطر ببالك أن عندي لك الشفاء، تلتمس مني الدواء لأن:

كل داء له دواء، وداء

الحب يا صاحبي داء دفين

ففي كتابي هذا سترى أنني أمدح العشق ثم أذمه، وأعطيك ترياقه وهو يا صاحبي سمه!

في هذا العمل ستجد حدائق ذات بهجة، ستجد فيه نكاتا رائقة، وأبياتا فائقة. ستجد شموع تحترق وشموع تتقد، أطوف بك فيه شتى البلدان ومختلف الأزمان، أحدثك فيه عن القديم وعن الحديث، عن حب العربي وعن حب الأعجمي.سأتحدث وأثير في نفسك مثل ما يثار في نفسي، نعيش معا لحظات من التعاطف والتناغم والمشاركة الوجدانية، نجعل في عملنا هذا للمحب الحزين إمتاع ومؤانسة، وتوجيه بأسلوب غير مباشر.

واعلم أنه لم يشرع أحد في التأليف عن الحب أو العشق، إلا وهو ينفس في كلماته عن واقع عايشه، وهوى مكبوت قد كتمه. ويطمح إلى اكتساب أعظم قدر من القراء إذ يعرف ما لهذا الحدث من سحر جذاب وبهاء خلاب.



فكم من صـاحب مكتبة سـألته عمـا يملكه من كتب فـي هذا الموضـوع إلا أجابني بعد تنهيدة قصيرة أنها في الرف الفلاني!

وإذا صـادفـتك كلمـة الحب فـي هذا العـمل فـاعلم إنه حـب الروح وهو العشق، فـلا تخـتلط عليك المفـاهيم فـأنت في حـيرة من أمر العـشق بما فـيه الكفاية!

خــذها هكذا تجــري علـى قــدر

لا تفـسـدنهـا بـرأيٍ منك نـاقص

فلا تتعب نفسك في المصطلحات فسـتتضح لك الأمور، فهيئ نفسك الآن، واعتـدل في جلسـتك، فـأنت على وشك قـراءة أحـرف من ذهب، وتجـارب آخرين ربما تعيشها في أي لحظة!



ماهية العشق

منذ بدأ الإنسـان بتـعلم اللغـة ونطق بـالأحرف، كـانت الأحـرف تعـبـر عن شـعـور ينـطلق من إحسـاس داخلي ورد فـعل لعـامل خـارجي. ثـم جُـمعت الأحرف ووضـعت في كلمات. وتطور النطق واجتـهدت البشرية بتـوفيق من الخالق سـواء عن طريق الأنبيـاء أو غيرهم وأصـبحت اللغـات كثـيرة والعلوم بهـا قطعت الشـوط الكبـيـر. من ذلك المنـطلق، كـان لبـعض الكلمـات في اللغـة العربية مدلول حسـي يصف الحالة النفسية للمتفوه بالكلمة.

فلو تسـاءلنا لماذا العـرب اخـتـارت كلمـة الحب أو "حب" لتـعبـر عن حـال المحب. أعنـي لماذا حـرف الحــاء والبــاء. بعـد التــأمل فـي هذين الحــرفين ومخـارجهما، يتـبين أن حرف الحـاء يخرج من لب القـلب "حا...حـا" مرورا بالحنجـرة ثم ينـتـهي بالشـفـتين مـغلقـتين "ب..ب" لـيـعـبـر عن الحـالة التي يعيشـها المحب من الهيام والوله" حب.... حب ".

الحب...ذلك الحدث الذي يدهش الإنسـان حـقـا ويجـعله يتـغـيـر بمجـرد وقوعه فـيه. والحب كلمة عامة وهو نوعـان، حب العقل وحب الروح. أما حب العـقل فهـو أن يحب الإنسان الله سـبحـانه وتعـالى ورسوله صلى الله عليـه وسلم ثم أهله وأصـحـابه وخلانـه وغيـرهم. وأمـا حب الروح فيندرج تحتـه العشـق وهـو موضـوعنا. وكما قـال الجاحظ كل عـشـق يسمى حبـا وليس كل حب يسـمـى عـشـقـا. وقد سـئل أحـد الحكمـاء عن عـاشق غـشي عليـه لما رأى معشـوقته ماذا أصابه؟ فقـال الحكيم نظر إلى من يحب فانفرج قلبه فـتحرك الجسم لانفراج القلب فقيل له: نحن نحب أهالينا ولا يصيبنا ذلك؟!

فقال الحكيم: تلك محبة العقل وهذه محبة الروح.

والكلام عن العاشق كلام شائق، لهذا صنف الأولون الحب إلى مراتب كثـيرة منها العلاقـة ثم الصبابة ثم الغرام ثم العشق ثم الجوى والصـبوة والصبابة والشـغف والوجد والشوق والخلابة واللوعة والفتون والجنون والود والخلة والـغرام والهـيـام والوله وآخـر ذلـك: التـتيـم وهو التـعـبـد للمـعشـوق فـيصـير العـاشق عبدا لمعشوقـه وهذا هو المحـرم الذي يدخل صـاحبه في الشرك.

والفـرد منا لا بد أن يمـر بنوع من الحب بالمعنى الشـمـولي له. يقـول ابن القيم الجوزية، للعاشق ثلاثة مقامات، مـقام ابتداء وتوسط وانتهاء. أما مقام

الابتداء فالواجب عليه مدافعته بكل ما يقدر عليه إذا كان الوصول إلى معشوقه متعذرا قدرا وشرعا. فإن عجز عن ذلك وأبى قلبه إلا الوصول إلى محبوبه وهذا مقام التوسط والانتهاء معا فعليه كتمان ذلك وألا يفشيه إلى الخلق ولا يشمت بمحبوبه ولا يهتكه بين الناس حتى يقضي الله أمرا كان مفعولاً[(١)].

فالرجل والمرأة أي منهما، لن يعرف الحب، إذا آثر المادة على القلب، والمصلحة على العاطفة، والشهوة على ضبط النفس والإخلاص والوفاء لإنسان واحد عزيز ومختار. وكل من يحب شخصا لماله أو جاهه أو لمصلحة ما، فإنه لم يعرف بعد معنى الحب. لأن الحب الحقيقي هو حب الآخر لذاته!

والدليل على ذلك، أنك ترى الفتاة الجميلة عندما تقع في الحب فإنها تجعل من محبوبها ملاكا حتى وإن كان شخصا عاديا. فهاهي إحدى شخصيات رواية "مرتفعات وذرنج" تقول "إنني لأهوى الأرض التي يدوسها بقدميه والهواء الذي يتنسمه، وكل ما تلمسه يداه، وكل ما تنطق به شفتاه، اجل إنني أهوى كل نظراته وكل حركاته، وأنا أحبه بأكمله حبا جما، حبا كاملا غير منقوص"

وربما كان الحب اخطر حدث في حياة الإنسان، لأنه ما أن نجربه ونقع في شراك العشق حتى نشعر بأن العالم نفسه قد تغير من حولنا، هذا إن لم نشعر أننا نحن انفسنا قد تغيرنا.

نعم، أنا أتحدث عن تلكم القشعريرة المقدسة التي تستولي على قلب الإنسان حين يلتقي لأول مرة بتلك الذات التي سوف تنتزع منه خصوصيته ويحدث الائتلاف في أسمى صورة عند الزواج.

فمن منا لا يذكر التأثير والوقع العميق لتجربة التلاقي لأول مرة، وكيف جاءت تجربته الأولى في الحب فأحس كأنما استيقظ من سبات عميق ورأى العالم كأنما ولد من جديد.

يقول ابن حزم عن الحب" دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة. وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل".

---

(١) بتصرف من كلام ابن القيم الجوزية.



أنا أتكلم عن تلك العاطفة الإنسانية التي تنقدح شرارتها بمجرد التقاء الذكر بالأنثى. فينشأ بعدها إما علاقة ووصال، أو حدث و فراق.

يقول عنه ثمامة في مجلس المأمون: " العشق جليس ممتع، وأليف مؤنس، وصاحب ملك مسالكه لطيفة، ومذاهبه غامضة، و أحكامه جائرة، ملك الأبدان و أرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون و نواظرها، والعقول وآراءها، وأعطي عنان طاعتها، وقوّد تصرفها، توارى عن الأبصار مدخله، وعمى في القلوب مسلكه. "

ويزيد على ذلك الأصمعي: "إذا تقادحت الأخلاق المتشاكلة، وتمازجت الأرواح المتشابهة، ألهبت لمح نور ساطع، يستضئ به العقل، وتهتز لإشراقه طباع الحياة، ويتصور من ذلك النور خلق خاص بالنفس، متصل بجوهريتها، يسمي العشق. "

الحب لا يأتي من فراغ. إنه نتيجة لتحول جذري من مجرد الشعور بالذات إلى الشعور بالجماعة. حينما يندمج الشريكان في نفس واحدة، تتغير نظرتهما للحياة من حولهما، وبدلا من مجرد محاولة التقرب من بعضهما البعض، فهما ينسجان خيوط حياتهما سوية ليخلقوا منها نسيجا واحدا متجانسا. يقول عنه أحد الأعراب، الحب خفي أن يرى، وحليٌّ أن يخفى، كامن ككمون النار في الحجر، إن قدحته أورى، وإن تركته توارى.

وتجيب العجوز الحكيمة في رواية " ممو زين " للشاب تاج الدين تصف له الحب: (هو مرض يا بني لا أذاقك الله إياه يسرى من الالحاظ ويسلك طريقه في الالحاظ... ثم يتخذ مستقره في القلوب. هو في أول أمره رعدة في المشاعر، ودقات بين ألواح الصدر، وتلون ملامح الوجه. فإذا نما وترعرع فهو برق يستعر وميضه في الأحشاء، تتلظى الجوانح بناره من غير لهب، ويشوى الفؤاد في وهجه من غير جمر، فإذا استقر وتمكن فهو نهش وفتك لسويداء القلب، يجرحه بلا مبضع، ويمزعه من غير سنان. فهناك يشحب دمه منهمرا من العينين، ويذوب الجسم بين بوتقة الحشا وزفرات الصدر. وهناك لا يغني الطبيب ولا عقاقيره ولا يجدي سوى أن تتضام الروح وتطفأ النار ببرد الوصال).

عندما يلتقي شاب وفتاة لأول مرة دون سابق معرفة أو موعد كما قد يحدث لكثير منا الآن، ويشعر كل منهما أن هناك حواجز عظيمة قد تحطمت

من أمامهم، ويشعر كل منهما بانجذاب رهيب نحو الآخر، ويحس كل منهما بأنه خلق للآخر، **هذه اللحظة** المدهشة، إنها لحظة من أسعد اللحظات، إنها أكبر حدث في حياة كل منهما. إن معنى هذه اللحظة يكاد يكون معجزة يصعب تصديقها، وخصوصاً بالنسبة للإنسان الذي عاش وحيداً محروماً من الحب. لا أعلم إن كنت قد جربت لحظات كتلك، لكن أعرف أنني أحدثك عن مشاعر حقيقية تعيشها كخيال، حدث تعيشه وكأنك بدأت حياة جديدة، إحساس مختلف، الحياة من حولك ربيع مكسو بالزهور والفراش، التحاق بقافلة العشاق وكأنهم لم يغادروا ينتظرون مجيئك، تشعر انك تطير والآخرون من حولك يمشون، مغناطيسية لذيذة في اتجاه شخص جديد في حياتك، اندفاع روح إلى روح، تشعر أنك تحيا بالفعل وأنك إنسان. فيه غموض يحيط بكينونته يعد أحد أسرار عظمته وروعته. يقبل كالأسد وينصرف كالحمل، في ساعاته أجنحة وفي فراقه مخالب.

جاءت تسائلني؟ لو وصفت لنا الهوى

لعل الذي لا يعرف الهوى يعرف

فقلت لها يائسا وقد ذقته

والله ما أدري كيف الهوى يوصف



علامات العشق

العشق يأتي من إدمان النظر وكثرة المخالطة وطول الحديث.لذلك قال الشاعر يلوم عينيه على ما أورداه في العشق:

تمتعتما يا مقلتي بنظرة

وأوردتما قلبي أمرّ الموارد

عينيّ كفا عن فؤادي فإنه

من الظلم سعي اثنين في قتل واحد

أول الحب عند الرجل الحياء، وأوله عند المرأة الجرأة، وعلامات العشق كثيرة تكلم عنها الأولون كثيراً، لكن يبدو أن أحسن من وصف علامات الحب والعشق هو ابن حزم في طوق الحمامة عندما قال إن إدمان النظر هو أول علامات الحب، ثم الإقبال بالحديث مع المحبوب، ومحادثات الهاتف والمقابلات ذات الطابع السري تندرج تحت ما قاله ابن حزم في الإقبال بالحديث مع المحبوب. ثم يواصل ابن حزم الأندلسي الحديث ويقول، إن من علامات الحب أيضا الإسراع إلى السير نحو المكان الذي يكون فيه المحبوب، وتعمد الدنو منه، وروعة تبدو على المحب عند رؤية من يحب فجأة. والاضطراب عند سماع اسمه فجأة. والميل إلى الوحدة والأنس بالانفراد. فضلا عن السهر ونحول الجسم والقلق.

وعني خذ:

- إذا أصبحت كثير التثاؤب والتمطي والسرحان...فأنت عاشق.
- إذا أصبحت ترسم صورة من رأيت في محاضراتك واجتماعاتك وأوقات أعمالك ثم تبدأ بالتحدث مع نفسك...فأنت عاشق.
- إذا أصبحت تحب الليل والسهر والقمر...فأنت عاشق.
- إذا أصبح الورد والبريد والهاتف أمور مهمة بالنسبة لك...فأنت عاشق.
- إذا أصبحت تميل إلى العزلة وتحب الانفراد بنفسك...فأنت عاشق.
- إذا أصبحت تحس بخفقان قلبك عند سماع رنة الهاتف، وتشعر أنه يرن وهو لا يرن...فأنت عاشق.

* إذا أصبحت تطيل الوقوف أمام المرآة...فأنت عاشق.

* إذا أصبحت تهتم بجمال هندامك بشكل ملحوظ...فأنت عاشق.

* إذا أصبحت تسهر الليالي وتعد الساعات بعد أن كنت تنام بعد العشاء...فأنت عاشق.

* إذا أصبحت تهتم بالشعر والنوادر ومستظرف الكلام بعد أن كنت تهتم بدروسك و عملك...فأنت عاشق، إذا كنت تبتسم أحيانا من غير سبب...فأنت عاشق.

* عندما يكون الصمت جزءا من حديثك...فأنت عاشق.

* إذا شعرت فجأة بتغير حياتك، ومن نظرة أن قلبك يكاد يخرج من ضلوعك...فأنت عاشق.

عندما تقع في الحب، تشعر بتغير ما يحدث بداخلك، شيئا يقلب كيانك، يقلق نومك، يذهلك، هاجس لطيف، يجلب لك صورة الإنسان الذي رأيت ماثلة أمامك، تشعر بحالة تقلب شديدة من الرقة، خفقان في القلب، تركيزك لم يعد كسابقه، حياتك طرأ عليها شيء جديد. تصبح كل الاهتمامات الأخرى ضئيلة أمام رؤية المحبوب والتواجد معه، أيا كان عمرك تشعر انك طفل ومراهق.

والحبيب يعرف حبيبه من نظراته، والعشق ليس سيئة أو آفة بذاته بل بالعكس فإن له فوائد ومنافع، منها أنه يرقق الطبع ويعين على فعل مكارم الأخلاق وقيل أن العشق داء أفئدة الكرام. ولاحظ أن العشق الصحيح لا يصلح إلا لذي مروءة طاهرة وخليقة ظاهرة أو لذي لسان فاضل وإحسان كامل أو لذي أدب رفيع يحبه الناس ويألفوه. وقد يصفي العشق ذهن الغبي و يسخي كف البخيل!

يقول ابن حزم: ومن الحب ما يغير ما بالنفوس من طبائع طبعت على القلوب، فكم من بخيل جاد، وجبان تشجع، وغليظ طبع تطرب، وجاهل تأدب، وفقير تجمل، وكبير السن تصابى.

والعشق الذي نأمل أن يفهم من حديثنا هنا هو العشق العفيف من الرجل الظريف والفتاة المتعففة الذين يأبى لهما إيمانهما ودينهما وعفتهما



ومروءتهما أن يفسدا ما بينهما وبين الله بالحرام. ليس بعشق اللاهين بالحب والعابثين فيه. بل ذلك العشق الذي انطفأ وهجه مع صخب هذه الحياة.

وأشرف الناس أهل الحب منزلة

وأشرف الحب ما عفت سرائره

ومعظم العشاق ليسوا بأصحاب تقوى وهذا ملاحظ ومشاهد. يؤيد ذلك ما قيل أن رجلا كتب لعشيقته رقعة، قال في أولها، عصمنا الله وإياك بالتقوى، فكتبت إليه في الجواب: يا غليظ الطبع، إن استجاب الله دعاءك لم نلتق أبداً!

لكن قد يبتلى المرء فلا يصبر، والنفوس البشرية دائمة التعرض للحب، ولا سبيل لها لرد ما قدره الله لها من عاطفة، وبعض تلك العواطف تخمد كما يخمد لهب القش، وبعض تلك العواطف تبقى خالدة متوهجة.

يلومونني في حُبِّ سلمى كأنما

يرون الهوى شيئاً تيممته عمدا

ألا إنما الحُبُّ الذي صدّع الحشا

قضاءٌ من الرحمن يبلو به العبدا

وقد شكا جحافل الفرسان من العشق وتداعياته مع ما هم فيه من علو الهمة وصلابة الجأش. وكما أن للعشق محاسن فإن له مساوئ أيضا. فهو ينقص من علو الهمة لأن صاحبه يحصر همته في الظفر بمعشوقه. فيلهيه عن حب ما هو أهم منه. لذلك قال ابن القيم الجوزية في ذلك:

" إن عالي الهمة لا يستأسر للعشق الذي يمنع القرار، ويسلب المنام، ويوله العقل، ويحدث الجنون، وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله ونفسه وعرضه، واتلف دينه ودنياه. والعشق يترك الملك مملوكا، والسلطان عبدا، ترى الداخل فيه يتمنى منه الخلاص، ولات حين مناص، وكم أكبت فتنة العشق رؤوسا على مناخرها في الجحيم " (١).

والعشق لا يمنع أصحاب النفوس العزيزة من التولي يوم الزحف. ذكر إنه في حروب المسلمين مع الروم لما وقف الجيشان برز فحل من الروم فقتل

(١) انظر «روضة المحبين» ص ١٨٢ – ١٩٠ .

سبعة من مبارزي المسلمين ثم جعل يجر رمحه ويطلب البراز فلا يبرز له أحد فلما طال ذلك على المسلمين وخافوا الهزيمة برز غلام وضيء الوجه ظاهر الجمال له ذؤابتان من ورائه فبارز ذلك الفحل فقتله ثم ابتدر إليه عشرة من فرسان الروم فقتلهم ورد جيش المسلمين الروم منهزمين. وعندما أقبل الناس على الغنائم ارتقى الغلام رابية ونزل عن فرسه وأخذت دموعه تنحدر على الأرض كالقطر. يقول الراوي فنزلت عن فرسي وذهبت إليه فقلت يا بني قد أبلى الله تعالى على يدك هذا البلاء للإسلام وأهله ألا أراك تتعرض لشيء من الغنائم وأنت من البكاء على هذه الحالة فأعلمني قصتك. فأطرق ساعة ثم انشأ يقول:

أنا في أمر رشاد
بين غزو وجهاد
بدني يغزو عدوي
والهوى يغزو فؤادي

ثم مضى ولا أعرف اسمه ولا نسبه(١). هكذا قد يبتلى المرء بالعشق فله أن يصبر حتى يبلغه الله مراده.

والعشق لا يستعجل عليه بالذم والإنكار ولا بالمدح والقبول من حيث الجملة. فقد يتمالك العاشق نفسه بعد ضياع أمله في الوصول إلى معشوقه. فيتجلد للصدمة العنيفة التي حلت به، ويطوي صدره على جراحه، ويطفئ النار التي تتوهج في فؤاده، حتى تخف اللوعة وتضمحل الحسرات، فيأتي الأجل المكتوب والله لا يضيّع أحدا.

ولقد كان الشرف عند الأوائل فوق الحب والذود عن العرض فوق الحياة. فلو قرأت من أقاصيص الحب في صدر الإسلام لسمعت عجبا عن الحب والشرف بين بنات العرب وفتيانها. ذلك أنه كان البعض منهم يذبل من فرط الهوى ويموت ثم لا يبوح باسم من يهوى خشية أن يصيبه أذى من أهله أو أن يذكر من يهوى بسوء بعده.

قرأت أن حكماء الهند يقولون ما علق العشق بأحد فينا إلا وعزينا أهله فيه. وفي "ذم الهوى" أن بعض الفلاسفة قال: لم أر حقا أشبه بباطل، ولا باطلا أشبه بحق من العشق، هزله جد وجده هزل، وأوله لعب وآخره عطب.

---
(١) ذم الهوى ٤٩٤ .



وربما كان هذا هو المعنى الذي أراد الشاعر الهندي الشهير طاغور التعبير عنه حينما قال في قصيدة له " آه أيها الحب ! ألا تحررني من وشائج عذوبتك؟ إنني لم أعد أرغب في نبيذ قبلاتك! وهذا الدخان المتصاعد من بخورك الكثيف قد أصبح يخنق قلبي. ألا ليتك تفتح أبوابك المغلقة، لكي تدع أضواء النهار تنفذ إلي...إنني ضائع فيك، أسير بين قيود حنانك ورقتك، فحررني من سحرك، ورد إلي الشجاعة، حتى أقدم لك قلبي طليقا متحررا(١).

ويخطئ البعض الذي يظن أن العشق لا يحدث إلا لحسان الوجوه. أبداً، فإن العشق أمر يضعه الله في قلب ابن آدم تحصل به الألفة " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ". والأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. ويرى علماء النفس المعاصرون: أن الحب يقوم على " التوافق " و " المشاكلة " وليس على الجمال. أي على طريقة " الطيور على أشكالها تقع "

وما الحب من حسن ولا من سماحة

ولكنه شيء به الروح تكلف

فهذا خليل الرحمن وإمام الحنفاء شيخ التوحيد سيدنا إبراهيم عنده سارة من أجمل نساء العالمين ومع ذلك حب هاجر وتسرى بها. ولا يوجد هناك امرأة قبيحة أو رجل دميم، إنما توجد امرأة لا تعرف كيف تجذب الرجل ورجل لا يعرف كيف يشد المرأة!

وفدت بثينة صاحبة جميل على عبد الملك بن مروان فقال لها: ما رأى جميل فيك حين لهج بذكرك بين النساء كلهن؟ قالت: الذي رأى فيك الناس حتى جعلوك خليفة من بين رجال العالمين! فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها وأجزل جائزتها وقضى حاجتها.

لي صديق فيه من الجمال قليلا من الشيء، يحدثني مرة ويقول: هل تعتقد أن من النساء من ستجبر بي أو تميل إلي؟!

فقلت له ممازحا: مع غلاظة طبعك لا أعتقد ذلك!

فقال: والذي لا إله إلا هو لقد رأيتني وفتاة تترجى في أن أكون لها عشيق وأنا آبى لها ذلك واستحلفها ألا تكرر طلبها. بل ليتك رأيتني عندما أعلنت

---

(١) مشكلة الحب ص ٢١٩ .

فتاة أخرى يأسها مني بعدما زهدتها بنفسي وشرحت لها مفهوم الحب وخطورته وأني لا أريد تعذيبها معي في لجج الهوى.

احترمت صديقي بعد ذلك وذهبت أستشيره في أمور الحب والغرام لسعة اطلاعه وثقافته مع ما به من طبع غليظ!

من أجمل ما قرأت عن تفاوت درجات الجمال بين المحبين أن شابا في ألمانيا يدعى "مندلسون" كان قبيح المنظر ولم يكن كذلك فقط بل كان احدبا أيضا منذ ولادته.

التقى هذا الشاب في إحدى المرات تاجراً في هامبورغ وبرفقة التاجر ابنته الجميلة "فرومتي" فتعلّق مندلسون الشاب بالفتاة ولكن لم يجرؤ أن يبوح لها بما في قلبه. فلمّا حانت لحظة الفراق بعد أن عزمت على الرحيل لم يجد نفسه إلا أمام غرفة فرومتي بكل جرأة وهو يحدثها، وعرض عليها الزواج فأبت ذلك دون تردّد وأعرضت بوجهها عنه وعلى وجهها علامات استغراب واضحة على جرأة شاب قبيح أحدب يطلب يد فتاة جميلة ذات منزلة اجتماعية.

عندما شاهد مندلسون كل ذلك بادر الفتاة "فرومتي" بالسؤال:

هل تؤمنين بأن عقد اقتران إنسان بآخر قد أبرم في الجنان قبل ولادتهما؟

قالت فرومتي بتثاقل واستنكاف: نعم، أعتقد ذلك ! لتؤكد استنكارها لجرأته في طلبه إياها.

قال مندلسون: أنا أيضا أعتقد ذلك.. وأتذكّر أنني عندما ولدت في الجنة جاء ملك الزواج وقال من هي الفتاة التي ترغب في الاقتران بهذا الشاب الجميل فرفعت إحدى الفتيات يدها فقال لها ملك الزواج: أنّى لبنت قبيحة وحدباء مثلك أن تتزوج من شاب جميل ووسيم مثله.

فسكتت الفتاة وأطرقت رأسها خجلة.

يقول مندلسون: لم أطق ذلك المشهد في الجنة فقلت لملك الزواج أنا مستعد لأمنح جمالي وحيويتي لهذه الفتاة وآخذ منها شكلها القبيح وحدبتها حتى آخر لحظة من عمري حتى لا تكون بعد هذه اللحظة خجلة أمام أحد..!!!

عندما سمعت "فرومتي" هذه القصة من ذلك الشاب، رفعت عينيها إليه وتأملت في شكله فرأت أمامها شاباً رقيقاً وملائكياً رغم كل ما كان يعتريه من قبح في المظهر والشكل فوافقت على الزواج منه!



مراحل العشق

العشق أول ما يبدأ بنظرة إعجاب كالشرارة تنطلق بين شخصين، إعجاب بشخص نشعر بالانجذاب إليه، تخفق قلوبنا بشدة له، وترتعد أجسادنا، ويبدأ خيالنا بالجموح، ونشعر أننا مشدودين بقوة لهذا الكائن الذي يقف أمامنا.

ثم تأتي مرحلة الارتباط، عندما يتحدث الشخصين إلى بعضهم البعض ويرى كل منهم الآخر عن قرب. ولكل شخصين مرتبطين حكاية عن اللقاء الأول. الشعور الغالب في هذه المرحلة أنهما تقابلا في مكان ما وأنهما يعرفان بعضهما البعض ويشعر كل منهما بالراحة نحو الآخر.

ثم تأتي مرحلة المكاشفة، يقضي فيها العشاق ساعات طوال في الحديث خفية وبغير خفية، تكون مصحوبة ببوح لكثير من أسرار الطفولة والأحلام والوضع الاجتماعي لكل الطرفين. بالإضافة إلى سرد سريع لحياة كل الأطراف وتسقط هنا الحواجز شيئا فشيئا. تعد هذه المرحلة أولى لمسات الشاعرية في العلاقة.

ثم تأتي مرحلة التقييم، فيها يحدد الأطراف ما إذا كان الطرف الآخر هو الشخص المناسب أم لا. يبدأ في هذه المرحلة نداء العقل في التغلب على الرومانسية المتلاطمة. ويوضع المستقبل في الحسبان، قد تنتهي العلاقة هنا لكثير من الناس، وقد تستمر للبعض الآخر.

إذا استمرت العلاقة، تأتي هنا الألفة، وذلك حين تذوب كلمة "أنا" وتظهر على السطح كلمة "نحن". تتوطد العلاقة في هذه المرحلة بشكل عميق، لدرجة ألا يكون هناك حاجة إلى الحديث والاثنان معا. مجرد دقات قلب وإيقاع أنفاس وأريحية متناهية.

تتوج تلك المراحل السابقة بمرحلة الالتزام. وهو الرباط المقدس الرباني الذي هو سر الوجود وبقاء النسل. الزواج ، اللبنة الأولى في بناء صرح الوجود والرمز لاستمرار الحياة. هو الذي سيرقى بالجميع إلى ممالك الحب العليا. والعاقل الذي لا يؤمن بالحب من أجل الحب ولكن يؤمن بالحب كمقدمة للزواج.

واستمرار العلاقة إلى الأبد ليست شيئا ثابتا. و إنما هي مثل المصباح الذي يفقد وميضه الأول. هي بالأحرى مصباح يحتاج فقط لتلميع

خـارجي، حـتى يعود إلـى شكله الجمـيل مـتى مـا اعـتراه غـبـار أو منغص خارجي. أما ترك العلاقة هكذا دون أدنى مجـهود لتجديدها و إحيائها من جديد، فـيعـد ذلك خطأ فادحـا تذبل العلاقـة بسبـبه فـينطفئ نورها وتنذر بوقوع الفراق.



الحب الأول

تكلم الناس كثيرا عن الحب الأول ووصفوه عن غيره كثيرا وأنه مختلف، وله طابع يختص به عن غيره من أنواع العشق. وصدق الناس، إذ أن الحب الأول يكون فيه الإنسان أشد ما يكون من الإخلاص للمعشوق وأصدق لهجة في عباراته وذلك لطبيعة التجربة وتمكنها من فؤاده لأول مرة. وأجمل ما فيه أننا نتوهم أنه لا ينتهي. لذلك تجد أن العشاق الذين يفتنون في العشق لأول مرة يظهرون أسرارا كثيرة قد تكون شخصية أو اجتماعية تخص أحد الطرفين.

والحب الأول عادة لا ينسى أبدا. لأنه بمثابة تعلم الأحرف للصغار، ففيه رق قلب العاشق والمعشوق لأول مرة وتمكن الهيام من أحد الطرفين. فطبع ذلك في القلب لخلوه عمن سواه. وفي ذلك تصديقا لقول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ولمرحلة المراهقة النصيب الأكبر من الحب الأول لأن البحث عن معشوق في هذا السن يكاد يكون أمرا ملازما إذا لم يكن هناك ما يشغل المراهق في مثل هذا السن. فهو عندما يغلظ صوته وتبدأ قسمات الرجولة تظهر عليه وهي عندما تتفتح الورود في خديها ويعلو في صدرها نهديها، وقتئذ يكونان متعطشين بشدة إلى علاقة حب تطفي جماح الفراغ العاطفي الذي يعيشانه.

لذلك تجد إنه عندما يحصل أن يقع الحب بين شاب مجرب على سبيل المثال ومراهقة لا تجد من يوجهها أو يرشدها، يستطيع الشاب بكلامه المنمق وعباراته الساحرة أن يجعلها تفعل كل ما يريد حتى لو كلفها ذلك المستحيل والهروب معه. لأن عودها لم يشتد بعد وتطلعها إلى وجود عشيق قد بلغ ذروته، خصوصا إذا كانت ترى وتسمع من الروايات والمشاهدات ما يحسسها أنها هي الوحيدة التي لم تظفر بشريك بعد وأنها ستبقى وحيدة إذا لم تفعل ذلك.

وفي الحب الأول تبقى الذكرى عميقة ومتأصلة والحدث حيا وإن كبر صاحبه وتزوج وأنجب. وقد يندم الإنسان انه لم يحول تلك الومضة التي

حسها في أول نظرة وأول حب إلى شعلة حياة، لكن الحمد لله أن الإنسان لا يعرف قدره وهذه رحمة من الله حتى لا تذهب نفوس المحبين المرهفة حسرات.

هذا ما يحدث عندما يقع الإنسان في العشق للوهلة الأولى. فهو وله حائر تختلط عليه المفاهيم وقد يبتلى غيره معه، لكن هذا لا يعني ألا تسير الأمور بالشكل الصحيح، فقد تتوج تجربة الحب الأول بعلاقة ذات سمت أصيل يضرب في الجذور ألا وهو الحب بعد الزواج، وقد صنفه جبران خليل جبران على أنه لون من ألوان الحب يدعى "الألفة" يبدأ من ليلة العرس وقد تكون هذه الألفة سعيدة إذا كانت وفق شريعة السماء الفطرية وقد تكون أليمة إذا كانت وفق شريعة الأرض الحسابية.

ويبقى الحب الأول أكثر أنواع الحب ثباتا إذا دام، فمهما تنقلت ركائب الحب يبقى هو الترجيع الدائم والنبض الباقي، وتبقى أحداثه لقطات راسخة في الذاكرة يسترجعها المحب كلما عبر نهرا جديدا من الحب.

والذين يعتبرون بالقول المشهور:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

فقد ضيقوا واسع والإنسان ليس بمجبور على حب شخص بعينه إذا لم يعد يألفه، لكن نؤمن انه ملزوم على جبر خاطره وتحمل كل ما قد يتأتى من جهته. ونقول لهم:

الحب للمحبوب ساعة وصله

ما الحب فيه لآخر ولأول

الإنسان مع نموه، قد تتغير صورة الحب في ذهنه مع فترة نضوجه. والتغيير من طبيعة الإنسان في كل شيء، يغير مزاجه في الملبس والمأكل والأفكار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فإذن من المنطق أن تتغير صور الحب عنده أيضا. وهذا التغيير هو في الأطر المتعارف عليها بين الناس وليس تغييرا جذريا أخرقا. بل قناعات مقبولة لها مبرراتها. كما أن الإنسان يبدأ حياته يتدفق بالحب والحنان والتفاؤل والثقة، ثم يجف هذا النبع العاطفي كلما كبر، والسبب ببساطة هو اصطدام الأحلام الصغيرة والعواطف بما يخيب الأمل ويزلزل الثقة من تجربة الواقع.

في اعترافات لأحد العشاق[1] يقول:

نحن روح واحـدة في ثلاثة أشـخـاص..أنا وهو وهي صـديقـان هي ثالثتنا..تعارفنا..وكنا نتزاور منذ الصغر..ونلعب معـا..ونخرج معـا. كنا نقول لها أسرارنا ونشكو لها متاعبنا..وكانت هي تحكي لنا حياتها وتشكو لنا زوجة أبيها القاسية..وكيف تطهو وتغسل وتكنس الشقة وحدها..وتبكي بالليل دون أن يشعر بها أحد. وكانت جميلة وطيبة، وكبرنا..وكبرت معنا آلامنا..وكنا نتكلم في كل شيء إلا الشيء الوحيد الذي يؤرقنا..حبنا.

كنت أحبها ولم يكن يشغلني غير شعور واحد هو حبي لها. ولكني لم أكن أجد القوة لأصرح بهذا الحب. كنت أخجل منها ومن صديقي..وكنت اسمي هذا الحب صداقة لأخدع نفسي..ولكني لم أستطع أن أستمر في الكتمان..وراودتني نفسي أن أرسل لها خطابا أشرح لها فيه ما أعانيه من الوجد وكتبت الخطاب ودسسته في يدها..ومرت أيام وأنا لا أقابلها وأتجنبها من الخجل والخوف والإحساس بالذنب..ولكنها سعت إلي بنفسها وجاءتني وهي تبتسم وفي يدها رد على خطابي.

وكان الرد حارا اعترفت فيه أنها تبادلني الحب..وليلتها بت طول الليل مسهدا أتقلب على جنبي من الفرح..واستمرت بيننا الخطابات أكثر من سنة. وفي أحد الأيام لم أستطع أن أكتم السر عن صديقي وصارحته بالحقيقة وحدثته عن حكاية الخطابات المتبادلة..وهنا كانت المفاجئة فقد نظر إلي في دهشة واستنكار..ثم دخل غرفته وأخرج حزمة من الخطابات من درج مكتبه..وكلها بخطها وكلها تذوب حبا ووجدا وهياما..وبعض العبارات مكررة في كلامها لي وله مثل "أنظر إلى نجوم الليل فأتذكر سواد عينيك الجميلتين..القمر مضيء مثل ابتسامتك" وبعضها منقول من خطاباتي لها وتغزلي فيها وتكتبها إليه..وألجمتنا الصدمة ولبثنا ننظر إلى بعض بذهول. كان من الواضح أننا ضحية مهزلة مثلتها علينا نحن الاثنين وأننا نبكي ونسهر ونتعذب على لا شيء.. على كلام فاضي.

وذهبنا إليها لنلقي في وجهها الحقيقة فبكت واعترفت وقالت أنها تحبنا نحن الاثنين..وأن حبها لنا ينمو معها منذ الصغر..وأن كل واحد فينا صورة

---

(١) اعترافات عشاق مصطفى محمود ص ٤٨ .

من الآخر..لا تستطيع أن تفضل أحدا على أحد أو أن تختار أحدا على أحد. وليظن كل منكما ما تشاء له ظنونه..ولكني أحبكما وهذا **حبي الأول والوحيد!!!**

والمهم أننا نحبها بالرغم من هذه الخدعة وأنا لا أدري ماذا يدور في قلب صديقي ولكني أعلم بما يدور في قلبي..وأعلم أنني أحبها..وأنني اغتفر لها كل ما تفعل..وإن حبي لها سيكون حبي الأول والأخير في الدنيا..وحلمي الوحيد أن أتزوجها وأعيش معها.. ما رأيك؟

يرد عليه مصطفي محمود ويقول: لو أن الظروف جمعتكما مع أية فتاة أخرى لوقعتما في شراك حبها تماما كما حدث مع هذه الفتاة..وهذه دائما حكاية الحب الأول في كل مكان..خطابات وسهر ودموع ووعود بالإخلاص وخيبة أمل..مع أي فتاة تلتقي بها صدفة..وحكايات الحب الأول مادة جيدة للذكرى..ولكنها لا تصلح لتكون مادة حياة وزواج.

إنها الحرارة التي تبثها المراهقة واللهب الذي يبثه الشباب في كل مكان..احتفظ بالخطابات لتقرأها حينما تكبر واحتفظ بالقصة كلها في الدرج معها..إنها الآن تثير دموعك..ولكنها غدا لن تثير فيك إلا ابتسامة لطيفة!!.



المصارحة

عندمـا تقـع العين على العـين، ويعلق القـلب بالقلب، وتمـس الروح الروح، تتسـارع دقـات القلب وتتطور عـلامـات الإعجـاب بالمُشـاهَد ثم يبـدأ يتسـاءل الشـخص، هل يا ترى ذلك الشعور متبادل أم لا؟

هنا تقـع الحيرة في المصارحة. إذ لا بد من معرفة ظروف من وقعت العين عليـه وأُعـجـبت بـه. ويقـولون أن الحب أعـمى، ذلك أن تلك الـنظرات قـد توقـع الإنسـان في بدايات الحب ومـقـدمـاته التـي ربما تحـسـب عليـه لاندفـاعـه في سباق مع الحب معصوم العينين.

وفي مـعظـم الأحـيـان فـإن كـتـمـان الإعـجـاب مطلوب، خـاصـة إذا كـان الوصــول إلى المعـجب بـه مـتـعـذرا. والحب كـالبـركـان ثائـر خـامـد. يـقـول شكسبير: أقل الناس حبا أكثرهم تحدثا عن حبه، وإفشاء لأسرار غرامه.

ذكـر الإمـام ابن قيم الجـوزية في كـتـابه الجـواب الكافي عن شـاب من الأنصار قد خرق الدمع في خده خرقـتين من الأسى عندما لم يسمع خبرا ولم يقتف أثرا لمن صـارحته بحبهـا له. ذلك أنه بينما هو خارج من مـسـجد الأحزاب اعتزل غير بعيد فإذا بنسوة قد أقبلن يتهادين مثل القطا، وإذا في وسطهن جارية بديـعة الجمال، كـاملة الملاحة، وقـفت وقالت له " يا عتبة، مـا تقـول في وصل من تطلـب وصلك " ثم ذهبت ومن مـعـهـا ولم يعـودوا إلى المكان ثانية.

هكذا وجدت الجـارية طريقها للمصـارحة، فقط، بجملة واحـدة استطاعت بهـا أن تعبر عن إعـجـابها بـه والرغبـة في وصـاله مع قليل من الاسـتـحـيـاء. وللقصـة أحداث ومشاهد جميلة انتهت بزواج الاثنين لكن النهاية كانت مؤلمة تستطيع تعقبها في الكتاب المذكور.

المصـارحـة أمـر صعب وليس بالسـهل وله تداعـيات وتأثيرات على كل الطرفين. ذلك أن الإنسـان الذي اتسـعت آفاق ثقافـته وبصـر بالحـياة حوله جيدا وعـرف أسـرارها وذاق حلوها ومرهـا، لا يمكن أن يندفـع بالمـصـارحـة جـاهلا شـخـصـية مـن يحب ويريد مصـارحـته. فـتـجـده فطن يمعن النظر فـيمن يـحب قبل المصـارحـة ويدرس أخـلاقه وطبـاعـه ويتـعمق أكـثـر إلى حقيـقة شـخصـيتة، ويسـأل عنه بحـرص، وينظر فيمن حوله، ويجـتـهد في توقـع ردة فعله.

وهناك مصارحة لمجرد المصارحة لا يطمع فيها المعجب في وصال من يحب، مجرد إرضاء رغبة سريعة، لكن هنا لا بد من توهج المشاعر وتعريض الطرفين إلى مضاعفات مرهفة قد تغير المسار العاطفي لأحد الطرفين. لذلك وجب الاعتدال في أمر كهذا.

يذكر صاحب كتاب تاريخ الحب ورسائله الخالدة أن الفنانة الإسبانية صانعة العرائس الشهيرة "كرمن نو فارو" بعثت برسالة إلى جارها "رامون" تقول فيها...عزيزي رامون:

" لا ريب أنك ستدهش عندما تقرأ هذا الخطاب، وسيأخذ العجب منك كل مأخذ فأنت تعرفني...ولكنك في الحق لم تعرفني أبدا، ولم تهتم بي لحظة واحدة، ولم تكلف نفسك ولو مرة عناء التحدث إلي، أو التأمل في وجهي، أو الوقوف بجوار مقعدي المتحرك المخيف الذي يلقي الذعر في قلب كل من تحدثه نفسه بالتطلع إليه...

نعم...إن من تكتب إليك اليوم هي جارتك...هي كرمن...كرمن بعينها، تلك الفتاة الشقية التعسة المنكودة الحظ المصابة بشلل نصفي، والتي قست عليها الدنيا و أجبرتها وهي بعد في مقتبل العمر وشرخ الشباب على أن تقضي حياتها البائسة الموحشة في مقعد متحرك صغير ذو أربع عجلات...

هو ذاك يا عزيزي...إن جارتك المشلولة...جارتك المنبوذة، جارتك التي لا أمل لها بالصحة، ولا أمل لها في القوة، ولا أمل لها في التمتع بأية فتنة من مفاتن هذا الكون الرائع البهيج، هي التي استجمعت اليوم مدخر صبرها ومدخر عذابها ومدخر عواطفها وتجاسرت وكتبت إليك هذا الخطاب.

فلا تغضب يا رامون واسمع قصتها...اسمع ولا ترث لحالها...اسمع ولا تفكر في الاتصال بها...أو العطف عليها، أو محاولة إنقاذها من شقائها.

إني فتاة، عشت أعواما طويلة في ظل المرض. فالمرض احتواني، والمرض طوقني، والمرض أقام حاجزا مروعا بيني وبين الناس، ليس لي غير عقل يفكر، وصدر يتنفس، وقلب يخفق، وعيون مفتحة، ولهفة قلقة حائرة مذيبة. تحطم نفسي وجسمي أضعاف ما يحطمها المرض الذي شاءت الأقدار أن تبتليني به...



فالحياة تمر أمامي، وقدماي عاجزتان عن اللحاق بها، والناس يمرحون حولي وشبابي عاجز عن إدراك خطواتهم، والمسافات والأبعاد الشاسعة تناديني، وأعضائي الواهنة المشلولة عاجزة كل العجز عن تحقيق أية استجابة أو تلبية أي نداء...

هكذا عشت في صحراء نفسي، وفي بحر خيالي، وفي محيط أفكاري وعواطفي، لا أرى غير ذاتي ولا أفزع إلا إليها ولا أفرح إلا بها كأني قد خلقت من طينة غير طينة البشر، وكأني ما جئت إلى هذا العالم إلا لأعيش بمعزل عنه...أود أن أندمج فيه فينهرني، وأود أن ألمسه فيزجرني، وأود أن أداعبه ولو بالنظر فيفر مني، ساخرا بحيرتي، هازئا بألمي، شامتا ومقهقها في وجهي قهقهة وحشية مدوية هي حكم إعدام قاطع صدر على شبابي وحياتي...

فالموت اليوم صديقي، والوحدة الدائمة هي نصيبي، وابتسامات الشفقة والرثاء هي كل ما جنيته حتى اليوم من حقل النفس الإنسانية ومن القلب البشري...

فلكي أجد منصرفا لعذابي ومتنفسا لصدري، ولهت بفن عجيب... مضيت أصنع عرائس من قماش بيضاء وزرقاء وحمراء أمثل فيها الحب والأمل واليأس والهزيمة والعذاب، واعهد بها إلى والدي الشيخ كي يبيعها في السوق...

ولقد أُعجب الناس بعرائسي، وقالوا عني أني فنانة نابغة، وأسرفوا في مدحي وإطرائي إسرافا حاولت أن أقنع به وأكتفي، وأن أجعل منه غاية أملي وقبلة حياتي في هذه الدنيا ولكني لم أستطع... أجل... لم أستطع أن أحل العرائس محل الحقائق، وأن أرضى بالوهم دون الواقع، وأن أعيش في ضباب الحلم على حساب كل ما هو منظور ومحسوس، فازداد ألمي، وإزداد شقائي، وقربني الفن من الدنيا بدل أن يقصيني عنها، فشعرت بلوعة مرة وحسرة لا تطاق...

وكانت نفسي تهفو إلى أقوى من الفن، وأعمق من الحلم، وأغزر من الخيال، وكنت لا أدري ما هو هذا الشيء الذي أصبو إليه حتى رأيتك يا رامون وأدركت أنك تسكن بجواري، وأحسست بومضات روحك تشع علي، فاتقد وجداني، واحتدمت عواطفي، فأحببتك حبا جارفا وأنا لا أدري...

أحببتك دون أن أخاطبك، ودون أن أشعرك، ودون أن أدع نظرة واحدة من نظراتي إليك تفضحني أمامك، وتمزق القناع الكثيف الذي أسدلته عمدا على وجهي، وعلى قلبي، وعلي كل جارحة في...وكنت أنت تمر بي في غدواتك وروحاتك، وتلقي علي نظرة آسفة، وتحييني في أدب وفتور. وكنت أنا أعشق عينيك السوداوين، وأهيم بشعرك المتموج، وأترامى صريعة تحت هيكل حسنك، و أتمنى على الله ألا يحرمني من رؤيتك، وأن يبقي لي نور عيني لأتملى من سحر طلعتك، وبهاء رجولتك، وفيض العزة والجلال الذي يسكبه الصبا الناضر عليك!.

ولقد أسعدتني يا رامون وأنت تعلم!...جعلت مني أسعد مخلوقات الله وأنت لا تدري...فطفقت أصنع العرائس تحت تأثير وحيك، وأبدع وأفتن في غمرة إلهامك، فشعرت بالنعمتين الخالدتين: نعمة الفن، ونعمة الحب...نعمة الخيال، ونعمة الحقيقة...نعمة السماء ونعمة الأرض.

والواقع أنى ملكت الدنيا منذ أن عرفتك...لم أعد أطمع في شيء، أو أحزن على شيء، أو أنظر متلهفة متحرقة إلى شيء، نسيت قدمي المشلولتين، وعجزي الشائن عن الحركة، وذلي النفساني الفظيع، وبدأت أرى الحياة في حلة جديدة، وأحسست أني أتحرك، و أني أتحمس وأني أختلج، وأني أعيش ألف مرة اكثر مما يعيش أوفر الناس صحة.

وكل هذا يا رامون وأنت غافل عني، نافر مني، غير مكترث لي ، لم لا تكترث لي رغم أنك الذي غيرتني...كل فكرة مني كانت رجع صداك، وكل جمال أبدعته كان مستمدا من علاك، وكل عاطفة خامرتني كانت تتفجر من ينبوع حسنك ومن فيض بهاك.

ومع ذلك فلم يخطر على بالي لحظة واحدة أن أكلمك أو أنبهك، أو أشعرك ولو من طرف خفي أنى متيمة بك. كان الصمت يغمر حياتي، وكان صمتا مليئا بك، وكنت أسعد النساء بصمتي، أحرص عليه كحرصي على بصري، وأجد فيه نعيما لا يمكن أن تشوبه شائبة الخيانة والغدر، ولا يمكن أن يتطرق إليه أي خوف وأي قلق وأي دنس.

وكنت قد آليت على نفسي ألا أتكلم أبدا...فلماذا تكلمت اليوم إذن، وما الذي أنطقني، وما هي تلك القوة التي أطلقت لساني من عقاله، ودفعتني بالرغم مني على طرح سر نفسي، وجوهرة قلبي تحت قدميك.

إن هذه القوة يا رامون هي أيضا قوة القدر! القدر الذي يشاء اليوم أيضا أن يطعنني في شغاف قلبي ويسدد إلي سهمه الأخير!

يجب أن أرحل يا رامون ...إن والدي سيغادر مدريد بعد عشرة أيام، وسينتقل إلى إشبيليه ليرأس الفرع الجديد الذي افتتحته الشركة التي يعمل بها! ويجب أن أطيعه! يجب أن أتبعه! وهل في وسعي إلا أن أطأطئ الرأس صاغرة وأطيع؟! القدر أقوى مني، وأقوى من حبي، وهو أبدا مسلط علي! فبعد عشرة أيام فقط لن أراك يا "حبيبي"...سأحرم منك... سأمزق فؤادي وروحي وعقلي حسرة عليك...فكيف كان يمكن أن ارحل دون أن أكاشفك بحبي. وكيف كان يمكن أن أرحل حاملة سري العميق في أجواء صدري، وكيف كان يمكن أن أرحل دون أن أشعر ولو مرة واحدة في حياتي بأنك هبطت إلى قرارة نفسي، واندمجت في مقدس قلبي، وأصبحت زوجي بالعاطفة والفكر والروح؟...زوجي ...يالها من نعمة لن اسعد بها أبدا ولا بد أن تسعد بها يوما امرأة غيري...أجل...لهذا كتبت إليك...لهذا اجترأت واقتحمت حرمة حياتك...افهمني...افهمني جيدا واذكرني...أنا أريد أن تكون سعيدا لأستطيع أن أشعر أن حبي العظيم لك تألق وازدهر وآتى أبرك الثمرات...فتزوج يا رامون وانسني...تزوج على أن تحب امرأتك من أجلي، وتخلص لأولادك من أجلي...وكلما أحببت امرأتك أسعدتني...وكلما أخلصت لأسرتك أرضيتني...وكلما تفانيت في البذل والتضحية من أجل أولادك، أحسست أنا بالفكر والروح أنك أصبحت تحبني!

فاحمل قلبي بين يديك مشكاة تضيء أمامك فسحة الدنيا وتهديك سواء السبيل...وإياك أن تتألم بسببي...إياك أن تعكر صفو حياتك بالتفكير في حظي...سأعرف كيف أحتمل مصيري...وسأعرف كيف أعيش سعيدة بوحدتي...سعيدة بحسرتي...سعيدة بشللي...ما دمت على يقين من أنك قد عملت بنصحي ونفذت وصيتي!.

ولسوف تعمل ولا شك بهذا النصح الثمين الغالي لأن الطيبة متأصلة في دمك والنبل طبيعة فيك، وحب الخير للخير شيمتك.

فتزوج وكن وفيا...تزوج وكن سعيدا ومتى وصلتني أنباؤك وعلمت علم اليقين أنك سعيد بقرب امرأتك، سكنت لوعتي، واطمأن قلبي، وشعرت أعمق شعور وأبلغه أنك أحببتني أنا أيضا وتزوجتني!

فالوداع يا حبيبي واذكرني..اذكرني واحرص على الوحي النبيل الذي أريد أن يخلفه في قلبك صدق حبي. هذا الحب الذي هو أول وآخر حب في حياة فتاة تاعسة مشلولة قدستك وأنت لا تدري!....الوداع! **انتهى**.

وتزوج رامون وأعقب طفلا ذكرا، وكان مثال الزوج المخلص، ولكنه لم يوفق في اختيار امرأته، وقاسى الأمرين من حدة طبعها وغلظة أخلاقها وأوشك أن يطلقها ولكن كرمن التي كانت تتتبع أنباءه، كتبت إليه مرة أخرى تثنيه عن عزمه وترده إلى رشده وتذكره بواجبه تجاه ولده ونحو امرأته التي لا بد له أن يصبر عليها ويكافح المستطاع لتبديل أخلاقها وتهذيب طباعها حرصا على بقاء أسرته.

وفي "تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق" أنه كان لعلي رضي الله عنه شاب مؤذن، وكان عنده جارية، وكان الشاب إذا رآها يقول إني أحبك!

فأخبرت عليا بذلك، فقال لها: قولي له: وأنا أيضا أحبك، فماذا تريد؟ فقالت له ذلك. فقال: إذن نصبر حتى يوفينا أجورنا من يوفي الصابرين أجرهم. فمضت وأخبرت عليًا بذلك، فدعا به وزوجه منها.

وقبل أن ننتهي من مفهوم المصارحة، يجب أن نشير إلى أن هناك مصارحة محذورة غير مشروعة يجب تجنبها وتوخي الحذر منها. فقد تصدر لمخك رسالة إعجاب تخاطرية إلى شابة جميلة أخذت بشغاف قلبك قابلتها لأول مرة، ولكن تلك الشابة مخطوبة أو متزوجة. هنا يجب أن تلجم مشاعرك إلجاما وتصد عن التفكير بها حتى لو ظننت أنها أبدت شيئا مثل تلك التي أرسلتها أنت. فهي قد تكون مستعدة لاستقبال إعجابك لكنها ما تلبث حتى تقطب جبينها وترسل ملامح عكس ما يحدث في قلبها درئا للفضائح وتحطيم القيم، ومنعا من النتائج الاجتماعية والأخلاقية التي ستسيء إلى الطرفين. فما أشد همجية الرجل الذي يقتحم رحاب امرأة في قلبها حب لرجل غيره.



الحب من أول نظرة

الحب من أول نظرة وهم اعتقد به الناس لاستيلاء الشعور الأوليّ على النفس بارتسام الصورة الكلية الكمالية للشخص بمجرد النظرة الأولى دون الدخول في التفاصيل، حتى سماه البعض مصيدة العشق. ففيه يقع الشخص في حالة سلبية من التقبل و الانفعال ولو تساءلنا عن السبب الذي من أجله أحببنا هذا الرجل أو تلك المرأة لأدركنا أنه حتى الجمال نفسه لم يكن سببا في ذلك الأمر بل هو الدهشة التي أثارها ذلك الشعور في حياتنا مع ما اقترن به من غموض وسرية وصعوبة وحب الاستطلاع.

ويشرح يوسف أسعد في كتابه "الحب من أول نظرة" أن الشاب الذي أثارته النظرة الأولى لتلك الشابة، لم يقم باستعراض شخصيتها من جميع زواياها. وحتى بالنسبة لمقوماتها الجسمية،فإنه لم يستعرض قوامها، واتساق أعضائها، وسلامة حواسها الخمس، وما قد تكون مصابة به من أمراض، بل إن المثير الأولي الذي استولى على شغاف قلبه، هو الذي لعب الدور المبدئي للاستيلاء على قلبه وأسره.

ويحدثنا في ذلك العالم البصير في أمور الحب ابن حزم ويقول " إن من احب من نظرة واحدة، وأسرع العلاقة من لمحة خاطرة، فهو دليل على قلة الصبر، ومخبر بسرعة السلو...وهكذا في جميع الأشياء أسرعها نموا أسرعها فناء، وأبطئها حدوثا أبطئها نفاذا ".

ويحدثنا أيضا عن تجربته ويضيف " وإني لأطيل العجب من كل من يدعي أنه يحب من نظرة واحدة، ولا أكاد أصدقه، ولا أجعل حبه إلا ضربا من الشهوة. وإما أن يكون في ظني متمكنا من صميم الفؤاد، نافذا في حجاب القلب، فما اقدر ذلك، وما لصق بأحشائي حب قط إلا مع الزمن الطويل، وبعد ملازمة الشخص لي دهرا، وأخذي معه في كل جد وهزل، وكذلك أنا في السلو والتوقي، فما نسيت ودا لي قط ".

الحب من أول نظرة، كبير عليه أن تقرن معه كلمة حب، هو مجرد افتتان أو إعجاب أولي قد يكون مدخلا إلى حب غائر. الأصلح أن يقال إعجاب من أول نظرة. هو قبول سريع لشخص جديد في حياتك لم تعتاد عليه، تريد أن يكون لك. فلا تشتغل به وتخلق منه قصص وخيالات

تحدث بها الآخرين. إذا فرض عليك سطوته، فقد تحول إلى حب فعليك به، الزمه واعتني به، وغير ذلك فأقصر. قيل: إذا أحببت طيرا فاتركه حرا، فإذا عاد فهو لك، وإذا لم يعد فهو ليس لك أبدا.

الكتمان

مصارع العشاق كثيرة، وأبلى ما يصيبهم الكتمان. وهناك مثل إسباني يقول: إن الذي يكتم حبه في قلبه يموت مخنوقا. ورب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الإنسان.

وحينما يرى شخص ما، الرضا وعلامات قبول الطرف الآخر له، تنفجر بداخله مشاعر الفرح ويكون ساعتها في قمة الفرح والسرور. لحظتها يشعر بالرغبة الجامحة في أن يخبر الآخرين بأمره لدرجة أنه لو تسنى له أن يطوف بين الأزقة والشوارع ويكتب على الجدران " ياعالم، أنا أحب ولي حبيب يحبني " لفعل ذلك.

هذا هو حال العاشق، لا بد له من نديم يستمع له، ينصت لأخباره ومغامراته العاطفية، ويشاركه أشواقه وأشجانه. ويشير عليه إذا طلبت منه المشورة.

وإلا كتم الأحداث وعاشها بحلوها ومرها مع نفسه، يحدثها وتحدثه وهذا أقسى وأشد على العشاق. ونادرا ما يفعل ذلك المحبين لما يتولد عنه من غصص واحتراق داخلي كاحتراق الشمعة.

روي أن رجلا يدعى العلاء من أهل الأدب والظرف، واصلته فتاة كانت في غاية العشق له، والميل إليه، لكنه لم يظهر لها حبا مع أنه كان مغرما بها وفضل كتمان ذلك، فلم يزالا على ذلك حتى ماتت كمدا وعشقا له، فذكرها بعد ذلك وأسف على ما كان من جفائه لها وإعراضه عنها، فرآها في منامه وهي تقول:

أتبكي بعد قتلك لي عليا
فهلا كان ذا إذ كنت حيا
سكبت دموع عينك في إنهلال
ومن قبل الممات تسيء إليا
فيا قمرا برى جسمي وروحي
ويقتلني وما أبقى عليا
أقل من النياحة والمراثي
فإني ما أراك صنعت شيئا

فزاد ما كان عليه من الأسف والغم والبكى، حتى فاضت نفسه فمات.

هذا قبل أن يقع الحب، أما بعد وقوعه فالكتمان هو الأكثر أمانا والأقرب إلى السلامة. وقد يكون بوح العاشق إلى المعشوق بمحبته إياه ليست لازمة، كقول أحدهم: أنا أحبك ولن أتخلى عنك!

كتمان بعض المشاعر أدعى للمحبة وفيه غموض لطيف يحس فيه المعشوق بالحب دون مصارحة حقيقية. وهو في نفس الوقت وسيط للفراق أو خط رجوع إذا استدعى الأمر ذلك. حدثني صديق أنه كان يحادث فتاة فترة من الزمن لم يقل لها أحبك أبدا حتى طلبت منه ذلك وألحت عليه الطلب، فلما قالها بعد أن تكلف قولها، لم تعجبها الكلمة وحصل بعد ذلك فتورا في العلاقة بسبب ذلك التكلف الذي لم يكن له فائدة. قيل: إذا كنت تحب امرأة فلا تقل لها أنا أحبك، فإن هذه العبارة أول ما تجعل المرأة تفكر في السيطرة عليك!

ومن العشاق من يخفى الحب لكي لا يظهر من المحبوب رد غير متوقع، فقد ذكر أن جارية لبعض الخلفاء كانت تحبه حبا شديدا، ولا تظهر له ذلك، فسئلت عن هذا فقالت: لو أظهرت ما عندي فجفاني هلكت!

والتبجح بالحب والتزين بزي المحبين فيه تكلف وبغض، وقد نصح الأولون بعدم نشر خبر الحب للجميع، ويسمون ذلك "إذاعة الحب" ويعتبرونه حدث منكر جالب للمفسدة. فإذا أحببت فاقتصر على إخبار من تثق بهم وتشعر بأمان جانبهم. والناس يفهمون فلا تستغفلهم، لا تشعر الجميع بحبك وكأنك تستهزئ بهم، فإن في ذلك فساد في التدبير وضعف في السياسة.





الخيانة

إن المحب يرى من المحبوب مرآة يرى فيها صورته الخاصة وقد ارتدت إليه، ولا ينشد من حبه مجرد تصديق أو إقرار أو موافقة فحسب، لكنه يريد منه عهد ووفاء وثقة. والمحبين دائما يقسمون على الولاء، ويأخذون على أنفسهم المواثيق الغليظة، والعهود الأبدية بالوفاء، ويصرخون بأعلى صوت مع أرسطو " إن حبا أمكن أن ينتهي لم يكن حبا صادقا " لكنهم رغم ذلك ينتكسون، و ينقلبون ثم لعهدهم يحنثون.

ما اقبح الخيانة مع الحب، وما أكره الغدر ونكران الجميل، والخيانة تهم اكثر المتزوجين، لكن هذا لا يعني أن الخيانة غير موجودة في حب ما قبل الزواج. وآه لكل من وقع فريسة للخيانة.

من أجمل الأقوال الأجنبية المأثورة " عندما يوقع شخص ما زوجتك في شباكه، ليس هناك انتقام افضل من أن تدعها له " ثم انظر نهايتها بعد ذلك.

تقول الشاعرة:

أعـــمـــرو عـــلامَ تجنبـــتني؟
أخـــذت فـــؤادي فـــعـــذبتني
فلـو كنت، يـا عــمــرو خــبــرتني
أخـــذت حـــذاري فـــمـــا نلتني

انه يمكن للمرأة أن تحمل نفسها على غفران النكث بالوعد والخيانة في حين لا يستطيع الرجل ذلك لأن الفرق عميق جدا بين خيانة المرأة وخيانة الرجل. فأنه لا يحطم الرجل إلا خيانة المرأة. في أحداث مؤلمة لرجل تسعيني، كان يتبادل مع زوجته العجوز أطراف الذكريات البعيدة، عندما أخبرته في لحظة فلتان لسان نسائي، أنه بينما كان مجنداً في الحرب العالمية الثانية، خانته مع رجل عابر. فلم يكن من الرجل إلاّ أن غافلها وخنقها ليلاً، انتقاماً لخيانة تعود لنصف قرن!

إن المرأة هي الموجه الرئيسي للعلاقة وهي التي تستطيع ألا تخون وأن تجعل الرجل لا يخون وهذا هو الدليل:

هي شهرزاد بطلة حكايات ألف ليلة وليلة، لم تكن شهرزاد مجرد جارية تروي الحكايات المسلية لقاتل مريض نفسياً هو شهريار الملك، شهريار كان ملكاً

متجبراً يملأ قصره بالنساء والجواري، وقد اكتشف أن زوجته تخونه مع أحد عبيده، فقتل الزوجة والعبد، لكن لعبة القتل هذه أعجبته وصار يطلب كل يوم عذراء يتزوجها ثم يقتلها في الصباح، حتى كادت مملكته تخلو من الفتيات.

وحدها شهرزاد ابنة وزيره الأول هي التي طلبت من أبيها أن يزوجها للملك، وسوف تنجو وتخلص البلاد والعباد من الملك الظالم، فكان أن تزوجته وصارت تحكي له كل يوم قصة مشوقة، لكنها كانت تتوقف عن الكلام حينما ينبلج الصباح، وتكون القصة في أوج تشويقها فيضطر شهريار إلى إبقائها حتى اليوم التالي ليسمع بقية القصة ثم يقتلها، في اليوم التالي كانت شهرزاد تنهي القصة الأولى بعد أن تربطها بقصة ثانية لا تنتهي إلا في اليوم التالي، استمرت شهرزاد في الحديث القصصي حتى تخلّى الملك عن عادة القتل، وندم على جرائمه بحق النساء بعد ألف ليلة وليلة من الحكايات المشوقة.

كان لزوجة شهريار الأولى انتقامها بأن خانته مع العبد تنكيلا به لأنه كان يخونها مع مئات وربما آلاف الجواري، لكن ذلك كان انتقاماً فردياً لم يؤد إلى نتيجة وكلفها حياتها وذل الخيانة، أما شهرزاد فقد كسرت شوكته حتَى أعلن الندم بعد أن علمته أن عليه أن يبني علاقة إنسانية مع المرأة التي تشاركه الفراش ليصل عن طريق هذه العلاقة الإنسانية إلى النضج العاطفي من خلال فهمها للرجل " شهريار ".

شهرزاد هزمت شهريار حتى رجع كائناً عادياً، ثم عاشت معه في هناء. كان شهريار يستحق القتل، لكن الأنثى المتسامحة كانت أكبر من غريزة الثأر، وهذه طبيعة الأنثى التي تهب الحياة وتعطيها، في عدلها رقة وفي حكمها إنصاف.

لكن لكل قاعدة شواذ، والمرأة لها خيانة ذات طابع خاص. فهناك قصة تروى أن فتاة كتبت قصيدة عنونتها بقصيدة " الوفاء " من أربعة وعشرين بيتا في كل بيت اسم لخليل لها، كلهم المساكين، يعتقدون بإخلاصها ووفائها. ولا تنسون (إن كيدهن عظيم)!؟.

روي أنه كان في بني إسرائيل امرأة ذات جمال، وكانت عند رجل يعمل بالمسحاة، فكان إذا جاء بالليل قدمت له طعامه، وفرشت له فراشه، فبلغ خبرها ملك ذلك العصر، فبعث إليها عجوزا من بني إسرائيل، فقالت لها: ما تصنعين بهذا الذي يعمل بالمسحاة!.



لو كنت عند الملك لكساك الحرير، وفرشك الديباج، فلما وقع الكلام في مسامعها جاء زوجها بالليل، فلم تقدم له طعامه، ولم تفرش له فراشه، فقال لها: ما هذا الخلق يا هنتاه[١]. فقالت هو ما ترى. فقال: أطلقك؟ قالت: نعم، فطلقها.

فتزوجها ذلك الملك، فلما زفت إليه نظر إليها فعمي، ومد يده إليها فجفت. فرفع نبي ذلك العصر خبرهما إلى الله عز وجل، فأوحى الله تعالى إليه: اعلمهما أني غير غافر لهما؛ أما علما أن بعيني ما عملا بصاحب المسحاة؟

وليحذر الرجل المرأة عندما يستولي الحب عليها، فإنها أشد ما تكون وفاء عندما يغمرها حبه. فهي تضحي بكل شيء في سبيل حبها، إذ تضمحل في نظرها قيم الأشياء كلها تجاه قيمته. فلا يكون رخيصا فيستغل ذلك الوفاء ويجعله مطية لمغامرة حب جديدة في حياته، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

قيل: الحب كالزهرة الجميلة والوفاء هي قطرات الندى عليها والخيانة هي الحذاء البغيض الذي يدوس على الوردة فيسحقها. والعجب كل العجب من الفتاة أو الشاب الذي يتبجح بأن له أكثر من حبيب، أي حب ذاك الذي يتحدثون عنه. تلك مغامرات خائنة ومداخل هدامة تهبط بأسمى معاني الحب من سماء الصفاء إلى قاع السفاهة. ألا تستحي العروس الخائنة من الجلوس في كوشة واحدة مع رجل لا يعرف ما صنعت يداها مع أحد الرجال. ألا يخاف العريس الخائن من أن تكون زوجته كأحد فرائسه التي خدعها يوما من الأيام باسم الحب. ألا يخجل الرجل من تمثيل دور الحبيب الهائم مع كل امرأة تصادفه. الرجال يجرون خلف المرأة فإذا استسلمت تركوها وإذا ردتهم خائبين تركوها أيضا. هناك الكثير من الرجال هم أسباب محنة البنات وعذابهم، إذا قاومته قال عنها رجعية وإذا استسلمت قال عنها غير نظيفة. باسم الحب يستدرجها ثم يقول إنها غير نظيفة، وهو يدعى أنه يبحث عن حب طاهر.

انظر كيف تتحول الكلمات الرائعة في الحب عندما يكذب كل منا على الآخر ويغامر في الانتقال من شخص إلى شخص آخر، كلمات قاسية وندم وتجريح وتنكيل:

حبيبي.. أصبحت اليوم في نظري خائناً بمعنى الكلمة.. أصبحت أنت والخيانة تسيران في نفس الطريق.. يداً بيد وقلبا بقلب.. ما أجمل الوفاء والإخلاص الذي كنت تتكلم عنه طوال فترة علاقتنا التي تجاوزت العامين.. ما

(١) يا فلانة.

أروع الوعود التـي كنت تعدني بهـا.. ما أحلى دموع الـشوق التي كانت تـسيل على خدك لتوهمني باشتياقك وغرامك الذي لا تحده حدود..نعم كانت رحلتي معك طويلة .. كانت الظروف قـاسية.. وكان الكل ضدنا إلى أن قـررت الابتعاد والهجران.. مررنا بظروف صعبة.. بكينا مـعاً .. حاولنا معاً .. ولكن كان بيدك الاختيار.. وكذلك كان في يدك القرار.. كان أمامك اختياري أنا والتضحية بكل شيء من أجلي (كمـا وعـدت) وكان أمـامك الابتـعـاد واخـتيـار طريق الفـراق وهذا الذي فعلته ، فـشكراً لك يا حبيب الروح .. بكل سـهولة ضـحيت بالإنسان الذي تحب حتى ترضـي الجـميع وتحافظ على كل شـيء سـواي... تحافظ على مسـتقبلك ، سعـادتك ، مكانتك .. وتناسيت الليلة التي أخـبرتك فيـها أنني أفكر في الابتعاد عنك ويومها هل تذكر ما كان جوابك ؟

يومها قلت لي بـالحرف الواحد : لن أتخلى عنك وسـأتحدى الـعالم بأكمله ، لن أبتـعد عـنك حتى لو وقـفت الدنيـا كلهـا ضدي ، لن أرحل حـتى لو حـالت الظروف لتـبعدنا عن بعـضنا وسـأظل أنتظرك العـمـر بأكملـه !! اليوم وبعـد الابتـعاد (كما تسـميـه أنت) وكمـا (الخيـانة) التي أسـميـها أنا لم تفكر حـتى بالسـؤال عـني ، لم تبعث لي برسـالة واحـدة تدل على أنك تحـفـظ العـشـرة وتصـون الحب الذي كـان .. أصـبـحت تراني ولا تـهـتم بي ، أصـبـحت تهـتم بغيري .. أصبحت في نظرك لا أساوي شيئاً ..

* هل تذكر من هو (حبيبي) (روحي) (عمري) (حياتي) .. ؟
* هل تذكر الأغاني التـي كنا نغنيهـا مـعاً ؟ هل تذكـر الرسـائل التي كنت تكتبها ؟
* هل تذكر اليوم الذي رأيتني فيه لأول مرة ؟
* هل تذكر (كل عام وأنت الحب .. كل عام وأنت الحب)
* هل تذكر يومـهـا عندمـا أخـبـرتني بكل وقـاحـة أنني حـبك الأول وأنت الذي كنت تقول لي دائماً أنني حبك الأول والأخير ؟
* هل تعلم أنني بعد كل ذلك الحب أصبـحت أكرهك من صميم قلبي لأنك خائن وكذاب ؟!؟!.

أكتب لك رسـالتي هذه وأنا مازلت أعيش في نفس السـجن الذي وضعني فيه .. أحيـاناً أضحك من هذه الدنيا كما تضـحك العجائز وكثيراً مـا أبكي كما يبكـي الأطفـال .. أجلس مـع الليل لأبكـي بمفـردي على كل مـا حـدث لي ..

أشتكي للذكريات الجميلة علّها تسمعني .. أشتكي للقلب الذي أصبح يكرهك .. أبكي على الوقت الذي ضيعته من عمري معك يا عديم الحب .. أبحث عن أخبارك فلا أجدها .. أترقبك كل يوم عند المساء فلا أراك .. أبحث في رسائلي علّي أجد رسالة منك فلا ألقى شيئاً .. للأسف نسيتني بكل سهولة وأنت الذي كنت تبحث عني في كل لحظة وساعة !!

اليوم تمر سنة كاملة على فراقنا .. مرت بطيئة ، حزينة ، وكئيبة .. لم أعرف طعماً للراحة فيها .. لم أذق طعماً للنوم المريح .. لم تتوقف عيني عن البكاء .. كل شيء كما هو .. القمر حزين والنجوم تبكي والليالي سوداء قاتمة لم أعرف لون السعادة فيها أبداً ..

اليوم أنا أكرهك أنت .. لأنك كنت كاذباً خائناً ومخادعاً .. وأكرهك لأنك اخترتني لأكون الضحية في لعبة قذرة لعبتها معي .. أكره كل من شجعك على الابتعاد عني .. أكره كل من يساعدك على اختلاق الأعذار لما اقترفت يداك .. أكرهكم جميعاً وأنا التي لم يعرف قلبي طعماً للكراهية أبداً ..

أعذارك اتركها لك لأنها أصغر بكثير من خيانتك .. أسبابك دعها لنفسك لأن الخيانة لا أسباب لها ..!! لا يهمني إن كنت تتحدث عن الحب أم لا .. لا يهمني إن كنت موجودة في بالك أم لا .. لم أعد أطيق وجودك في حياتي أبداً ..هل تستطيع الحياة بسعادة مع غيري ؟ هل بهذه السهولة تحطم إنساناً وتحب آخر ؟.

لديك ألف عذر وعذر للخيانة ولم يكن لديك عذر واحد للوفاء .. كان لديك ألف سبب وسبب للابتعاد عني ولم يكن لديك سبب واحد للبقاء معي .. تكلمت عن الغصب والإلزام ولم تتكلم عن المحاولة والتضحية ، تكلمت عن الافتراق والنهاية ولم تتكلم عن البقاء والأمل .. تكلمت عن الخوف من الناس والأهل ولم تتكلم عن خوفك على الحب الذي يجمعنا ..تقول أن الحب سيبقى وسيعيش في قلوبنا إلى الأبد وأقول أن الحب والخيانة لا يجتمعان أبداً ..كنت أنانياً وفكرت في نفسك أكثر من أي شيء آخر .. حتى لم تفكر في الإنسان الذي أحبك بصدق ، لم تفكر سوى في دراستك ومستقبلك وحياتك مع الآخر ولم تفكر للحظة واحدة في أن هناك شخصاً يغار عليك ويشتاق إليك وقلبه متعلق بك ولا يستطيع التخلي عنك .. للأسف .. كنت أنانياً جباناً ..تقول أنك ستسامحني على كل ما قلته ومازلت أقوله لك ولكن هل تعرف حجم الجرح الذي خلفه كل منا للآخر ؟!؟

هل كان جرحك بحجم جرحي؟ هل تحولت حياتك إلى جحيم كما صارت حياتي؟ هل قتلك الشوق والبعد والغيرة كما هي تمزق في أشلائي كل يوم؟!؟!؟.

بعد أيام أو شهور ستتزوج .. سترحل بعيداً نحو قلب آخر.. ستنسى آخر طيف من أطيافي .. سترحل باتجاه حب جديد ينسيك الحبيب الذي قتلته فقبل أن ترحل لي طلب بسيط عندك.. هل تنفذه لي؟

أريدك أن تحرق صورتي لأنني لا أريد أن تبقى مع خائن مثلك .. احرق الهدايا التي أهديتك إياها .. أما تخجل من بقائها لديك؟!؟

سامحني أو لا تسامحني فأنا لن أسامحك أبداً .. تذكرني أو انساني فأنا لا أذكر سوى خيانتك وغدرك .. تمنى لي الحياة السعيدة مع إنسان آخر يحبني ويقدرني ويستحقني أو لا تتمنى ذلك .. لأنني لا أتمنى لك سوى التنكيل والقهر والعذاب يا من سبب عذابي وقتل الحب في قلبي !! انتهى.

أضحى التنائي بديلا من تدانينا

وناب عن طيب لقيانا تجافينا

يكاد حين تناجيكم ضمائرنا

يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

في إحدى العيادات النفسية يدخل شاب وسيم بانت عليه علامات التعب والحزن، يستقبله الطبيب النفسي بابتسامة فينظر إليه الشاب نظرات سارحة دقيقة فيمازحه الطبيب ويقول: إني أخجل عندما ينظر إلي شاب وسيم مثلك!!!

طوال الجلسة لم يتفوه الفتى الشاب بكلمة واحدة...وعندما تيقن الطبيب أن الشاب ليس إيجابي في الجلسة، بدأ يحدثه بأن الدنيا أهون من أن نضيعها في الحزن والبكاء على ما مضى وأنه مازال شاباً في مقتبل العمر و أنه سيرى ألف فتاة يحبها وألف فتاة تخونه وألف فتاة تبحث عنه ؟ يحاول الطبيب جاهدا مؤازرا له ويقول، يا صديقي استيقظ فالحياة أمامك والدنيا تفتح ذراعيها لك والعالم لم ينته بعد!!

خرج الشاب والطبيب لم ينهي كلامه وهو يردد (الجميع يردد ذلك، الحب يموت هكذا بكل بساطه، الناس تخون بهذه البساطة، هل أنا مجنون، إذا كنت مجنون فالدنيا إذن كلها مستشفى للمجانين)

ليس الزمان وإن حرصت مسالما

طبع الزمان عداوة الأحرار



الوفاء

ما أجمل أن يعيش العاشق قصة حب راقية لا تحوم حولها أي شبهة، وأن يعيش وهو واثق ثقة عمياء أن معشوقه يكن له من الوفاء والإخلاص ما يجعله لا يفكر أبدا أن يختبر ذالك الوفاء، يمارس حياته الطبيعية وهو يعلم أن معشوقه يحفظه في السر والعلن، أقصى ما يفكر فيه أن ينقلب عليه ذالك المعشوق ويحنث بالوعد.

وجـــــربنا وجــــــرب أولونا

فــــلا شيء أعــــز من الوفــــاء

خرج رجل يدعى أبو دهبل الجمحي في سفر بعيدا عن موطنه وكان رجلا جميلا صالحا، فلما كان ب " جبرون " ـ في دمشق الآن ـ جاءته امرأة فأعطته كتابا، فقالت له: اقرأ هذا !

فقرأه لها، ثم ذهبت، فدخلت قصرا ثم خرجت إليه فقالت له: لو بلغت معي إلى هذا القصر فقرأت الكتاب على امرأة فيه كان لك أجرا، إن شاء الله.

فبلغ معها القصر فلما دخل، إذا فيه جواري كثيرة، فأغلقن عليه باب القصر، فإذا امرأة جميلة قد أتته فدعته إلى نفسها، فأبى، فأمرت به فحبس في بيت من القصر، وأطعم وسقى قليلا قليلا حتى ضعف وكاد يموت، ثم دعته إلى نفسها، فقال: أما في الحرام فلا يكون ذلك أبدا، ولكن أتزوجك.

فقالت: نعم!

فتزوجها، وأمرت به فأحسن إليه حتى رجعت نفسه إليه، فأقام معها زمانا طويلا لم تدعه يخرج من القصر، حتى يئس منه أهله وولده، وزوج أولاده بناته واقتسموا ميراثه.

فأقامت زوجته تبكي، ولم تقاسمهم ماله، ولا أخذت من ميراثه شيئا، وجاءها الخطاب، فأبت وأقامت على الحزن والبكاء عليه.

فقال أبو دهبل للمرأة التي تزوجته يوما: إنك قد أثمت فيّ وفي ولدي، فأذني لي أن أخرج إلى أهلي، ثم أرجع إليك. فأخذت عليه أيمانا ألا يقيم إلا سنة حتى يعود إليها، وأعطته مالا كثيرا وفيرا، فخرج من عندها بذلك المال حتى قدم على أهله، فرأى زوجته، وما صارت إليه من الحزن، ونظر إلى ولده ممن اقتسم ماله، وجاءوه فقال: ما بيني وبينكم عمل!

أنتم ورثتموني وأنا حيٌّ، فهو حظكم، والله لا يشرك زوجتي أحد في ما قدمت به.

وقال لزوجته: شأنك بهذا المال فهو كله لك، ولست اجهل ما كان من وفائك، وأقام معها وقال شعرا منه:

ثم فارقتها على خير ما

كان قرين مقارنا لقرين

وبكت خشية التفرق والبين

بكاء الحزين نحو الحزين

فلما جاء الأجل ليعود إلى زوجته الأخرى أراد الخروج إليها ففاجأه خبر موت من تزوجته عنوة، فأقام مع زوجته رضيا مرضيا(١).

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيرا، إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقة عليها بابها وهي تقول:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه

وأرقني ألا ضجيع ألاعبه

ألاعبه طورا، وطورا كأنما

بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه

يسر به من كان يلهو بقربه

لطيف الحشا لا تحتويه أقاربه

فوالله لولا الله لا شيء غيره

لنقض من هذا السرير جوانبه

ولكني أخشى رقيبا موكلا

بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

---

(١) مصارع العشاق ١٣٥ بتصرف.



ثم تنفست الصعداء، وقالت: لهان على عمر بن الخطاب وحشتي، وغيبة زوجي عني، وعمر واقفا يستمع قولها، فقال لها: يرحمك الله، يرحمك الله!.

ثم وجه إليها بكسوة ونفقة، وكتب في أن يقدم عليها زوجها.

ومن حوادث الوفاء في الحب الطريفة أن أرملا كتب تحت تأثير حزنه الشديد على قبر زوجته المتوفية التي كانت هي حبه الأول "إن نور حياتي قد انطفأ".

فلما فكر بالزواج مرة أخرى استشار أحد العارفين فيما إذا يجب عليه أن يمحو ما كتبه على قبر زوجته المتوفية، فقال له: لا داعي لذلك، وإنما حسبت أن تكتب تحت ما كتبت " فأشعلت نورا آخر لأجد طريقي! "

مشكلة الوفاء أنه سهل النطق به لكنه صعب التطبيق. يظن الناس أن من السهل قول: "وأعدك أن أكون مخلصا لك طوال حياتي مهما تكن الظروف!!؟" هكذا بكل بساطة.

هذا كلام كبير ويتطلب تضحيات وإيثار لا يمكن التنبؤ بها أبدا. هب أنك اكتشفت أن من تحب عقيما، هل ستظل طوال حياتك مخلصا له، لا يخالجك ولو حتى التفكير في البحث عن شخص آخر؟ هذه ليست دعوة لمواجهة مع القدر، لكنها دعوة إلى التعقل في الوعود، والحب عن واقع ودراية. جميل أن تحلي الوعود عبارات الغزل فيما بين المحبين، لكن يجب أن يكون كل متفوه بكلمة إخلاص ووفاء أن يتقيد بها ويعمل من أجلها لأنه تلفظ بها ويجب عليه الاعتداد بها.

لا خـيـر في وعـد إذا كـان كـاذبا

ولا خـيـر في قـول إذا لم يكن فـعل



الفراق

لا بد من افتراق لكل تلاق، وهذا حكم الله في العباد والبلاد. وقد سمع احد الحكماء قائلا يقول: الفراق اخو الموت، فقال: بل الموت اخو الفراق!

الا قـاتل الله الفـراق فـإنه

سيف يمزق في الحشا تمزيقا

ووجع الفراق أليم ووقعه في الصميم. وهو حالة من الألم و الحرمان وخليط من الإحساس بالعزلة والوحدة واضطراب نفسي، يصاحبه رغبة في الانسحاب عن العالم، يصاحب تلك الأعراض نوبات بكاء شديدة خاصة عند النساء. يأتي عند فقدان حبيب بموت أو بعد أو خيانة أو انفصال.

يمر معظمنا بتلك المشاعر المؤلمة، مشاعر انفجار الفراق الحزين في قصة حب، تلك المشاعر المرة عند سماع الشاب لكلمات النهاية على فم الفتاة التي أعطاها الكثير من خياله ومشاعره عند سماعه " لقد انتهى كل شيء " إحساسا بجحيم مصغر وقهر مخلوط بالعار و بالهزيمة وكسر للكبرياء.

ومفاجأة الفراق شديدة الوطء أيضا في أعماق الفتاة. تمتلىء بالغيرة والشعور بالمهانة وخيبة الأمل وضياع الكرامة وفقدان الإحساس الجميل بالأنوثة.

أحاسيس الفراق من أكثر الأحاسيس الإنسانية رقة وهي أكثر أحاسيس تعاطاها الشعراء والمطربون غير أن الرصد العلمي به توصيف ودقة أكثر[١].

في أحد التجارب العلمية، قام أحد العلماء بعرض ورقة وألوان لأناس عانوا في حياتهم أحداث فيها فراق وانفصال وبعد عمن يحبون وطلب منهم أن يرسموا له شجرة وبيت. لاحظ العالم أن معظم هؤلاء الفئة من الناس رسموا الشجرة ميتة، بينما الآخرين بدت رسوماتهم أقرب إلى الحياة والشجرة فيها عامرة.

هجران الحبيب أو فراقه..أو وجود مشاكل تؤكد حتمية نهاية العلاقة..أو حتى واقع انتهاء علاقة من أصعب الأمور التي يمكن أن يقبلها المحب. إن مواجهة حقيقة الفراق مواجهة صعبة..إن الاقتناع بأن كل تلك الأمور

(١) سؤال في الحب د. فوزية الدريع ج ٣ ص ٨٣ .

الجميلة والذكريات والعلاقة الحلوة التي حركت الوجدان توقفت يعني عند المحب توقف الحياة..أي الموت. وكثيرون من راغبي الحياة لا يريدون الاستسلام لواقع نهاية علاقة حب...ثم إن الفراق من اشد التجارب النفسية المؤلمة وكلما كانت العلاقة عاطفية شديدة وفيها ارتباط روحي من طرق العاشق وفيها تفاصيل وذكريات واعتماد نفسي على المحبوب كان الفراق قاسيا..وكلما كان المحب العاشق غير مرتبط ارتباطا نفسيا بآخرين مثل الأهل أو بعمل أو هواية يحبها كان أكثر إحساسا بالألم(١).

هناك من المحبين الذين يعانون الفراق من يلجأ إلى حيلة تسمى " تغذية الروح بالأمل والخيالات " . أما الأمل فهو التفاؤل بأنه ربما عاد إليه محبوبه إذا تسنى ذلك كما حدث في قصة يوسف عليه السلام وأبيه بعدما ظن الناس انه بدأ يخرّف. أما الخيالات والمقصود بها هنا تلك الخيالات الواهمة التي توحي بأن العلاقة لا تزال موجودة حتى لو كان سبب الفراق موت حقيقي، فهي حيلة وملجأ لأن التفكير في الفراق الحقيقي قد يؤدي إلى انهيار كامل، ثم إن البعض لا يريد مواجهة فراق فشل العلاقة لأنه يعني فشلهم.

وهناك من المحبين من يجد لذة في الفراق لأنه استطاع أن يرى طريقه بعدما انخدع بمحبوبه الذي لا يستحق إخلاصه. تقول إحدى الفتيات بعدما تخلصت من حبيبها المخادع:

" افترقت عنك ولم أكن أعرف أن فراقي عنك سيجلب لي كل هذه السعادة ليس لي فقط بل إلى قلوب الكثيرين حولي وخاصة أحبابي!!!!! فهاهم يباركون قراري بالفراق عن حبك ذلك الحب الذي لم أنل منه إلا العذاب والآلام من وجهة نظرهم !!!. آه ما أطيب أحبابي الذين كانوا يشفقون علي من كل ذلك العذاب.. أكانت تلك الشفقة نابعة من حبهم لي فقط أم من غيرتهم علي منك وشعورهم أنك لا تستحق كل ذلك الحب... فقد تعبت آذانهم من سماع اسمك مئات المرات في اليوم الواحد.. وتألمت قلوبهم من آهاتي وآلامي ودموعي فقد كان حبي لك مجنونا .. أجل مجنون بكل ما تعني تلك الكلمة بعيدا عن المنطق والعقل فقد كان العقل في تلك الفترة.. فترة حبي لك.. غائبا. ولكن مع كل ذلك الحب الذي لم يكن له حدود افترقنا !!!!! نعم افترق قلبي عن قلبك بعدما ذاق منه الويلات ولم يعد يحتمل المزيد.. فقد

(١) سؤال في الحب د. فوزية الدريع ج ٣ ص ٨٦ .

تحطم على يديك قلبي المسكين كثيرا وقتلت فرحته كثيرا جدا جدا.... نعم افترق قلبي عن قلبك ولم يعد يعبأ بك أو بمن تكون.. بل لن يتحطم ببعادك عنه مثلما حطمته كثيرا فقد أصبح أكثر صلابة وقوة ولا لن يبكي عليك أبدا فقد نضبت الدموع. نعم افترق قلبي عن قلبك وهو مرفوع الرأس، فهو من اتخذ ذلك القرار ولم يعد خاضعا لحبك، ذليل له، فقد أعيد له اعتباره وبكل قوة... نعم افترق قلبي عن قلبك وهو نادم ولكن هذه المرة ليس عليك وإنما على نفسه لأنه ضيع أجمل أيام حياته في حبك.. إذن وداعا، وداعا لذلك الحب الذي لم أجن من وراءه إلا الدموع والألم والآهات وهنيئاً لك يا قلبي المسكين بذلك القرار ".

كانت إحدى الفتيات تعشق رجلا متزوجا وكانوا يهيئون أنفسهم لزواج ربما يتم. لكن بعد أن نظر الرجل إلى وضعه وعائلته التي معه، أيقن أنه لا يملك القدرة على الزواج، وأنه لا بد من قطع العلاقة مع تلك الفتاة التي أحبته بإخلاص. استطاع أن يلتقط أنفاسه وأن يجهز نفسه " لمناسبة الفراق " وحضر لها من الأسباب ما يدفعه على فعل ذلك. ثم أخبرها في إحدى الليالي التي اعتادوا على التحدث فيها بحديثه كاملا شافيا. تقبلت الأمر الفتاة في البداية وتفهمت ثم تودعا. لكنها ما أن رجعت إلى نفسها ورأت أختها التي كانت تصارحها بكل أسرارها وأحاديثها في تلك الليلة أمامها، حتى رمت بنفسها عليها وانفجرت بالبكاء وأختها تكرر الاستفهام عن سبب ذلك النحيب الشديد.

وليس الذي يجري من العين ماؤها

ولكنها روح تذوب فتقطرُ

حكت لأختها القصة وأختها تمسح دموعها مواسية ومتأثرة. تتساءل الفتاة وتقول لأختها، لماذا أتألم هكذا وهو يودعني وكأنني لم أكن شيئا في حياته. لماذا مرارة الفراق تكاد تقتلني وأشعر بالذنب كلما تذكرت أني أخلصت له الحب رغم أنه متزوج.

كذالك يفعل الفراق، وان له لغصة.

مالت تودعني والقلب يغلبها

كما يميل نسيم الريح بالغصن

ثم استمرت وقالت وهي باكية

يا ليت معرفتي إياك لم تكن



الوصال

إن لانتظار رؤية من نريد في مكان ما، بعد ترقب ووله واشتياق، ثم ظهوره علينا فجأة للذة ما يعادلها لذة. فيها سعد طالع، وروعة فتانة، تتبادل فيها العيون جملا لا أحرف لها، مفهومة لدى العاشقين مفادها أهلا و مرحبا!

إذا نظرت نحوي تكلم طرفها

وجاوبها طرفي ونحن سكوت

عندما يتأجج لهيب الجوى وتتوقد نار الشوق خاصة بعد طول غياب أو امتناع، يحصل الوصل وتتجدد الحياة. وإن الذين يحبون ويعشقون ثم هم يتواعدون بسهولة، ويتقابلون بسهولة، ويخرجون على الملأ بسهولة، قد تعتريهم لفحات من الملل لعدم توفر عنصر الإثارة في فرحة اللقاء والظفر بالحبيب.

إن الابتسامة المفاجئة عند اكتمال رؤية هيئة الحبيب، مع ما يرافقها من تهلل الوجوه ثم انبلاج الابتسامة ثم التحية المصحوبة بالرقة والسرور، هي التي تعطي طابع الحب الكبير فيما بين المحبين إذا تحققت.

وفي عميق الحب، يزداد الظمأ كلما زاد ماء الوصل، خصوصا إذا عدم الرقيب، وتوافقت الأخلاق الراقية، وتشابهت المحبة، وكان الاجتماع على ما يرضي الرب ويعمي عين الحسود، فوالله إنها لنعمة ما بعدها نعمة.

أقام الحب حبكِ في فؤادي

وحبي في فؤادكِ قد أقاما

كلانا وامق كلف معنى

بصاحبة ولا يبغى الحراما

أحب حديثها وتحب قربي

وما أن نلتقي إلا لماما

فيا ليت النهار يكون ليلاً

وليت الصبح لا يجلو الظلاما

ويا ليت الحمام مسخرات

لترسل في رسائلنا الغراما

في الحب، توقع أن تخرج من البيت يوم من الأيام هكذا لا تعرف إلى أين أنت ذاهب، يعتريك شعور بأنك ستجد شخصا ترتاح له وتعشقه هو ينتظرك في مكان ما يجب أن تذهب إليه. ستراه، وعندما تراه تشعر بأن وصالا قد تم بعد طول غياب. رؤيا وإلهام من وحي الحب، مشتاقا يسعى إلى مشتاق.

لو كنت تدري ما الحب يفعل

بالوصل يوما ما كنت تبخل

يا من هواه أضنى فؤادي

كالبدر أنت بل أنت أجمل

جمال الحب وعبقريته، أنك تعيش رنات الفرح المباغتة، ومفاجآت الحدث الفائقة وغيرك يفتقدها. والسعادة في الوصال في متناقضاته، تتألم وأنت تتأمل، امتزاج بين النار والنور.

ومن ألذ معاني الوصال... الموعد واللقاء... بقصد أو من غير قصد... لسبب رئيسي أو لسبب مبطن...فكم من اثنين يريدان اللقاء اتفقا على الاجتماع من أجل بحث موضوع ما... أو لحضور مناسبة أحدهما أو كلاهما لا تعنيه المناسبة بشيء...اتفقا لا من أجل شيء سوا الظفر برؤية الآخر مرة أخرى وأنت تعرف قصدي!

لله وقفة عاشقين تلاقيا

من بعد طول نوى وبعد مزار

يتعاطيان من الغرام مدامة

زادتهما بعدا من الأوزار

صدقا الغرام فلم يمل طرف

الى فحش ولاكف لحل إزار

فتلاقيا وتفرقا وكلاهما

لم يخش مطعن غائب أو زار



ألم المقاومة!

لا شك أن مداخل الحب سهلة جميلة، نظرة عابرة هنا وابتسامة هناك، لكن في المقابل مخارجه صعبة وعسيرة. إن اشتعال نار الحب في القلب إذا تأججت ونمت وتهيجت كان لمقاوماتها ألما لا يضاهيه ألم، إلا ألم السن!

والأدهى والأمر أن نار الحب ليست نارا من النوع الذي نكره، هي نار لا نريد إطفائها ولا إبقائها، نفضل مرورها من غير أن نشعر بها، لكن ذلك صعب المنال.

تعرف أن لظى النظرة الأولى لا بد من كبح جماحها لكنك تنظر وتنظر... انجذاب رهيب وحالة ضعف قصوى... يهزك الطلب وتستجيب لنداءات الألحاظ...فتنظر مرة أخرى وتكتشف أن الشعور متبادل... عندها تتألم وتتحدث بصمت مع نفسك... فتهيم وتعيش سكر المحبين... فتقول لا أستطيع المقاومة.

وقد كان لي قلب وكنت بلا هوى

فلما عرفت الحب صرت بلا قلب

بين شوق يدفعك وخوف يمنعك...تثور من الداخل وتفور...تريد بث لواعجك لمن رأيت لكن تشعر بالجدار العازل الأوّلي الذي لطالما تفضل على كثير من العشاق في تخفيف ألم المقاومة. ثم لا تلبث حتى تكسر ذلك العازل وتندفع نحو مصير مغيّب مشتاقا يسعى بشوق إلى مشتاق.

ويمزقك الألم بعد لقاء سريع وسلام خاطف...تتمنى لو أن الوقت توقف هناك...ثم تكتشف بعد حين أنها وصلت إليك بطريقتها وعرفت عنك الكثير...قد فهمت حيرتك وأدركت لوعتك وكأنها فتحت لك أبواب التعبير عما يجيش في صدرك من حديث، حديثا يغلي بداخلك كغليان المرجل...عندها تتمنى لو أنها أمامك تبوح لها بما جرى...لكن الكلمات تتعثر في مواقف كهذه.

تتجرأ وتتصل بك... فتسمع صوتا دافئا ونغماً مألوفاً كأنها هي... وهي هي... تصمت قليلا ثم تتكلم... وترد أنت... ثم تصمت أنت قليلا وتتكلم... لا يعرف من أين بدأ حديثكم أو كيف جرى... تحادثتم وكأنكم لم تتحادثوا!

فينتهي الحديث بسرعة... ولا يتذكر أحد ما ذكر... وتبدأ "لو قلت كذا وكذا بدلا من كذا وكذا" وتتطاير الأفكار ويعصف الذهن وهي فعلا لحظات.

فما هو إلا أن أراها فجاءةً

فأبهت حتى ما أكاد أجيب

فـــأرجع عن رأيـي الذي كـــان أولا

وأذكـــر مــــا أعـــددت حـين تغـــيب

فتعود إلى نفسك...وتندم...لماذا أنت هكذا ضعيف...لماذا بدأت ما لا تطيق ووقعت فـي بحر عميق...فتـتذكر بهجـة الابتسامـة على محـياها وفـرحتـها بالنظر إليك...ويصيح في أذنك رقيق صوتها وجميل قولها...أرجوك أعطني فرصة أنا لا أستحق منك ذلك.

يهاتفك هاتفا صاعقا إلى الحب...وكأنه يقول اقفز اقفز...وأنت لا تعرف مدى عمق البحر الذي سوف تلقى بنفسك فـيه...حيرة عارمة...تنجذب يداك إلى الهاتف لتنهي ما بدأت لكنك تعود ...ثم تهم ثم تعود...ثم تهم ثم تعود!

في كل دقـة قلب...ينصـعق الفـؤاد ويرتجف البـدن وتـرتعش الشـفـاه... وكـأنك تراها هناك مـتوارية تـترقب حيـرتك ومقـاومـتك...وكأنـك أصبـحت أسيرا حتى قبل أن تبدأ الحرب لكن هذه المرة بلا راء!

ثم تتسـاءل... لماذا الهرب... لماذا اجلس تحت مظلتي في وقت المطر بـينما غيري يسعى ويلعب في الخارج مع زخات المطر وهو يتبلل سعيدا لا يأبه لذلك.

في القرب عذاب وفي البعد عذاب وكيف يكون هنا تحمل العذاب؟

انك تهواها إذن...لكنك تخشاها...وهي لا هي التي معك الآن تآزرك...ولا هي الـتي مــانعــتك منذ البـداية...وهنا الـعـذاب! تـهـرب مـن الفــراق إلى الفراق...وتتـوارى بالعذاب من العذاب...بين غرق وأرق...ألم في المقـاومة... وكيف الحيلة... وقد أدركت قطرات حنانها... ولا مجال لإخفائه. تتألم كثيرا وتتـألم...ثم تعرف أنـه لا بد من المقـاومـة...لا بد من ـ منع الحب ـ قـبل أن يستشري في الروح والبدن فتتشنج الحواس ولات حين مناص!

تتـجـرأ وتسـتـجـمع قـواك وتـحمل الـهاتف فـتـتصل...فـتبين، وتفـصل، وتشرح، وهي تستمع...ثم تبرر وبعدها تـقرر وهي تستمع...ثم تسمع منها "سوف أنفذ ما تريد"!

عندها تعيش آخر رمق المقاومة ولسان حالك يقول:

بعـضي على بعـضي يجـرد سيـفـه

والسـيف منـي نحـو صـدري يرسلُ

النار تـوقد فـي خـيـام عـشـيـرتي

وأنا الذي يـا لا المصـيـبـة يُشــعلُ



العشق عند الطلبة

قد لا يختلف معي أحد إذا قلت إنه قد يتغير مسار حياة شخص ما بمجرد سماعه كلمة أثرت فيه من شخص آخر. فهناك من الكلمات الكثير التي لا تزال ترن في أذني كما لو أنى اسمعها الآن.

من تلك الكلمات ما قاله أستاذ جامعي في أول يوم دخل فيه الفصل علينا وعلى وجهه علامات الإرهاق وثقل كاهل الحياة.

قال: عندي لكم بشرى سارة!

هكذا بدأ الكلام فشد انتباهنا إليه وأخذنا الفضول على أن نستمع لما سوف يقول الدكتور بعناية. فتابع يقول، أبنائي، يجب أن تعرفوا أنكم تعيشون أروع وأسعد مرحلة في حياتكم ألا وهي الحياة الجامعية.

أعرف أن بعضكم الآن يقول في نفسه " إلهي إذا كانت هذه هي أفضل مراحل حياتي فلا خير في الباقي " لكن شئتم أم أبيتم انتم تقضون مرحلة من أفضل مراحل العمر.

لم أتذوق فحوى تلك الكلمات حتى تخرجت من الجامعة وبدأت العمل ورأيت الفرق بين المرحلتين. الشاهد من هذا الحديث أن الطالب يقضي أجمل أيامه في الجامعة. في هذه المرحلة، يبدأ يتشكل الفكر، ويختار فيها الطالب مساره، وتتفجر مواهبه وطاقاته، وتظهر هويته، فيلتحق بالمنظمات الطلابية ويشارك في الأنشطة المختلفة، في خضم هذه الأعمال، قد يقع الطالب في شراك الحب وهو في مراحل الدراسة الأولى.

هنا تبدأ حياته تتغير، ويصبح " طالب عاشق "، في معظم الأحيان يكون هذا العشق كعشق المراهقين.

نعم، أرجوك لا تغضب، فعلماء النفس عندهم عشق يسمى " رومانسية الشباب ". يقع فيه معظم الشباب لاندفاعهم في الحياة وعدم تحملهم المسؤولية. في هذا العشق، لا يحكم الشاب أو الشابة فيها العقل، بل عشقا محضاً لا يعرف ما نهايته، كالفقاعة لا يكاد يكبر حتى ينفقع.

لكنه في هذا النوع من العشق، يكتسب فيه الطالب بعض الخبرة التي تجعله أكثر عقلانية إذا وقع في حب حقيقي في المستقبل.

وتأكيدا على أن حب المراهقين يغلب عليه التقليد الوهمي، هناك دراسات

طويلة شاسعة أجريت على البنات المراهقات في مجتمعات وحضارات كثيرة وجدت الدراسة أن البنات المراهقات يقعن في الحب نتيجة تقليد ومحاكاة للمجتمع(١).

وهناك الكثير من حالات فشل المراهقين والشبان من الجنسين في حياتهم الدراسية إنما يرجع إلى ذلك الحب السريع الذي غالبا ما يكون فخ شيطاني. فيصرف طاقات المراهق او الشاب النشاطية التي كان يجب أن تسخر للنشاط الذهني واستيعاب الدروس فيحولها إلى ارتسام صورة للحبيب يظل يسرح الطرف فيها في قاعات الدراسة فلا يكاد يعي ما حوله ويصبح كل ما حوله من مناحي الحياة الضرورية شيء ثانوي.

لا يمكن أن يكون هناك طالب لم يراوده الشعور بأنه قد حان له الوقت أن يحظى بشخص يعشقه. في هذه المرحلة، يغلب التردد عليه، إذ انه يقف ويتسائل، هل أنا فعلا مستعد لتكوين علاقة تأخذ من وقتي وتشغلني؟ هل هذه العلاقة ستتوج بالزواج وهو ما يصبو إليه كل شخص، أم أنها ستكون مضيعة وقت وأحلام عصافير؟

مرحلة الدراسة عامة إذا افترضنا أن سن الطالب فيها من السابعة عشر إلى الحادي والعشرين، هي مرحلة الأوهام والخيالات العاطفية، ومعظم الحكايات التي يتبادلها عشاق الطلبة مغامرات لا أصل لها، يحكونها لبعضهم البعض على أنها مآس، ودراما حب عنيف يكتوون بنارها ويشتكون آلامها، هي في الواقع نزوة أو شهوة سريعة، السعيد من يمر بها من غير تورط في حماقات.

" سارة " من روائع الأدب العالمي، وملخص الرواية أن فتاة حباها الله بروح شفافة ورومانسية عاشقة، لكن تلك الروح كانت حبيسة جسد غير جميل. وكانت ساره تعيش قصص حب صديقاتها حدثا بحدث، أفراحهن وآلامهن، ثم تأوي كل يوم إلى فراشها والحسرة تقتلها ودموعها على وسادتها، تشتكي حظها العاثر لعدم وجود قصة حب بعد في حياتها. وتمر الأيام وتبدأ صديقاتها بالسؤال عما إذا كانت سارة قد مرت بقصة حب أو لحظات غرام في حياتها؟

أمام كل تساؤلات الصديقات اختلقت ساره المسكينة قصة جميلة ورائعة مرادها أن شابا أرسل لها رسالة وهي من كتب تلك الرسالة!

(١) «سؤال في الحب» ج ٣ ص ١٨ د. فوزية الدريع.



كتبت تلك الرسالة بكل الشوق والألم الذي كانت تعيشه، حين قرأت ساره ما كتبت على صديقاتها تأثرن بها كثيرا وألحوا الطلب على سارة أن ترد على ذلك العاشق المتيم بأسرع وقت. وبالفعل كتبت سارة الرد على نفسها برسالة مؤثرة أيضا. وهكذا تكتب لنفسها وترد في نفس الوقت وصديقاتها يستمعن إلى الرسائل والردود بشجن ومشاركة وجدانية. ولأن لكل شيء نهاية بدأن الصديقات في التساؤل عما إذا كان لحب ساره نهاية كزواج مثلا، وكانت هي في آخر المطاف قد توصلت إلى وهم أنها فعلا في قصة حب مع شاب آخر!

بعثت بعد ذلك رسالة إلى نفسها تطلب من الشاب اللقاء..لكنها ردت في الرسالة الأخرى أن الشاب يخبرها بنهاية المطاف وانه لا بد من الفراق..وفي عز هذا الوهم لم تتحمل سارة رد الشاب لها مؤذنا بالفراق فانتحرت لذلك!

الحب الحقيقي معاشر الطلبة العشاق شعور ناضج وعميق لا يمكن أن يأتي الرجل أو المرأة قبل العشرين لأنه يحتاج إلى درجة كبيرة من النمو العقلي ومن اكتمال الخبرة. أي تجربة عاطفية يدخلها الشاب بما تحويه من مواعيد وأحلام، ستترك في أعماقه حيرة، وسيظل فهمها عنده ناقصا إلى أن ينمو هذا الفهم من خلال علاقة حب عميقة ودائمة في إطار الزواج.

ومن الأمور التي تخفى على الطالب العاقل أن يرى أنه إذا لم يكن عنده خليل أو عشيق يحبه حبا شديدا، انه غالبا لم يتلذذ في هذه الدنيا أبدا. وهذا مفهوم خاطيء وتلبيس إبليسي. وليعلم انه في زمن مجاهدة للهوى وتعلم العلم، فلا يفرط في وقته فيحصل الندم بعد حين.

وكثير من الطلبة يقعون في مستنقعات حب غير عفيف لمجرد أنهم يرون غيرهم يفعل ذلك. وهذا خطأ فادح، فليس بالضرورة أن كل طالب يجب أن يتمتع بمحبوب يتصل به ويحادثه. لا، لا أبدا، بل بالعكس، فمن المشاهد أن أكثر الطلبة الذين لا يمرون بتجربة علاقة قبل التخرج يحظون براحة بال أكثر و أداء أفضل في التحصيل الدراسي.

أثبتت دراسة علمية جديدة أجراها العلماء في كلية لندن الجامعية أن الأشخاص الذين يقعون في الحب ليسوا عميانا فقط بل لا يفكرون على الإطلاق![(١)].

(١) عن موقع «مصراوي» علوم وتكنولوجيا .

تقول نتائج الدراسة بعد أن أخذت عينة من أناس يعيشون حالة عميقة من الحب، إن الحب نشط أجزاء الدماغ المسؤولة عن الحدس والبديهة والشعور باضطرابات المعدة والاستجابات الدوائية ولكنه ثبط نشاط المناطق المسؤولة عن التفكير والإدراك.

وقال الخبراء إن هذه الدراسة تؤكد بصورة قطعية أن الحب هو أحد وظائف الدماغ، وتعطي تفسيرا معقولا للسبب الذي يكمن وراء التصرفات الغبية والحمقاء للمحبين الذين لا يستطيعون الحكم جيدا على الأشياء بسبب ضعف نشاط المنطقة الدماغية المسؤولة عن ذلك.

وإذا كان الحب يعطل تفكير الإنسان يرى الباحثون أن من المستحسن عدم الوقوع في الحب إذا كنت طالبا أو معلما أو محاضرا جامعيا أو عالما!



همسة في أذنك حواء!!

أودع الله سبحانه وتعالى عند الذكر والأنثى سواء، مشاعر وأحاسيس وعواطف ورغبات ذات طابع نفسي. ولعل أكثر هذه الحاجات العاطفية رغبة هي الحاجة إلى الحب. والرغبة في الحب والانتماء إلى شخص آخر هي أكثر إلحاحا عند الأنثى. وليس أقسى على حواء من أن تشعر بأنها وردة لا يشتهيها أحد، أو عطر لا يرغب فيه أحد، أو درة لا يطمع مخلوق في امتلاكها، وإلا فماذا عسى أن تكون فائدة تلك الأنوثة التي لا تغني شيئا. لا أتصور أن هناك شعورا أسوء من أن تخاف حواء من شبح العنوسة. فتنزلق نتيجة لذلك في أول كلمة غزل تسمعها من أي شاب.

ومع ذلك فهي أيضا وحدها التي تستطيع أن تخرج الرجل من عزلته الأليمة، لأنها هي التي تنفذ إلى أغوار الرجل وباطن ذاته. فتتيح له الفرصة لأن ينكشف لها على ما هو عليه في قرارة وجوده...وربما هذا هو السبب في أن علاقة الرجل بالمرأة ذات طابع خاص. وكما يقول المثل الحبشي: المرأة شفقة الله على الرجل!

في دراسة لها تقول الدكتورة نورية الخرافي الأستاذة في كلية التربية في جامعة الكويت " إن الواقع في الكويت يشير إلى أن نسبة لا يستهان بها من الفتيات والشبان يمرون بتجربة حب قبل الزواج. والأمر الذي يدعو إلى الأسف أن الكثير من الفتيات اللاتي يقعن في الحب قبل الزواج، لا يتمكن من الاقتران بمن أحببن، ويرجع السبب في ذلك إما إلى العادات والتقاليد بسبب الفوارق الاجتماعية أو إلى طبيعة الشاب الخليجي الذي يرفض الاقتران بفتاة ربطت بينه وبينها علاقة حب ـ وهذا السبب الأهم ـ إذ انه يفقد الثقة بها، لاعتقاده انه ليس الأول وبالتأكيد لن يكون الأخير في حياتها. خاصة إذا سمحت له بالتحدث إليها عبر الهاتف بكلمات غزل فاضح، أو سمحت لنفسها بالخروج معه منفردين " .

نعم حواء، هذا الكلام منطقي ومشاهد على أرض الواقع. وخصوصا بين طلبة الجامعات والمعاهد. فلا تأسرك نظرة عابرة أو كلمة مؤثرة من شاب معاكس أو فتى عجول يريد أن يجعلك تجربة عاطفية لشخصه لا يكاد يرعوي حتى ينهيها فيجعلك معلقة تعضين الأنامل وتسهرين الليالي، تندبين حضك العاثر عندما لم تترددي في فتح أبواب قلبك له، كيف لا وأنت المتضرر الأول والأخير.

فالرجل يتخيل السعادة، لكن المرأة هي التي تقوده إليها. وهناك مثل فيتنامي يقول أن الفتاة كقطرة المطر: لا أحد يعلم هل تسقط في قصر أم في وحل.

وأنت في ذلك محل ثقة، فلا تقدمي على شيء قد يجعل الألسن تلوك في سمعتك، وتجبري أولي أمرك أن يسحبوا الثقة منك خصوصا ونحن في مجتمع يضع مسؤولية الخطأ على عاتقك أنت. فقد تحبسين في المنزل، أو تحرمين من الدراسة أو العمل لأنك لست كفئا للثقة التي منحك إياها من هم أقرب الناس إليك، أهلك وأولياء أمرك.

ناهيك عن النظرة التي سينظرون بها إليك إن أقدمت على علاقة عاطفية لا تمس للعفة بصلة. والوقاية يا حواء خير من العلاج.

وفي دراسة د.الخرافي السالفة، ذكرت بعض الخطوات التي تحفظ بها الفتاة الشابة نفسها من الوقوع في مثل هذه المزالق منها:

١- السير وفق منهج الله عز وجل، فلا تربط نفسها بعلاقة غير مشروعة، وإن حدث وصارحها شاب بإعجابه بها وبرغبته في تكوين علاقة معها، فعليها أن تفهمه بحزم وبنبرة صوت تدل على احترامها لنفسها، بأن هناك وسيلة شريفة ومشروعة يستطيع من خلالها تكوين مثل هذه العلاقة، وهي التقدم بصفة رسمية إلى ذويها، فإن كان الشاب جادا في إعجابه، فسوف يزداد احترامه لها، ويتقدم لأهلها بصفة رسمية، أما إن كان يهدف للهو والترفيه غير البريء، ومجرد قضاء وقت ممتع، فسوف ينسحب من حياتها فورا ليبحث عن فريسة سهلة المنال.

٢- أصبح ظهور الفتيات بالأسواق والمحلات العامة بكامل زينتهن التي هي اقرب إلى التبرج منها إلى الحشمة ظاهرة ملفتة للنظر. والكثيرات منهن يلجأن إلى هذا الأسلوب اعتقادا منهن أنهن بهذا التبرج سيحظين بزوج المستقبل. بينما هو في الواقع ما هو إلا دعوة صريحة للشباب للتحرش بهن، والتطاول عليهن. فالجمال ليس بالتبرج ولا بالملابس الخليعة. وعندما يبحث الرجل أو الشاب عن امرأة أو شابة تكون أما لأولاده في المستقبل لن يبحث عنها في الأسواق أو المحلات العامة، فالجمال الحقيقي بالنسبة للرجل الناضج هو جمال الأخلاق والسمعة الطيبة.



٣ـ أن تحتاط لنفسها ولا تخرج مع شاب إلى أي مكان، ولا تتحدث معه على الهاتف، وإن حدث وحدثها أو تكلمت معه فلتكن في منتهى الحذر والحيطة فيما تقول وتتلفظ، ولا تضع أي مستندات أو أوراق في يده كصور لها على ظهرها كلام كتب خصيصا له، أو خطابات تحمل عبارات حب وغزل، لأن هذه الأشياء غالبا ما تستعمل كأدوات للضغط أو الابتزاز.

٤ـ لتجعل إيمانها بالله قويا ولا تندفع وراء شاب لا تعرف عنه سوى كلمات غزل غير صادقة، لا لشيء إلا لتنقذ نفسها من شبح عنوسة رسمها لها ذهنها، ولتعلم أن كل شيء بقدر الله سبحانه وتعالى.



لا تتنازل عن حقك في المشاهدة

ليس في هذا الوجـود من إنسـان إلا وفيـه قلب ينبض، وعـينان تشاهدان، والقلب لا يخلو من همسة حب، وذرة رحمة. ولكن استعمال هذه الهمسة.. ربما تسخر في إفساد المجتمع أو في إصلاحه، ولا بد للشاب أن تصبح عنده علاقة حب مع إنسان ما، ربما تكون حقيقية أو خيالية، وكذلك الفتاة.

نريد أن نبحث عن مدى هذه العلاقة، وكيف تتم؟ وماذا تكون نهايتها في نظر الإسلام؟

إن أول ما يستدعي الانتباه لحل مشكلة العلاقة، هو قول نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم: لم يُرَ للمتحابين مثلُ الزواج (رواه ابن ماجه والحاكم).

لقد اعتبر الحب ناقصاً إذا لم يُتوج بالزواج، وليس بالحب الحقيقي إذا لم يصدّق بالزواج. لهذا نرى أن الإسلام أوصد باب العلاقة، أمام كل من يريد أن يلهو بها من الطرفين معاً ، فجعلها محدودة لكي لا يكون هناك أي مجال للشذوذ والتلاعب وحينما تبدأ نسمة الحب ، يُطلب من المحب أن يعقد القران فوراً، فلا داعي لتضييع الوقت، وإعادة النظر مرة بعد مرة، لأن الثقة متبَادلة بين الطرفين.

ولكن لما فقدت التقوى توفرت دواعي فقدان الثقة، وظهرت مرحلة (الخطبة) فوجب الحذر الشديد من هذه المرحلة شديدة الحساسية.

وعلاقة الشاب المؤمن، أو الفتاة المؤمنة فمرتبطة برباط الشريعة وهذا الرباط يؤدي ـ إن تم الوفاق ـ إلى ارتباط الزوجين معاً.

وقد حثّ الإسلام وأكد على ضرورة رؤية الخاطب للمخطوبة والعكس ، لكي لا يحدث في يوم ما كُره من أحدهما للآخر، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار وقد خَطب فتاة : أنظرت إليها؟ قال الرجل: لا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاذهب فانظر إليها ، فإن في أعين الأنصار شيئاً (رواه مسلم وغيره). ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة: انظر إليها فإنه أحرى أن يُؤدَم بينكما (رواه الترمذي وابن ماجة) .

ولاغرو في ذلك فإن النظر يورث المحبة ، والكلام يزيل العوائق ، وهو سبيل لحصول المودة التي تسبق السَّكَن (الزواج)[1] فلا تكون بليد الفؤاد تتزوج شخص لم تره قط، هذا حق شرعي لك فيه فائدة وقصد، انظر إليها، وأنت انظري إليه، لأن هذا هو الوقت المناسب لأن يتخذ كل منكما القرار الأخير. ذلك أسلم وأفضل من وقوع حالات الطلاق والانفصال في السنين الأولى لكثير من حالات الزواج في مجتمعاتنا.

النظر إلى الحبيب مهم جدا في علم النفس، وهناك من يعيش مع نفسه قصة حب من لمحة سريعة رأى فيها شخصا ما، ويتمنى اللقاء به، وتلتهب المشاعر كلما فكر فيه، وما أن يراه وينظر إليه مرة أخرى بنظرة فاحصة، حتى ينقشع ذلك الشعور، وتذبل المشاعر ويكتشف أنه لا يميل إليه أبداً.

(١) الشبكة الإسلامية «آدم وحواء في واحة الحب» .



هل يأتي الحب متأخراً

رغم تغير الزمن واجتماع المحبين مع بعضهم البعض بسهولة، ورغم سهولة رؤية الشاب للشابة التي يريدها أو يفكر في الاقتران بها، خصوصا مع تطور وسائل الاتصال في عالمنا الحالي، تبقى العادات القديمة في تأثير العائلة والمحيط الذي يعيش فيه الشخص هي الأقوى وربما الأصلح في عملية اختيار شريك الحياة. من ذلك المنطلق، قد يحدث الحب الألفي بعد الزواج وإن له لنكهة مختلفة عن باقي أنواع الحب تماما كما هو اختلاف فاكهة خط الاستواء التي لا توجد إلا في أماكن زرعها.

تحكى إحدى الفتيات قصة وقوعها في الحب بعد أن زوجها أهلها بشخص لا تعرف عنه شيئا. و في هذا النص فائدة كبيرة خاصة للمجتمعات الخليجية التي كثيرا ما يقع فيها هذا الأمر. والأنثى قد تخفي الكثير من أسرار مشاعرها، لكنها عندما تجد الوقت المناسب والمساحة الكافية، فإنها تبوح بما لديها بدون تحفظ أو استئذان لتبث أحاسيسها ومشاعرها، تنهداتها وآهاتها، أمنياتها وأحلامها، لتكشف عن بعض غموضها.

تقول الكاتبة حصه: " تلامست أيدينا ولكن نظرة الجزع والخوف مرسومة على وجهي ، لم أكن المسؤولة عن ذلك فأنا لا أعرفه وهو لا يعرفني ربطنا القدر مع بعضنا برابط سمي رباط الزوجية ، الذي انعقد بيننا من غير إرادتنا فقد تم الأمر بسرعة فائقة ، فقد حضرت أمه لزيارتنا ولم يفت على هذه الزيارة فترة طويلة إلا وقد تمت خطبتي ومن غير مقدمات أو خطوط مرسومة أمامي ، كان الأمر أشبه بالدخول إلى فوهة عميقة مظلمة تجهلين مصيرك فيها .

أجبرت على هذه الخطبة فكان القرار راجعاً لوالدي الذي اعتبر هذا الرجل المناسب لابنته فقد قرر ونفذ قراره، أما أنا فلم أكن أملك الجرأة على معارضة رب الأسرة الذي رباني وجزاء على تربيته يجب أن انصاع لأوامره، جلست ليال عديدة أتساءل هل ما أقدمت عليه صواب أم خضوع لرغبة غير رغبتي. كان كل ما هو محيط بي مجهولا حتى مستقبلي مجهول.

تمت الترتيبات ولم أحظ بمقابلة الرجل الذي أصبح زوجي إلا مرة واحدة كانت قصيرة وتحتوي على مشاعر باردة أو بالأحرى فكر مضطرب وأيدي مرتجفة تتعانق، لقد تم الأمر وربطنا القدر برباط الزوجية.

كان واضحا عليه التوتر لدرجة أنه لم ينظر إلي، خفضت رأسي وظللت أفكر من هذا الرجل الجالس بجواري الواضع يده فوق يدي، مر الوقت عصيبا عليّ فالصمت كان يزيد من خوفي وأخيراً نطق وقال: " أتمنى أن تكوني زوجة صالحة وأن تحترميني وتطيعيني وتحافظي على بيتي ولا تنسي واجباتك المفروضة عليك." كان يلقي أوامره بطريقة آلية خالية من أي مشاعر تخيلت بأن هذه اللحظة ستكون توافقا بيني وبينه ونقوم برسم مشاريع جميلة المستقبل وبناء أساسيات حياتنا.

رفعت رأسي ونظرت نحوه وما أن تقابلت نظراتنا لم أستطع التكلم اعتبرت هذا جزءا من شخصية الفتاة الخجلة وفرض الرجل لنفسه بشخصيته ورجولته، استجمعت قواي وقلت: " أتمنى أن تكون زوجاً صالحاً كما سأكون زوجة صالحة لك وأن تحترمني وترعاني مثلما سأفعل "، كنت كالمتحدية له ففرضت قوانيني أيضا؛ أمر سخيف أن يفرض كل منا قوانينه على الآخر منذ أول ليلة لنا مع بعضنا.

- " سوف تنطلق طائرتنا في الساعة الثامنة صباحاً سوف نقضي شهر العسل في الخارج أرجو أن تكوني مستعدة "، أحسست بالرضا قليلاً لأنه أوضح بعض النقاط أمامي واعتبرتها بداية لمعرفة بعضنا من غير ضغوط.

انطلقنا في رحلتنا وما زلت أشعر بوجود حاجز عائق بيننا، مرت الأيام الأولى مملة قليلا ما نتحدث كنت أعلم بوجود أمر غريب في هذا الرجل الغامض، شيء بعيد من أن تكون مسألة بعد بحكم الطبيعة لزوجين لم يتقابلا من قبل، أردت بناء علاقة جميلة عن طريق التحدث عن حياتي ولأكسر حاجز الجمود فبدأت بأول خطوة من ناحيتي، كنت أحب التحدث بعفوية أما بالنسبة له فكان لا يتحدث كثيراً.

- " هل أزعجتك بحديثي فأنا أرغب أن نتبادل الأحاديث لكي نتعرف على بعضنا "

- " لست أرغب في الحديث،وما الفائدة من معرفتنا لبعضنا الآن فقد تم الأمر وأصبحنا زوجين. " كان في كلامه مرارة غريبة وقسوة واضحة مما أشعل لدي الغضب فقلت: " يحمل تفسير كلامك بعدم رغبتك بهذا الزواج؟ "



انتظرت بخوف إجابته عن هذا السؤال ولكنه أدار ظهره وذهب شارداً بذهنه للبحر المطل أمام المنزل الذي استأجرناه لقضاء شهر العسل فيه، في ذاك الوقت قد علمت إلام ستؤول عليه حياتي وبأنها لن تكون سهلة وبأن هذا الرجل الذي أصبح زوجي صعب المراس ولن أستطيع فك رموز شخصيته.

في تلك الليلة لم تكف عينيّ من الدموع حزناً على تلك الأحلام الوردية التي ترسمها كل فتاة لفارس أحلامها، كنت لا أعلم ماذا سيحصل بيني وبين الرجل الغريب الذي لا أعرف عنه إلا أنه زوجي.

فاجأتني ذراع قد ألتفت حولي لتضمني إليها بدفء عميق ويد تمسح دموعي وهمسات تتسرب إلى مسامعي وتقول: " قد حان وقت النوم وغداً سنتكلم " نهضت مبكراً لأشهد شروق الشمس ونسمات الهواء الرقيقة ملامسة وجهي وأمنيات صادقة بأن تشرق السعادة على حياتي التي لا أرى مؤشرها إلى الآن.

ذهبنا للسير على الشاطئ والصمت يحيط بنا إلى أن قمت بالدندنة بأغنية أحب أن أدندنها وأنا وحيدة متجاهلة زوجي الصامت إلى أن قال: " أرجو بأني لا أضايقك بسكوتي. " ،أجبته قائلة : " لا يضايقني بل يقتلني لأنني أريد أعرف الرجلَ الغامض الذي أعيش معه. "

ـ " رجل غامض! " ثم بدأ بالضحك وكأني أشاهده يضحك للمرة الأولى.

ـ " تصدرين الأحكام بسرعة عليّ من غير أن تعرفينني. "

ـ " لم تفسح لي المجال لمعرفة شخصيتك التي لا تريد أن تشاركني في معرفتها وذلك لمصلحتي ومصلحتك. "، بعد ذلك أطلق زفرة حارة متألمة جعلتني أشعر بالخوف وبطريقة لا إرادية أمسك بيدي فلاحظ برودة أطرافي فقام بفركها نظرت إليه محاولة تفسير أفعاله فمرة يكون قريبا مني وإن لم يتحدث معي ومرة أجده بعيداً عني فسألته بتذلل: " لماذا تصنع حاجزا بيننا فأنت زوجي أمام الناس ولكن أنت غامض أمامي " وبكل ألم وما تحمله تلك النظرات الحائرة المرسومة على وجهه قال: " الأمر متعلق بي وليس لك في ذلك شأن "

ـ " ما الذي تعتبره ذنباً ـ زواجنا ـ أم ماذا ؟ "

أخيراً حكى قصته؛ قصة الرجل الذي تحمل مسؤولية أسرته بعد وفاة والده وحمل على كاهله اتخاذ القرارات، كان يقص حكايته بحزن وينظر إلى البحر آملا منه أن يغسل ما اعتراه من ضعف وألم.

ـ" عندما طلبت مني والدتي الزواج وألحت في ذلك وذرفت الدموع الحارقة لتراني متزوجاً فلم أستطع المقاومة فوافقت وكانت تلك المرة الأولى التي أخضع فيها لأي أمر. "

تملكني الذهول وانهارت الأحلام الوردية التي بنيتها لمستقبل جميل بين أحضان الرجل الذي أصبح زوجي، في تلك الليلة أصبت بالأرق...

ـ" ألن تخلدي للنوم؟ " عندما لم يلق إجابة مني ذهب للنوم لوحده، نظرت لذاك الوجه النائم الخائف هو أيضا من مستقبله فبدوره لم يختر طريقه كما لم أختر طريقي، استلقيت بجواره وغفيت ولم أنس وضع يدي على يده وهو أمر قد اعتدت عليه واعتاد هو أيضا عليه والغريب في تلك الليلة نمو إحساس قوي في داخلي بعدم الاستسلام وتقبل انهيار أحلامي.

في اليوم التالي صحوت من النوم وبي رغبة شديدة في كسر جميع الحواجز وتطلب مني هذا التصرف شجاعة كبيرة، فوقفت أمام زوجي وابتسامة ملؤها الحب فأمسكت بيده وطلبت منه أن نتسابق إلى الشاطئ فنظر إلي بتعجب ثم بدت عليه ابتسامة خفيه فقام بإيقاعي أرضاً وبدأ بالجري فتسابقنا إلى الشاطئ حتى تقطعت أنفاسنا.

ـ" أتعلم ليس بأيدينا أن نرسم قدرنا ولكن ليس علينا الاستسلام "

ـ" برأيك نخضع لقوانين الحياة "

ـ" برضى تام وإصرار على خلق السعادة. "

ـ" نظرية غريبة تخرج من إنسانة يافعة مثلك! "

ـ" هناك أشياء كثيرة سنكتشفها ولكن ما عليك إلا المحاولة فما رأيك بذلك؟ "

أمسك بيدي وطلب بأن يفكر ثم ضحك وقال " في الليلة الفائتة عندما لم تذهبي للنوم معي ظللت أفكر لماذا أحملكِ ذنب عنادي وعندما شاهدتك هذا الصباح بابتسامتك البريئة.... "



لم يكمل حديثه بل نظر مطولاً لوجهي وطبع قبلة على جبيني ثم قال : " أعدك بأن أحاول أن أتغير لأصبح رجلاً واضحاً ليس غامضاً أمامك ومن جهتك عليك الصبر " .

ـ لا عليك سأتحمل من أجل مستقبلنا فليس من حقنا أن نيأس من قبل أن نحاول.

بعد تلك الوعود التي عقدناها محاولين كشف كلاً منا للآخر ،تابعنا غروب الشمس بقلوب صافية وأيدي متماسكة وفي داخلي رضا للتحول الكبير الذي بدأ يطرأ في حياتي. انتهى

هذا ما كنا نقول عنه الحب بعد الزواج، الذي قال عنه جبران خليل جبران بأنه لون من ألوان الحب يدعى "الألفة" يبدأ من ليلة العرس وقد تكون هذه الألفة سعيدة إذا كانت وفق شريعة السماء الفطرية وقد تكون أليمة إذا كانت وفق شريعة الأرض الحسابية.

ومن قال أن الزواج لا بد أن يسبقه قصة حب عنيفة، تدور رحاها مع فارس الأحلام، وإلا لكان الزواج فاشلا، فقد زل وما أنصف.

ففي دراسة لدكتورة أمريكية تدعى (د. تيلور) نشرها موقع البلاغ في زاوية تحت المجهر تقول الدراسة أن نجاح الزواج لا يرتبط بوجود حب قبل الزواج. المهم أن يأتي الحب بعد الزواج، ثم يشعر به الزوجان ويزيدهما تقارباً والتصاقاً. والحب بعد الزواج أمر ممكن، وهو تطور عادي لعلاقتهما، لو سلك الزوجان سبل التفاهم والتضحية وعمل كل منهما على إسعاد الآخر. والحب الناشئ عن المعاشرة الطيبة والود والتفاهم أمتن أنواع الحب وأصلبها وأبقاها. وهو القادر على مواجهة الحياة الزوجية، لأنه يقوم على أسس متينة للروابط، وليس على مجرد رغبات طارئة عابرة.



شهادة حق لحواء

وضع حواء في أمور الحب صعب وله خصوصيته منذ القدم. فهي دائما الملومة في حوادث الحب إذا حدث ثمة شيء. فهي في حصار دائم، متهمه إذا تجملت وتزينت بأنها تسعى بنزعة في الارتباط بزوج، وهي مذنبه إذا تسببت في طلاق، وهي سيئة إذا بقت عانسا وإلاّ لما تأخر عنها أحد!

هكذا تأتيها الاتهامات سكاكين من كل جانب وكأنها أحكام عادلة لا بد منها. وفي كل أحوال الحب ومشاكله هي المتهم الأول والرئيسي الذي يجب أن يدافع عن نفسه، وإلا وضع آدم في قفص الاتهام الذي سيحاكم طبعا بأقل العقوبات لأنه البريء المغلوب على أمره فقد فعل فعلته عن غير عمد!

وإلا فما تفسير وصية الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله بالنساء في خطبة الوداع، ولماذا قال رفقا بالقوارير. لماذا ذنوب آدم دائما مغفورة إذا اعتذر من حواء وهو يزمجر ويغضب إذا وقعت في خطأ بسيط. لماذا ماضي آدم بطولات في الحب وأنّ " كل النساء تريدني...ما ذنبي أنا " بينما يجب على حواء التكتم على كل ما مضى ومراعاة شعور آدم.

وفوق كل ذلك فهي مسكينة قد لا يضايقها التفاف النساء حول محبوبها ذلك لأنه حقق لها غريزة التملك في الحصول على شخصه في انتصارها على الآخرين والحصول عليه!

حياتها العاطفية مختلفة عن آدم جدا، تستطيع أن تقول أن حواء لا بد لها من عيش قلق عاطفي في حياتها، لأنه لا ينتظر الحب ولا يترقبه بلهفة وشوق كما تترقبه حواء. هي تنتظر ذلك الساحر الخفي، الحب، وهو يعتبره قضية يمكن تأجيلها والفرق واضح، فالحب لها حياة وله متعة. إذا أردت أن تعرف قدر حواء وعطائها وصبرها وتحملها، فتأمل نهر الحنان والشفقة الذي تجريه لك. يبدأ هذا النهر عندما تخاف الأم على ابنتها وتبدأ البنت عند أسرتها بالاجتهاد للحصول على زوج، ثم تبدأ البنت بالقلق على سعادتها الزوجية فتقوم الأم بتتبع خطى البنت لتشرف على سعادتها فترى الولادة وتتأكد من الحفيد وتربيته، ثم لا تنتهي متاعب الأم حواء حتى تتيقن أن ابنتها قد أجادت نفس الدور الذي قامت به هي، وهلم جرا بأشواق من الرحمة والحنان لتخرج جموع من فئة آدم بعضها يتحول إلى قطعان من الذئاب؟!!

شغلها الشاغل هو الحب في صورة خطيب و زوج و أولاد وبيت.

هي الأم والأخت والبنت والزوجة والراعية والسيدة، محور الحب في هذه الحياة. مدهشة في تعاملها مع الأمور، تجتمع في طباعها النقائض والأضداد. فهي ملكة وفي نفس الوقت مملوكة، وهي آسرة وفي نفس الوقت مأسورة، وهي ظالمة وفي نفس الوقت مظلومة.

انظر إلى رقيق كلام حواء عندما تحادث آدم:

- إذا فرشت لك الأرض على بعد المسافة بيننا بحبات قلبي.
- إذا نثرت على طول الطريق إليك الزهور.
- إذا نشرت العطور في الأجواء.
- إذا جعلت ليل البعد يتلألأ بالأضواء.
- إذا ملأت المكان بنغمات من خفقي.
- إذا جعلت وقع خطوك على دقات نبضي.
- إذا بددت البرد من طريقك بجمر شوقي.
- فهل تأتي!!!؟.

يستطيع آدم أن يحصل على كل ما يريد من حواء إذا نشر عليها عبق الحب. قد يكون ذلك ضعفا منها، لكنها دائما رقيقة. في إحدى أشهر قضايا الخلع في المحاكم المصرية بالحب نجح الزوج في استعادة زوجته مرة أخرى بعد أن قامت برفع دعوى طلاق بسبب اعتداءه عليها بالضرب المبرح. كل المستندات القانونية كانت في صالح الزوجة وفطن الزوج لذلك. فطلب منها أمام المحكمة أن تستعيد بذاكرتها الأيام السعيدة التي عاشاها معاً في بداية زواجهما فاضطربت الزوجة وبدأت تجيب على أسئلة الزوج بصوت هامس غير مسموع للحضور وساد الهدوء قاعة المحكمة لدرجة أن البعض تصور أن ما يحدث في قاعة المحكمة هو تصوير فيلم رومانسي. واستجابت الزوجة لعاطفة الزوج ورفضت السير في دعوى الطلاق رغم أنها تملك كل مقومات الحسم لصالحها، لكنها تنازلت عن الدعوى من أجل الحب الذي يربطها بزوجها. هكذا هي حواء، سريعة الغفران، نهر العطاء إذا كان في المسألة حب.

سألت قلبي إن نساني حبيبي هل أنساه

قال أمهله زمنا سوف يرجع لهداه

قلت كم من الوقت وا قلباه

قال العمر كله.. فصرخ العقل لا نقواه



هل يقتل الزواج الحب؟

لعلك عاينت إطرائنا للزواج في أكثر من موضع في هذا العمل. والسبب بكل بساطة يعود إلى أنه هو الدليل القاطع والبرهان الساطع على الحب.

الزواج لا يقتل الحب، بل لعله هو الذي يزيده عمقا وينميه. كل ما في الأمر أن الحب مع الزواج لم يعد بحاجة إلى دليل للتعبير عن صدق الطوية وصفاء السرية. لكن نحس دائما أننا بحاجة إلى تكرار عبارات الغزل وحديثه، وهذا شأن المرأة والرجل وهو في المرأة أكثر. تكرار مثل تلك الأحاديث الجميلة بلسم للقلوب المتعبة وهو يبعد الألم والتعاسه. الحب لا يموت بعد الزواج، بل يختبئ وراء هموم الحياة ومشقاتها، ووراء هموم الأطفال ورعايتهم، ويخرج هذا الحب من مكمنه متدفقا بقوة، إذا استدعيناه. الحب الحقيقي لا يموت أبدا.

الزواج من أروع النعم إذا تلازم معه الحب العميق ورافقه، والحب كما عرفه الأولون وفقهه اللاحقون هو وقود الزواج، وللمتزوج أن يتفهم الفروق بين الحب قبل وبعد الزواج. المحب قبل الزواج في شوق دائم للقاء، ويرى المحبوب في أجمل أوضاعه وأزهاها في فترة مقصورة على اللقاء فقط، بينما المتزوج يرى المحبوب في جميع حالاته وصوره الجميلة وغير الجميلة، يراه عند الاستيقاظ، يراه عند التعب، يراه من غير زينة وألوان.

هذه الأمور تغير مفاهيم الحب عند المتزوجين بصورة واضحة إلى درجة أنها ربما تفقدهم مشاعر الحب وطلاوته.

قبل الزواج يقصد المحبون الصفات الخلقية (بفتح الخاء) ليكتشفوا مدى القبول الذي سيقع وما تجذب إليه الفطرة. بينما بعد الزواج يقصد المحبون الصفات الخلقية (بضم الخاء) والتي عادة ما تكون ثابتة لا تتغير ولا يمكن معرفتها إلا بعد خبرة طويلة وعِشرة سنين.

بعض الأزواج والزوجات يظن أن الحب في حياتهم الزوجية قد توفاه الله، ويستسلم إلي الحالة التي وصل إليها ، وتمضي سنون كثيرة وهم علي هذه الحال ، ذلك أنهم يظنون أن الحب انفعال وتأثر ، وطالما أنهم لا يشعرون به فإنه لا مجال لفعل شيء، ويجعلون الذنب ذنب الطرف الآخر الذي لم يبق محبوباً كما كان من قبل، وإن كان هنالك ما يمكن فعله فهو واجب الطرف الآخر وعليه وحده تقع المسؤولية، وهو وحده عليه أن يتغير ليعود محبوباً

كمـا كان. أمـا الأزواج والزوجـات الأكـثـر قـدرة علي فـهم نفسـيـة الإنسـان فيعلمون أن الحب فعل إرادي وقرار يتخذه المحب وليس انفعالاً سلبياً يكون فيه المحب متأثراً، لا قدرة له على المقاومة ولهذا أُمرنا في ديننا أن نحب الله ورسوله أكثر مما سواهما، وأمرنا أن نحب صحابة الرسول وأهل بيته، ولو كان الحب انفعالاً لا يَدَ لإرادتنا فيه، لكان في أمر ديننا لنا بحب أشخاص معينين تكليفاً لنا بما لا نطيق(١).

أجمل ما في الحب بعد الزواج أنك تستطيع أن تبتكر أساليب كثيرة في التعبير عن حبك، الأمر مفتوح لك، وفيه سعة كبيرة لا تتوفر عند غير المتزوجين. هناك كتاب لكنه متوفر فقط باللغة الإنجليزية عنوانه " ١٠١ فكرة رومانسية " فيه طرق حديثة ومبتكرة جدا للمحبين وخاصة الزوجين لتعلم وسائل يجدد بها المتزوجون عاطفة الحب. فيه إبداع وخصوبة في الطرح، أفكار بسيطة مؤثرة جدا تعمق الحب بين الزوجين وتجدده.

قيل: الزواج الناجح يتطلب الوقوع في الحب مرات عديدة، لكن مع نفس الشخص دائماً!

يقول الأديب الفرنسي بلزاك: «العشق أسهل ألف مرة من الزواج لأن العاشق ليس مطلوبا منه سوى أن يكون لطيفا من حين لآخر، أما الزوج والزوجة فعلى كل منهما أن يكون لطيفا ليل نهار وهو ما لا يستطيعه أحد». إذا كان الحب أعمى، فإن الزواج هو الذي يعيد إليه النظر!

كان الزوجين جالسين بحديقة منزلهما، وكان الجو جميلا وساحرا، وكل منهما يتحدث للآخر بلطف وشفافية، وفجأة وقع أحد العصافير وسقط في يدي الزوجة. نظرت للطائر وقالت برقة: ما أجمل هذه العصفورة؟

ابتسم الزوج قائلا: إنه طائر جميل وأظنه عصفور!

فقالت الزوجة في ثقة: لا، لا، أنا متأكدة أنها عصفورة.

فرد الزوج أنت لا تعرفين الطيور وهذا عصفور وليس عصفورة.

انقلبت لحظات الحب إلى مشاحنة، والصفاء إلى كدر، والهدوء إلى صخب، وتحول الموضوع من تحديد جنس الطائر إلى مسألة شخصية وعناد متزوجين، وانتهز الزوجان الفرصة لكي يسترجعا كل مواقف الجفاء

(١) «هل يموت الحب؟» موقع مودة الأسرة السعيدة .



القديمة. وصار بين الزوجين خلاف استمر أشهر. انفرجت الأزمة وعادت حبال الود بينهما من جديد، ومضى عام على الخلاف، وفي ليلة هادئة جلس الزوجان في نفس الحديقة وتذكرت الزوجة ذلك الخلاف الذي كاد أن ينسف كل الحب الذي جمعهما، فنظرت لزوجها وقالت بصوت مرح، هل تتذكر خلافنا بسبب ذلك الطائر؟

قال الزوج في حزن شديد نعم أتذكر. هل تصدقين أنني في تلك الأيام كنت أفكر جديا في الطلاق؟

ابتسمت الزوجة وقالت: ولكن ذلك الطائر كان عصفورة وليس عصفورا!

قال الزوج: ومن قال لك أن ذلك الطائر عصفورة وليس عصفورا!

ونشب الخلاف بينهما من جديد وكل واحد متمسك برأيه.



وقفة مع يوسف عليه السلام

قلّ ما تسمع حديث عن العشق والحب والفتنة بين الجنسين، إلا واسم النبي يوسف عليه السلام يتصدر قائمة العفاف.وسبب هذا التمام والكمال في العفة يتجلى بسبب الظروف التي اجتمعت عليه عليه السلام ومع ذلك تعفف واختار شكر نعمة ربه وابتعد عن السوء وكان بذلك رائد العفاف بلا منازع.

ـ فقد كان شابا والشباب في عنفوان شهوته.

ـ ليس هذا فحسب؟!.

ـ فقد كان عزبا ليس عنده ما يعوضه.

ـ ليس ذلك فحسب؟!.

فوق ذلك كان غريبا عن أهله ووطنه والغريب قد يتجرأ على فعل ما يستحي أن يفعله بين أهله فيفتضح بينهم.

ـ ليس ذلك فحسب؟!

فقد كان مملوكا والمملوك قد لا يأنف مما يأنف منه الحر بمعنى أنه قد لا يلام كثيرا إن رضخ لأمر امرأة العزيز لأنه مملوك لها ولزوجها.

ـ ليس ذلك فحسب؟!.

كانت المرأة ذات منصب وجمال، بل في بيتها وسلطانها بحيث تعرف المكان فتجد من المواضع ما لا تراه العيون. وجاءته بالرغبة والرهبة وقالت هيت لك!

ومع ذلك كله عف ولم يطعها. فأي ابتلاء فوق هذا الابتلاء ومن هو جدير بفعل ما فعل الصديق يوسف عليه السلام!



عندما يتحدث العفاف

ظهر العفاف في عدد من قصص الألفة والحب، وفيه سلوة للمتعففين والصابرين. والعفاف تدور أحداثه بين عاشقين امتلأ حبهما بالعفة والطهارة والإخلاص والتوحيد والحرمان. فأمنية العاشق القصوى هي الحصول على الرباط المقدس بينه وبين معشوقه.

كم ظفرت بمن أهوى فيمنعني

منه الحياء وخوف الله والحذر

وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني

منه الفكاهة والتحديث والنظر

كذلك الحب لا إتيان معصية لا

خير في لذة من بعدها سقر

وهناك مثل صيني يقول: كنوز العالم لا تساوي المرأة الفاضلة.

والمتعفف بعشقه هو أعظم الناس قدرا لما يكتمه من الحب خوفا على معشوقه وصبرا على نفسه من الوقوع فيما يسخط الله، كيف لا وهو الذي جعل الروح تسمو فوق رغبة الجسد. وهزم النفس الأمارة بالسوء بالمثالية الخلقية التي يؤمن بها. وهو بذلك يقيس لنفسه أنه في قدر مقدور قضاه الله لا يملك معه إلا الصبر وعمل ما يرضي الرب.

قيل أن رجلا من بني عذرة كان يحدث عروة بن الزبير فقال له عروة يا هذا بحق أقول لكم إنكم أرق الناس قلوبا فقال: نعم والله لقد تركت بالحي ثلاثين شابا قد خامرهم السل ما بهم إلا داء الحب!

والطابع الخاص الذي تفردت به هذه القبيلة التي كانت تعيش في شمالي الحجاز يقال أنه من رقة في قلوب رجالهم وجمال في نسائهم. حتى قال قائلهم عندما لامه أعرابي: ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير، أما تجلدون؟

فقال العذري: "إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون أليها"

رغم أن معظم العلاقات في عصرنا هذا يغلب عليها طابع الاستهتار وتحوم حولها الشبهات، إلا أن هناك عشاقا تتشابه حكاياتهم مع قصص العشاق العذريين القدامى. ولا تزال هناك حفنة من العشاق المخلصين المتعففين تتميز علاقاتهم بالصفاء والنقاء، لكنها لا تأخذ شهرة القصص

الماضـيـة للازدحـام العصـري الذي تسـوده الأخـبـار المثـيـرة وانشـغـال المجتمعات بأشياء أخرى كثيرة.

فلا أشك أن جميلا لو كان في عصرنا هذا لما تردد في الاتصال بهاتف بثينة النقال وأغرقها بالرسائل ليخبرها أنه يريد خطبتها، ولما تردد مجنون ليلى في إرسال كم هائل من الرسائل إلى بريد ليلى الإلكتروني يبث فيها حزنه وألمه وكل ما قاله فيها!

نظرة، فـابتـسـامـة، فـسـلامُ
فكلام، فـمـوعـد، فَلِقـاءُ
يـوم كنـا ولا تـسل كـيـف كنـا
نتـهـادى من الهـوى مـا نشـاءُ
وعلـينـا من العـفـاف رقـيـبُ
تعـبـت في مـراسـه الأهواء

والحب الطاهر النقي هو بدون شك شعلة ورغبة وومضة يستطيع أن يحل في كل مكان وزمان. والحب لا يمكن أن يعتبر شريفا أو غير شريف بذاته، فإنه إذا كانت طريقته شريفة فهو شريف، وإذا كانت غير شريفة كان الحب كذلك.

ليس المليحُ بكامل في حـسـنه
حـتى يكونَ عن الحـرام عـفـيـفـاً
فـإذا تجنب عن مـعـاصـي ربه
فـهنالك يدعى عـاشـقـا وطريـفـا

والحق أن من يضمر الاشتهاء، ويقوم إعجابه على جاذبية الجسد، سرعان ما ينكشف سره و يظهر أمره وتعثر قدمه ويزل لسانه ويضطرب جنانه فيتساقط الطلاء الزائف وتبدو المخالب الدامية تحت قفازات الحرير وهو لا يزال في الخطوة الأولى من علاقته العاطفية(١).

قيل لكثير صاحب عزة: هل نلت من عزة شيئا طول مدتك؟ فقال: لا والله إلا أنه ربما كان يشتد بي الأمر فآخذ بيدها فأضعها على جبيني فأجد لذلك راحة(٢).

---
(١) الحب في التراث العربي ٩٣
(٢) الأمالي ٣/ ٨٣

وقال أعرابي: عشقت جارية من الحي، فحادثتها سنين كثيرة، والله ما حدثت نفسي بريبة قط، سوى أن خلوت بها فرأيت بياض كفها في سواد الليل، فوضعت كفي على كفها، فقالت: لا تفسد ما صلح، فتفصد جبيني عرقا ولم أعد(١).

ذكر صاحب مصارع العشاق أنه كان بالكوفة شاب يتعبد ملازما للمسجد الجامع، لا يكاد يخلو منه، وكان حسن الوجه، حسن القامة، حسن السمت، فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل، فشغفت به، وطال ذلك عليها، فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه، وهو يريد المسجد، فقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها، ثم اعمل ما شئت. فمضى ولم يكلمها. ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه، وهو يريد منزله، فقالت له: يا فتى اسمع كلمات أكلمك بها. فأطرق، فقال لها: هذا موقف تهمة، وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعا. فقالت له: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك، ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا مني، والذي حملني على أن لقيتك في هذا الأمر بنفسي معرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير، وأنتم معاشر العباد، في مثال القوارير أدنى شيء يعيبه، وجملة ما أكلمك به أن جوارحي كلها مشغولة بك، فالله الله في أمري وأمرك.

قال: فمضى الشاب إلى منزله، وأراد أن يصلى فلم يعقل كيف يصلي، فأخذ قرطاسا وكتب كتابا، ثم خرج من منزله، فإذا بالمرأة واقفة في موضعها، فألقى إليها الكتاب، ورجع إلى منزله. وكان في الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم. اعلمي أيتها المرأة أن الله تبارك وتعالى، إذا عصي حلم، فإذا عاود العبد المعصية ستر، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله عز وجل غضبة تضيق منها السماوات والأرضون والجبال والشجر والدواب، فمن ذا الذي يطيق غضبه؟ فإن كان ما ذكرت باطلا، فإني أذكرك يوما تكون فيه السماء كالمهل، وتصير الجبال كالعهن، وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم، وأني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي، فكيف بصلاح غيري، وإن كان ما ذكرت حقا، فإني أدلك على طبيب، هو ولي الكلوم والأوجاع الممرضة، ذلك الله رب العالمين، فاقصديه على صدق المسألة.

---

(١) الأمالي ٣/ ٨٦

ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على طريقه، فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله لئلا يراها، فقالت: يا فتى لا ترجع، فلا كان الملتقى بعد هذا إلا بين يدي الله عز وجل. وبكت بكاء شديدا، ثم قالت: أسأل الله عز وجل الذي بيده مفاتح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك. ثم تبعته فقالت: امنن علي بموعظة أحملها عنك، وأوصني بوصية أعمل عليها!.

فقال لها الفتى: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك، وأذكرك قول الله عز وجل " وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ".

قال فأطرقت، وبكت بكاء أشد من بكائها الأول، ثم أفاقت فقالت: والله ما حملت أنثى ولا وضعت إنسا كمثلك في مصري وأحيائي.

ثم لزمت بيتها فأخذت بالعبادة. قال: فكانت إذا أجهدها الأمر تدعو بكتابه فتضعه على عينيها، فيقال لها: وهل يغني هذا شيئا؟ فتقول: وهل لي دواء غيره؟ وكان إذا جن عليها الليل قامت إلى محرابها وتقول:

يا وارث الأرض هب لي منك مغفرة

وحل عني هوى ذا الهاجر الداني

انظر إلى خلتي يا مشتكى حزني

بنظرة منك تجلو كل أحزاني

فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا، وكان الفتي يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها.

قيل لأحد العشاق وقد زوجوا حبيبته التي أحبها عشر سنين بابن عمها، أيسرك أن تظفر بها الليلة؟

قال: نعم والذي أمتعني بها وأشقاني بطلبها.

قيل: فما كنت صانعا؟

قال: كنت أطيع الحب في لثمها، وأعصي الشيطان في إثمها، ولا أفسد عشق عشر سنين بما يبقى عاره، وتنشر بالقبيح أخباره، في ساعة تنفد لذتها، وتبقى تبعتها، إني إذا للئيم، لم يغذ من أصل كريم.



قدوة في الحب

لا شك أن الإنسان بطبعه يحب أن يكون له قدوة حية يحذو حذوها، بشر من جنسه يملك ما يملك ويحس ما يحس، ونحن كمسلمين دائما نرد المثل الأعلى لنا في امتهان حياتنا وفي سنن أعمالنا إلى نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وقد نلام من البعض لإقحامنا النبي في موضوع الحب. لكن سنسرد لهم ما نرى وندعهم يحكمون.

نحن كعشاق ومحبين، نريد أن نفعل مع من نحب كما فعل النبي عليه وعلى آله السلام. كيف لا ونحن بذلك نجتهد في اتباع سنته. لا شك أن حياته صلى الله عليه وعلى آله وسلم عظيمة حافلة بالأحداث العظام، لكننا سنستنشق الرائحة العطرة في سيرته من جانب حبه صلى الله عليه وسلم كرجل، لامرأة أصبحت له زوجة، ثم نبنى على ذلك استنتاجات لا يجب أن تفوتنا معاشر المحبين.

اقرأ في كتابات العشاق وأدبيات المحبين، انهل من الأسماء ما تحب ومن فصول القصص ما شئت ومن النهايات ما أردت، ستجد نهايات تعيسة أو زيجات ذابلة أو أحداث ساقطة أو خروج عن الأعراف، كلهم أو معظمهم لم تنته حكاياتهم بالزواج وان انتهت به فلم يوفقوا بعد الزواج. لكن في قصة حب نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع خديجة ستجد العجب العجاب. مثالية في الحب بين الطرفين قبل الزواج وأثناء الزواج وبعد الزواج وبعد الممات!

يبدأ الإعجاب من خديجة المر أة الراجحة، أفضل نساء قومها نسبا وثروة وعقلا، شريفة لبيبة يحرص السادات والرؤساء على زواجها وتأبى ذلك، ثمة أمر ينتظرها، ويوما تجد ضالتها المنشودة، يخبرها غلامها ميسرة بما في النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من خلال عذبة، وشمائل كريمة، فكر راجح، ومنطق صادق، نهج أمين، وجه صبوح، وهيئة أخآذة.

كما هو حال بنات حواء، تبدأ أمّنا خديجة رضي الله عنها بمحادثة صاحبتها نفيسة بنت منية بما يدور في خاطرها من شدة الإعجاب بشخص النبي عليه الصلاة والسلام وميلها إليه وطمعها في أن يكون زوجا لها، وهنا ينبغي لنا أن نقرّ أنه لا غضاضة في أن تبدي المر أة رغبتها في الزواج من الرجل الصالح إذا وجدت فيه ما يسرها والله يرزق الرجل الصالح بالمرأة الصالحة الطيبة.

فتلبي لها طلبها الصديقة الوفية وتذهب إليه وتحدثه عن خديجه وتسأله عن رأيه في الزواج بها. فيلبي النبي الطلب ويبادلها الشعور وهو ابن الخامس والعشرين وهي السيدة التي تكبره سنا، وفارق السن دليل يؤيد وقوع الحب بين الاثنين وتغلبه على فارق السن.

فتخطو خديجة الخطوة الأكثر مصارحة وتحدثه بنفسها وتقول " فيما يزعمون، يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك ووسطتك في قومك، و أمانتك و حسن خلقك و صدق حديثك " ثم عرضت نفسها عليه للزواج فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه، فتزوجها عليه الصلاة و السلام. زواجا على عرف القوم وحضر العقد بنو هاشم ورؤساء مضر وأصدقها عشرين بكرة. وهنا لفتة أيضا على أن العرف يؤخذ به إذا كان فيه فائدة وخير للمتزوجين ما لم يخالف سنة ويحدث من جهته شطط.

وفي رواية أخرى أن رسول الله جاء في نفر من أعمامه يتقدّمهم أبو طالب فخطبها أبو طالب من عمها عمرو بن أسد ـ حيث قتل أبوها خويلد بن أسد في حرب الفجار أو مات عام الفجار ـ وقال في خطبته:

الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمنا وجعلنا الحكّام على الناس وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به، ثم إن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزن برجل من قريش إلا رجح، ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه، وإن كان في المال قلّ، فإن المال رزق حائل وظلّ زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة وصداق ما سألتموه عاجله من مالي، وله والله خطب عظيم ونبأ شائع.

عاشت معه خمسةً وعشرين عامًا، خمسة عشر عامًا قبل أن يبعث، وعشرة أعوام بعد أن بعث، فتحت له بيتها فكان واحة الأمل لذلك الحب ومنطلق النور لرسالة سماوية خالدة حتى يوم الدين، ملأت حياته حب وطمأنينة ووقفت معه سندا في كل معاناته، ودخلت معه الشِّعب، لتعيش محنة الحصار وتشاطر المؤمنين قسوة العيش، والضغوط النفسية، والمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية، فتنفق كل ما لديها من مال وثروة كبيرة قدّر المؤرِّخون تجارتها في بعض الأعوام بأنّها تعادل تجارة قريش كلّها.

أنفقت خديجة كل ذلك المال حتى أصبحت تعيش تحت وطأة الجوع والضرّ والفاقة وهي السيدة صاحبة المال الثريّة المرفّهة، تُشاطرهم هذا العيش، وتعيش ذلك الجوع.

ويشعر ذوو خديجة بمحنتها وآلامها، فيتعاطفون معها وينقلون لها الطعام سرّاً، وتحت جنح الظلام، فيتصدّى عُتاة قريش لهذه المساعدات، ويحاولون منعها.

أحبت النبي فصدقت الحب ويا ليت كل محب يقف مع من يحب موقفا كهذا. في المقابل، يكافئها النبي على الحب حب مثله، حب صادق ووفاء جاد لم يتزوج عليها قط، لا يفتأ يذكرها عند زوجاته كل حين، بل ويصل الحد في عائشة إلى الغيرة من شدة ذلك الحب. ليس هذا فحسب، بل حب لا ينسى.

يوم فتح مكه والناس ملتفون حوله وقريش كلها تأتي إليه ليسامحها ويعفو عنها فإذا به يرى سيدة عجوز قادمة من بعيد، فيترك الجميع، ويقف معها ويكلمها ثم يخلع عباءته ويضعها على الأرض ويجلس مع العجوز عليها فتسأل السيدة عائشة من هذه التي أعطاها النبي صلى الله عليه وسلم وقته وحديثه واهتمامه كله؟ فيقول: هذه صاحبة خديجة، فتسأله وفيمَ كنتم تتحدثون يا رسول الله؟

قال: كنا نتحدث عن أيام خديجة!

فياله من حب وياله من صفاء، حتى بعد أربعة عشر سنة من وفاتها يذكرها ويسترجع ذكراها صلى الله عليه وسلم. إنه حقا حب عجيب.

ذُكر أن صحابية قالت له بعد سنة من وفاتها، يا رسول الله ألا تتزوج فيبكي النبي صلى الله عليه وسلم ويقول "وهل بعد خديجه أحد؟" يا لله ماذا فعلت خديجة. لقد أخلصت له الحب وبذلت هذه المرأة العظيمة نفسها ومالها له ولدينه وقضيته، بشهادته صلى الله عليه وسلم، «ما نفعني مال قط ما نفعني مال خديجة». استحقت حبه حتى كانت لتعيش في نفسه حتى بعد وفاتها، يهدي لهنّ اللّحم إذا ما ذبح شاة ويقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة».

تدخل هالة بنت خويلد أخت خديجة يوما تستأذن فيتذكر طريقة خديجة في الاستئذان فيعيش ذكريات وأحاسيس حبه الأول، ونبرات صوت خديجة لمشابهته صوت هالة ونبراتها، فيهتزّ سروراً وفرحاً ويتغيّر لونه،

لتأثّره الوجدانيّ بتذكّر خديجة، فقال بصوت المحبّ المنتظر: (اللّهمّ هالة)، أي اللّهم اجعل هذه المستأذنة باللِّقاء هالة، ليأنس بلقائها، ويتذكّر فيها حبّ خديجة رضي الله عنها، وكما أحبّ، فلقد كانت هالة.

ومن اشد المواقف عليه ايضا صلى الله عليه وسلم عندما وقع أبو العاصي أسيرا في أيدي المسلمين بعد إحدى الغزوات (وكان على الشرك آن ذاك) وكان زوجا لزينب رضي الله عنها ابنة الرسول الكريم وكان الزواج من المشركين لم يحرم بعد فجاءت زينب لتفدي أبي العاصي ولم يكن معها مالا فأتت بقلادة ورثتها من أمها خديجة رضوان الله عليها فعندما رأى الرسول هذه القلادة تذكر خديجة الزوجة الصالحة المخلصة الوفية فبكى في هذا الموقف بكاء المحب الفاقد.

تذكر حبيبته التي آمَنت به إذ كذّبه الناس، وآوته إذ رفضه الناس، ورُزق منها الولد، وليخبر الجميع أنها الحب الذي لا يعلو فوقه حب بكلماته «مَا أبدلني الله خيراً منها».

الحب من طرف واحد

أن تحب من طرف واحد فهذا هو الألم. لا شك أن الحب الذي يقع بين اثنين حتى يكتمل لا بد أن يكون حبا متبادلا. بحيث يتشارك كل من الطرفين نفس الشعور ونفس الأحاسيس تجاه بعضهم البعض.

والعين تعرف من عين محدثها

إن كان من حزبها أو من أعاديها

أما دون ذلك، فالخطب جلل، والحال على المحب شديد، كيف لا والحب من طرف واحد مرض عضال في قاموس أطباء الحب ليس له علاج. إذ كيف يريد إنسان أن يجبر إنسان على حبه وليس هناك إكراه في الحب. والوقوع في مثل هذا الموضع يصطنعه صاحبه، ويؤمل نفسه بنفسه، وهو يعلم علم اليقين عدم ميل الطرف الآخر إليه.

فلا يتطلع الإنسان إلى حتفه، وليحجم فورا إذا لاحظ ازورار من يحب عنه ولو قليلا، وليتجنب مواضع النظر إليه والمكان الذي يتم فيه التقاء العيون مع العيون حتى تنطفئ تلك الشعلة التي أججت نار العشق في فؤاده.

أما الحب من طرف واحد فهو العذاب كله، إن عذاب الفراق بين اثنين متحابين يهون، وعذاب الاستحالة بين ارتباط اثنين يهون، كل ذلك يهون أمام عذاب الذي ينجذب إلى شخص آخر دون مقاومة. ومحنة الذين يحبون من طرف واحد لها بعد أن كل منهما يتصف بالعنف. فهو لا يدرك لماذا انجذب وأحب ولا يدرك لماذا لم يكن هو جذابا ولم يحبه الطرف الآخر؟ فالمسألة ليست رهن إرادته ولا هي تجري وفقا لمشيئته. إن هذا النوع من الحب فيه اعتصار للقلب وللعين معا. إن صرخته المكتومة يتردد صداها في عمق القلب(١).

تحكى أحد الفتيات قصتها وتقول: قبل أن أبدأ في سرد مشكلتي أخبركم أنني إنسانة ـ ولله الحمد ـ محافظة على الصلوات في وقتها وعلى الأذكار وأحاول أن أعمل الخيرات و الطاعات وقيام الليل ـ ولا أزكي نفسي ـ كما أني لست طائشة أو لعوب كبعض الفتيات هدانا الله وإياهم.

أنا فتاة أبلغ من العمر ٢٣ سنة لا أرى كيف أبدأ عرض مشكلتي فقد تعبت كثيرا وتألمت طيلة سنين ماضية وأنا كاتمة بقلبي. يظن الكثير أنها مشكلة تافهة وبسيطة إلا أنها أثرت عليّ نفسيا واجتماعيا. باختصار أحببت قريبي وبدأ هذا

(١) «أسرار الحب» ج١ ص١٨ د. محمد إسماعيل علي.

الحب منذ أن كان عمري ١٥ سنة، أي في المرحلة المتوسطة، وكنت صامتة وكنت أكبر ويكبر معي هذا الحب إلى أن سيطر على جميع مشاعري وقلبي وفكري وعقلي فقد كان إنسانا محبوبا وطيبا وذا أخلاق. منذ أن كنت صغيرة وأنا أرتدي الحجاب الشرعي أمامه ولا أجلس معه إلا مع الأهل. ونادرا ما كنت أفعل ذلك، كنت أحاول وأحرص على ألا يتعلق قلبي به، لكني لم أستطع. فأنا أكن له الحب والشوق وأتألم و أتعذب كل يوم. كلما يذكر اسمه أمامي أبكي بحرارة وإن جلست في مجلس ما أحاول أن أنشد عن أخباره وأحواله وأكاد أجنّ عندما يغيب فترة طويلة دون أن أراه خفية. حاولت نسيانه لكني فشلت فهذا الحب العفيف الذي أكنه له من قلب صادق لم يعرف الحب ولم يعرف أي رجل آخر فهو الحب والقلب والحياة بالنسبة لي.

وهو الحب الأول الصادق الشريف العفيف، فأنا أشعر بحبه لي، لكني هذا العام لا أعلم هل ما زال يكن لي الحب أم لا. علما أنني أعلم أنه من سابع المستحيلات اجتماعنا مع بعض، بعده عني كبعد المشرق عن المغرب والسماء عن الأرض. لكن الأمر ليس بيدي.

دائما أحاول أن أسيطر على نفسي وقلبي وأقول أن كل حب عفيف شريف لا يجتمع فيه الحبيبان مع بعضهما، يعلم الله أن حبنا كان بصمت. لا أدري ماذا أفعل؟ فما أقسى أن أرى الحبيب دائما دون أن أحادثه أو أنظر إليه فأنا إلى هذا العام ما زلت أكن له حبا كبيرا.

لكني أريد حلا لحالي. عندما يذكرون الزواج أكاد أجن؟؟ ففي هذا العام فقط تقدم لي الكثير من الخطاب ليس بينهم هذا الحبيب. أدعو الله ليلا وفى كل صلاة أن أنساه لكن لا ذنب لي أن أحب بعفة وصمت وشرف فأنا أدعوا له كل لحظة بالسعادة والتوفيق وأن أنساه وأن يعوضني الله خيرا. أهـ

إذا سمعت حواء تقول لكن الأمر ليس بيدي، فاعلم أنها تكابد الحب ولجه. وهذه الشابة تعلم علم اليقين أن قريبها لا يبادلها نفس الشعور «علما أنني أعلم أنه من سابع المستحيلات اجتماعنا مع بعض، بعده عني كبعد المشرق عن المغرب والسماء عن الأرض. لكن الأمر ليس بيدي» ومع ذلك لا تزال تسقي حبها ماء لكي ينمو ويكبر ويزيد من عذابها وألمها. هذا بعينه ما نتحدث عنه، كيف ترفض فتاة الكثير ممن تقدم إليها من أجل قريب لا تعرف إن كان يحبها أم لا.

ومن البليـــــة أن تحب

فــلا يحــبك من تحــبــه

عزيزي العاشق، أتعرف ما المدهش في الحب من طرف واحد؟ المدهش أن المحب لا يفقد الأمل أبدا في الوصول إلى من يحب. ينتهز كل الفرص لكي يظفر بلقاء أو حديث. وتزداد المسألة سوءا إذا زاد المحبوب في التدلل كلما زاد المحب في التذلل!

يقول دكتور سبوك في كتابه «فن الحياة مع المراهق»:

لا أنسى وجه الشاب الذي وصل إلى السادسة عشر وكان لعامين كاملين يترك لخياله فرصة السفر إلى ما لا نهاية في تأمل قريبته التي من مثل عمره. دق الشاب باب العيادة النفسية لينفجر ببكاء هادىء ويقول: (لقد فقدت الأمل في الحياة !). وكان هذا الشاب يخصص ساعتين كل يوم ليكتب عن كل ما حوله وكل ما يدور في نفسه في كراسات زرقاء اللون ومكتوب عليها: (إلى حبيبتي) ولم تكن تلك الحبيبة تعلم من أمر هذه الكراسات شيئا.

ولم تكن تعلم بعمق هذا الخيال الجامح، وعندما اقترب الشاب منها ذات نهار أثناء زيارة عائلية واعترف لها بالحب الذي يكنه لها، قالت بكل هدوء "لكني لا أفكر فيك بمثل هذا الأسلوب. أنت قريب لي وفي مكانة أخي، ودعني أصارحك القول أني قبلت خطوبة المهندس الشاب الذي تقدم لي."

ومن البليـــــة أن تحب

فلا يحبك من تحبـــه

يقول دكتور سبوك " إننا نمر بتجربة الفشل في الحب لأننا ببساطة نلوم شخصا لا يعلم شيئا عن مشاعرنا منذ البداية. بل قد لا يعلم على الإطلاق شيئا عنها، وليس من العدل أن نلوم شخصا لم يكن في قدرته أن يصنع نفسه وفقا لخيالاتنا عنه. ونحن ندفع ثمن التمادي في الخيال الذي لا يقوم على واقع، ندفع الثمن ألما وصدمة واكتشاف فراغ في الأعماق، ونشعر كأن ريحا باردة تهب على القلب فيزداد الإحساس بالوحدة. ونشعر أن كرامة الإنسان منا قد اهتزت. ويلحظ الأهل ذلك وكذلك الأصدقاء، ونظل أسرى اتهام الإنسان الآخر بأنه مدلس وكاذب ومخادع وهو لا ذنب له. لكن كل ذلك يجعلنا نبني مشروعنا العاطفي القادم بيقظة وانتباه وعلى أرض الواقع الصلب".

كثيرا ما نرى على الجدران عبارة "الحب عذاب" لكن أن تحب من لا يبادلك الحب فالعذاب أكبر!!



أدم وحواء وجها لوجه

أول مــا يولد الطفل تجـده يبكي ويقـول واء...واء...ثم يكبـر فـيـقـول: حـواء...حـواء. نعم هكذا نحن مـعـشـر الرجـال، المرأة هي شـفـقـة الله علينا. فالرجل لا يعـرف كيف يعيش حتى تعـيش معه امرأة. ويـصـعـب جدا أن يفـهم المرأة حـتى لو تزوج وعـاشـا مـعـا. يقـول عـالم النفس فـرويد "درست المرأة ثلاثين عـاما لكني لم أتمكن من الإجـابة عن هذا السؤال: مـا الذي تريده المرأة بالضبط؟ "

سـحـر المرأة الخـالد أنهـا لغز لم يـحله أحـد من الرجـال، ذلك الغـمـوض المخيف الذي لا ينكشف إلا إذا اجتـمعت هي مع امرأة أخـرى، هو الذي يثـير الرجل. وكـأن الله خلق المرأة لـغزا غـامـضـا ليظل الرجل يسـتـخـدم عـقله في فهمـها. فقد حاول قـدماء الفلاسفة أن يتـسللوا إلى العوالم النفسـيـة المجهولة لها لكنهم وقفوا على شـواطئها حائرين.

حكاية الرجل مع المرأة حكاية قـديمة منذ الأزل. منذ أن خلق الله سـبـحـانه وتعالى آدم وحـواء وهما في عـلاقة يصعب على الإنسان أحيانا فـهمها. تحكي الآثار وقصص السـابقين أن الله لما أنزل آدم وحـواء من الجنة إلى الأرض نزل آدم في الهند وحـواء في جـدة، وعندما نزلا أخـذا يبـحثـان عن بعـضـهـما حـتى التقيا عند جبل عرفات، ولا حظ أن آدم هو الذي تعب وقضـى مسافة أطول في البحث عن حـواء بينما جـدة أقرب لعرفـه من الهند، ولعل ذلك يفسـر لماذا يبذل الرجل مجهود أكبر في الوصول إلى المرأة بينما العكس ليس صـحيحا!

قيل: المرأة هي الحقيقة، والرجل يبحث عن الحقيقة. الرجل يريد أن يكون أول رجل في حـيـاة المرأة، والمرأة تريد أن تكون آخـر امرأة في حـيـاة الرجل. هذا منى الاثنين ولكن لن يحصلوا عليه!

الحب عند المرأة قصة عاطفية هي بطلتها، وعند الرجل قصة هو مؤلفها.

يخشى آدم عيونها لأنها السـهم الذي لا يستطيع الفرار منه. فهو سـلاحـها إن شـاءت رمته به فقتلته، وإن شـاءت حفظته ولم تطمعه به.

سـأل الصـحافيون يوما الرئيس الأمريكي (ايزنهاور):

ـ هل تعتقدون أن العـالم سينتج سـلاحا أقوى من القنبلة الذرية؟

فأجابهم وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة:

ـ لقد انتج العالم سلاحا أقوى تأثيرا وأشد فتكا!

فتعجب الصحافيون وسألوا:

ـ وما هو هذا السلاح؟

فقال لهم بعينين مشعتين: عيون المرأة الجميلة!

إن أرقى وأسمى وأعلى نظرة يمكن أن يراها آدم لك حواء، هو أن يتمنى أن تكوني زوجة له و أما لأبنائه في المستقبل. هنا تكمن خلاصة الحب، وتتأجج معاني العشق والغرام. إذ أنه يريد ربط نفسه معك بميثاق غليظ وعلاقة دائمة هي أسمى علاقة حميمة وجدت بين آدم وحواء.

يقول أحدهم واصفا من يتمناها:

أريدها.. ذات الجمال

متدينة.. ووصف فوق الخيال

عفيفة.. كمريم بنت عمران

حكيمة.. كما لقمان

الصوت صوت داود

ومن بني هاشم

لها جد وجدود

***

أريدها.. تفهم بالإشارة

ولي نعم المستشارة

إن قلت لا.. تفهّمت

أو قلت نعم.. تبسّمت

***

أريدها زهراء.. هيفاء

وعيناها دعجاء

ممشوقة.. أسنانها شنباء



رشوف.. أنوف

رقراقة بيضاء

***

أريدها.. من أفضل النساء

وأريد منها أبناء

توأمين.. كما السبطين

الحسن والحسين

***

أريدها.. ثلة من الأولين

وقليل من الآخرين

لم يعتريها حداثة

تميّزها الحصافة

قد جمعت بعلمها

بين دنيا ودين

***

أريدها شاعرة.. باهرة

ترغم بشِعرها

أنوف الجبابرة

وتكتب في زوجها إلياذة

يسير حِفظها

وتخلّدُ في الذاكرة

***

أريدها صبورة

على الشدائد جسورة

لا تَــــكَــــلُّ ولا تَـــــمَـــــلُّ

شــــــديـدة الـبــــــأس

نــضـــــــــــــرة ودودة

***

أريـدهـا.. طيـــــبـــــة النفس

مـــــــرهـفــــــــة الحـس

وتقـــدر كـــدّي على عـــيـــشي

ولا يـزعـــــجــــــهــــــا

تــأخــــــــــر الــفَـلْـس

***

فــــيـــــا ليت شـــــعــــري

صَـــــــــــعْـب المـنــال!

أم ليس هنـاك.. أمـــر مـــحـــال

مــن وجــــــــــــدهـا لــي

وتملـك تلك الخـــصـــــال؟!

رد وعتاب:

يا فـارس أحـلامـي وذرا أملي يا بطل الشــجــعــان

لم لا تحـمل درعي فـوق الـفرس الجـامح في الميدان

لم لا تشــهـر ســيـفـا هنديا تقـتل أمل الشـيطان

تكســر خطوته المفــتــونة.. تقطع ألسنة الـنيـران

تملأ دلـوك من ســاقــيــتـي وترش لهــيب النيــران

تهـديـنـي في ليلة عـرسي عـقـدا من زهـر الريحـان

فــســتــانـا من نـسج الـســوسن لم تره عـينا إنســان

خـــاتم حب مـــزدان بســـلام من عند سليـــمـــان



وتغوص ببحري أعماقا لم تبلغها قدمُ الجان

تستخرج من أصدافي أغلى لؤلؤة للشطآن

***

لم لا تحرك يا جبلا لم لا تطرق بابي عجلا

هل أعلن عن نفسي علنا وأقدم ما أملك بدلا

خذ يا جنة حبي القادم ما يطرد عنك الكسلا

خذ ما تملك عيني ويميني وأنبت في أرضي نخلا

خذني كلي واترك من جذعك ما أتفيؤه ظلا

من يعطي الحب سيأخذه أضعافا يا من قد بخلا

(من يزرع خيراً يحصده) ما أروع ما ضربوا مثلا

إني لا أبخل في الحب ولن أرضى في كرمي بدلا

قد يكون كلامي بالنيابة عن حواء مجروح لكوني من فئة آدم. لكن ما تخطه السطور هو إما كلام آخرين سمعته و قرأته أو تفسير لمشاهدات معينة يحتمل الخطأ والصواب.

والنساء أربع:

- امرأة جميلة...وهذه تعجب الرجل.
- امرأة ذكية...وهذه تلهم الرجل.
- امرأة فاتنة...وهذه تأسر الرجل.
- امرأة طيبة...وهذه تتزوج الرجل.

وفي قلب كل امرأة أمنية: ففتاة السادسة عشر تطلب أميرا جميلا كفرسان الأحلام الذين يأتون في أحلام اليقظة، وإذا كبرت وتجاوزت العشرين طلبت وزيرا أو وكيلا ذو مال ونفوذ، وإذا تخطت الخامسة والعشرين طلبت موظفا عاديا، وإذا تجاوزت الثلاثين طلبت رجلا يستطيع أن ينفق عليها ويجعلها سعيدة، فإذا تجاوزت الأربعين طلبت أي رجل!

يا لسلطان المرأة ما أعظمه على هذه النفس، ويا لجمالها ما أعذب وقعه على القلب، ما اشد حاجتنا إلى عطفها وحنانها.

وكثيرا ما تجد حواء لذة عميقة في أن تجرحك فإذا رأتك تتألم أحست بالسعادة ثم أسرعت إليك ملهوفة لتداوي جراحك. مهما تقلبت، ومهما تقدمت في العلم أو في العمل، أقصى أماني حواء ثلاث: بيت وزوج وأبناء.

تقول مار لين مونرو: "احذري المجد... احذري كل من يخدعك بالأضواء... إني أتعس امرأة على هذه الأرض... لم أستطع أن أكون أما... إني امرأة أفضل البيت... الحياة العائلية على كل شئ... إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة... بل إن هذه الحياة هي رمز سعادة المرأة... بل الإنسانية "

فهذا ما تريده منك حواء أيها الرجل. تريدك زوجا مخلصا لها تنجب منك أبناء. وهي تعشق فيك الهدوء والصمت، ففي هدوئك حكمة وفي صمتك ثقة.

في بريد إلكتروني تلقيته من أحد الأصدقاء أن إحدى النساء كتبت في مجلة دورية:

" كبرنا وكبرت آمالنا وتطلعاتنا...نلنا كل شئ...نهلنا من العلم والمعرفة ما يفوق الوصف...أصبحنا كالرجل تماما، نقود السيارة...نسافر للخارج لوحدنا...نلبس البنطلون...أصبح لنا رصيد في البنك...ووصلنا إلى المناصب القيادية...واختلطنا بالرجال ورأينا الرجل الذي أخافنا في طفولتنا...ثم الرجل كما هو...والمرأة غدت رجلاً!

وبعد أن نلنا كل شئ...وأثلجت صدورنا انتصاراتنا النسائية على الرجال... أقول لكم وبصراحتي المعهودة، ما أجمل الأنوثة، وما أجمل المرأة... المرأة التي تحتمي بالرجل ويشعرها بقوته، ويحرمها من السفر لوحدها... ويطلب منها أن تجلس في بيتها.

ما أجمل ذلك...تربي أطفالها وتشرف على مملكتها وهو السيد القوي. نعم أقولها بعد تجربة: أريد أن أرجع إلى أنوثتي التي فقدتها أثناء اندفاعي في مجال الحياة والعمل "

في كتاب جميل اسمه "الرجال من المريخ، النساء من الزهرة" يصور الكاتب علاقة الرجل والمرأة بنظرية تخيلية كالتالي:

الرجال من المريخ، والنساء من الزهرة، كانوا يعيشون سعداء في عوالمهم المنفصلة، وفي يوم ما تغير كل شيء. أصبح أهل المريخ وأهل

الزهرة فجأة مكتئبين كل في عالمه الخاص به. ولكن، هذا الاكتئاب هو الذي حفزهم إلى الاجتماع.

فعندما شعر أهل المريخ بالاكتئاب، ترك كل فرد في الكوكب المدن وذهبوا إلى كهوفهم لوقت طويل. حتى صادف في أحد الأيام أن لحظ أحد أهل المريخ الزهريات الجميلات بواسطة منظاره المقرب. وعندما تبادل بسرعة منظاره مع الآخرين، ألهم منظر هذه الكائنات الجميلة أهل المريخ، وزال اكتئابهم بطريقة معجزة. شعروا فجأة بأنهم مرغوبين ثم خرجوا من كهوفهم وبدأوا يشيدون أسطولا من سفن الفضاء ليطيروا إلى الزهرة.

وعندما أصبحت الزهريات مكتئبات، شكلن حلقات وبدأن يتحدثن مع بعضهن عن مشكلاتهن ليشعرن بالتحسن. لكن هذا لم يبد أنه خفف من الاكتئاب. وبقين مكتئبات زمنا طويلا حتى رأين عن طريق حدسهن مناما. رأين كائنات قوية مدهشة (أهل المريخ) تأتي عبر الكون ليعشقوهن، ويخدموهن، ويقدموا لهن المساندة. وشعرن فجأة بأنهن معززات. وعندما تحدثن عن منامهن مع الأخريات زال اكتئابهن، وبدأ الاستعداد بحبور لوصول أهل المريخ.

ثم يحلل ويفصل الكاتب في علاقة الرجل بالمرأة حتى يصل إلى إنه عندما نسيَ أهل المريخ وأهل الزهرة أنهم من كوكبين مختلفين ويجب أن يتواصلوا بطريقة مختلفة بدأت المشاكل تقع بين الطرفين لعدم تفهم أحد الطرفين للآخر. أ. هـ.

في معظم الأحيان، حواء هي التي تبدأ العلاقة. ترسل حواء إلى آدم نظرة خاطفة تقول يمكن أن تكون أنت الشخص الذي يجعلني سعيدة، هذه النظرة هي التي تشجعه على الاقتراب أكثر فأكثر. لذلك، تجد حواء هي الأشد تأثرا بالفراق والهجر لأنها هي التي بدأت العلاقة.

وبالمقابل آدم يحب دائما أن تكون حواء محتاجة إليه راغبة فيه. ألا يحتاج أحد إلى آدم، يعتبر موتا بطيئا بالنسبة إليه. ففي ذلك قتل لغريزة أساسية فيه.

إن أفضل أسلوب يعامل به آدم حواء هو أن يكون منصتا جيدا لها. فحواء تحب أن تفضي بما في صدرها لآدم لا ليساعدها ولكن ليشاركها

الشعور. فـإنه عندما يفعل ذلك، فقد أشبع غـريزة أساسية فيهـا وقدم لـها هدية جميلة.

من الأهمـية القصـوى بالنسبـة إلى النساء عـامة أن يشـاركن مشـاعرهن وأن يشـعـرن أنهن يلقين الـرعـاية والتـفـهم. كمـا إنه بنفس القـدر والأهمـيـة بالنسبة إلى الرجال أن يشعروا أنهم مقدرون ومقبولون وأنهم محل ثقة.

يقول فـريدريك نيتشـه: ليحذر الرجل المرأة عندمـا يستولي الحب عليـها، فهي تضـحي بكل شئ في سبـيل حبـها، إذ تضمـحل في نظرها قيم الأشـياء كلها تجاه قيمته. وليحذر الرجل المرأة عندما تساورها البغضاء، لأنه إذا كان قلب الرجل مكمنا للقسوة فقلب المرأة مكمن للشر.

قلب الأنثى ليس كـقلب الذكر، المرأة إذا أحبـت فلن تستطيع الصـبر طويلا دون أن تمنح الحـب لمن بادلتـه حبـا بحب، وإذا كـان الحب لدى الـرجل من الناحية النفسـية أغلبه إرادة أخذ وانتزاع، فإن الحب لدى المرأة مـعظمه رغبة منح وعطاء.



الفتور في العشق

عندما تنتقل العلاقة من نار محملة بالشوق والوجد والقبول والسهر والولع، إلى علاقة مليئة بالنفور والفتور والثلجية وعدم التقبل، وعندما تبدأ شمعة الحب بالتخافت شيئا فشيئا وتبدأ تلك الحيوية والنشاط اللذان دبا في أول العلاقة بالذبول، عندها يبدأ المحب والحبيب في التفكر في العلاقة وتبدأ الأمور تأخذ مجرى آخر في مسألة العلاقة. إذ يبدأ يستجيب القلب لنداءات العقل كلما عاش العاشق لحظات من السكر العاطفي. لا نقول أن تلك اللحظات أعني لحظات السكر العاطفي ليست لطيفة المحيا والشعور، لكنها سحابة صيف لا تكاد حتى تختفي.

سكرنا ولا خمر ولكنه الهوى

إذا اشتد في قلب امريء ضعف الرشد

العلاقة التي ينتابها الفتور ليست من الإخلاص والحب الحقيقي بمكانه. الحب والعشق الحقيقي هو الذي يجدد نفسه بنفسه، يتجلى عندما لا يكون هناك حاجة للبحث عن محبوب آخر، إنما تراض عن قناعة وتبادل في الإخلاص.

نعم لا بد هناك ابتعاد ظريف بين العشاق، فترة قصيرة من الزمن بمثابة الاستراحة، يرتب فيها المحبين حياتهم العاطفية مع بقية شؤون الحياة الأخرى. لكن إذا كانت هذه الاستراحة دعنا نسميها استراحة العاشق قد أعلنت لك عن ملل من الحبيب وبدأت تنظر إلى عيوبه بعد أن كنت تعتبره الشخص المناسب الذي سخره الله لك، هذا هو الفتور الذي نحكي عنه.

إذا لاحظت هذه الأعراض قد ظهرت في حياتك العاطفية فاحسم الأمر حالا ولا تماطل، لا تجعل حياتك مليئة بمغامرات عاطفية فاشلة فإن ذلك له أثر سلبي عليك وعلى مستقبلك العاطفي. قد تبدو المسألة بسيطة لك، لكنها في الواقع معضلة، خاصة إذا كنت ذا حس عميق وتتأثر بتأثر الآخرين.

إذا كنت لا تعشق من أنت على علاقة معه، فلماذا الانتظار، لماذا تشاهد كل هذا الفتور في العلاقة وتصر على الاستمرار. الحب يا حضرة العاشق شمعة مضيئة، تماما كما تشاهد الشمعة الحقيقية، تشتعل وتضيء، تراها في اشتعالها تتحرك يمنة ويسرة، هذه هي حياة المحبين، مليئة بالأحداث المثيرة، أحلام وإنجازات، بناء عش لمشروع زواج مستقبلي. إذا كان الأمر لا

يروق لك فأنت إذن على علاقة خاطئة، ما هو أقصى ما تتمناه من هذه العلاقة، انظر إلى أين ستنتهي. نحن نعرف انه من الجميل أن تعيش وأنت تملك الكثير من المحبين والعشاق حولك، لكن ليس بالجميل أن تفجع فيهم جميعا يوما ما!

كثير من المحبين يجد نفسه أحيانا محاصر بين أكثر من معشوق. خذ هذا السؤال مثلا، إذا خيرت بين شخص يحبك وأنت لا تشعر بميل نحوه أو شخص تحبه ولا تشعر أنه يبادلك نفس الشعور الذي تكنه له، من ستختار؟ مثل هذا السؤال صعب حقا.

كثير ما نعيش أحداثا مشابهة لموقف كهذا السؤال عندما تُحْشَرْ في الزاوية من أكثر من شخص. منا من يحب التجارب وهو مستعد لتحمل النتائج، فيغزو بجيوش حبه هذا وذاك، مندفعا بلا هوادة، وهو المسؤول!

ومنا من يملك قلبا عطوفا فيحن على هذا، ويريد ذاك، يعيش لحظات من الحيرة العاطفية. العاشق يجب أن يختار ويحسم. يختار من يحب ويتأكد من توافق حبه مع من أحب ويحسم الأمر مع الآخرين. في مسائل الحب، الحسم هو الفيصل في الأمور. فقرر الآن من ستختار؟

كما يقال، التردد آفة القرار، واللعب في مشاعر الآخرين والتمتع في إنشاء علاقات أمر ليس بالسهل وهو مهلكة للوقت والعمر، هذا إذا افترضنا عدم جلبه لكثير من المشاكل الاجتماعية والنفسية.

إذن، انتبه للفتور، متى ما أحسست به، فاعلم أنك على وشك اتخاذ قرار من القرارات الحواسم، من هو معشوقك المفضل، من هو الحبيب الذي يستحق منك علاقة حب، هل يريدك هو فعلا؟ وكم ستستغرق معه هذه العلاقة حتى يتم الزواج؟ كلما طال زمن هذه الفترة، كلما كانت فرصة تسلل الفتور على العلاقة أكبر؟ فما هي قراراتك؟

رسائل العشاق[1]

هناك أوقات لا ينفع فيها الحديث، ولا تكون المشافهة فيها هي الوسيلة الامثل للبوح بالمشاعر. هنا تأتي أهمية الرسالة المكتوبة، الرسالة التي بها يدون المحب مشاعره بأسلوب معين، تتناقص بعد كتابتها آلامه والمشاعر السلبية التي يكبتها بداخله.

فيها يستطيع العاشق أو المحب بشكل عام أن يتواصل مع معشوقه بأسلوب أكثر مرونة وتوازن. وقد تكون الرسالة مكتوبة بخط اليد أو مطبوعة، كل ذلك يندرج تحت مفهوم واحد. ألا وهو الرسالة المكتوبة، سواء أرسلت عن طريق البريد العادي أو الإلكتروني أو عن طريق صديق عزيز يكتم الأسرار.

قولي ما لديكِ
واكتبيه بخط يديكِ
فهو أدعى
أن يكون كما هو
خارجا من شفتيكِ

في الرسائل، يجد المحب ثقة وأريحية متناهية لإبداء كل ما في خلجات صدره من حديث وأفكار يود أن يجد لها آذان صاغية. فيها أيضا يستطيع أن ينقل مشاعر يعسر إيصالها دون جرح المستمع كالفراق مثلا.

وفي الرسائل، تستخدم عبارات أكثر إفادة و توصيلية للمعنى لتعذر ذلك في المحادثات العادية. يقول د.جون غراي:[2].

إن مشاركة الرسائل يمكن أن تكون مخيفة. فالشخص الذي يكتب مشاعره الحقيقية يشعر بأنه عرضة للانتقاد. وإذا رفضه شريكه فإن هذا يمكن أن يكون مؤلما للغاية. والهدف من مشاركة الرسائل هو الإفصاح عن المشاعر حتى يستطيع الشريكان أن يصبحا أقرب. وهي نافعة جدا ما دامت العملية تتم بأمان. ومن الضروري أن يحترم الشخص الذي يتلقى رسالة حب تعبيرات الكاتب. فإذا كانوا لا يستطيعون أن يعطوا دعما حقيقيا دالا على الاحترام، فعندئذ يتوجب عليهم ألا يوافقوا على الاستماع حتى يستطيعوا.

---

(١) من رسائل العشاق في الكتب مع بعض التصرف.

(٢) الرجال من الزهرة، النساء من المريخ.

والمشاركة في الرسائل يجب أن تتم بنية صحيحة. تتم بروح إقراريْ النية التاليين:

أولا: إقرار نية لكتابة ومشاركة رسالة حب:

لقد كتبت هذه الرسالة من أجل أن أعثر على مشاعري الإيجابية ولأمنحك الحب الذي تستحق. وكجزء من هذه العملية فإنني أشركك في مشاعري السلبية، وهي التي تكبحني.

إن تفهمت سيساعدني على أن أفصح وأتخلص من مشاعري السلبية. إنني واثق بأنك ستستجيب لمشاعري بأفضل ما تستطيع. إنني أقدر رغبتك في أن تستمع لي وتدعمني.

بالإضافة إلى ذلك أتمنى أن تساعدك هذه الرسالة في إدراك طلباتي، وحاجاتي، ورغباتي.

والشريك الذي يستمع للرسالة يحتاج إلى أن ينصت لروح إقرار النية التالي:

ثانيا: إقرار نية بسماع رسالة حب:

أتعهد بأقصى ما أستطيع أن أفهم صدق مشاعرك. وأن أتقبل اختلافاتنا، وأن أحترم حاجاتك كما أحترم حاجاتي، وأن أقدر أنك تبذل قصارى جهدك لتنقل مشاعرك وحبك.

أتعهد بأن أنصت لا أن أصحح، أو أنكر مشاعرك. وأتعهد بأن أتقبلك ولا أحاول أن أقوم بتغييرك.

إنني مستعد لأن أنصت لمشاعرك لأنني بالفعل أهتم وأثق بأنك تستطيع أن تحل هذا الأمر.

وقبل أن ندلف في رسائل العشاق هناك أمر يتميز به هذا النوع من الرسائل، أعني رسائل العشاق، إذ أنها لا يمكن أن تقرأ لمرة واحدة. فتجد العاشق دائما يعيد قراءة ما يصله من الرسائل ربما لمجرد التسلية فقط. يقلّب فيها ويتأمل ويبحث عن تفسيرات لكل كلمة وحرف قد خطها المحبوب له! حتى إن لوصول الرسالة إلى المحبوب وعلم المحب أنها قد وقعت بيده ورآها للذة يجدها المحب عجيبة تقوم مقام الرؤية، وأن لرد الجواب والنظر إليه سرورا يعدل اللقاء. ولهذا لا تعذل المشتاق في أشواقه عندما تراه يضع الرسالة على عينيه وقلبه ويشمها ويعانقها!



ومن العشاق من يحسن الوصف والتعبير في الكتابة، له إلهامات تأتيه عند الكتابة يبوح بها وتأتي معبرة بما يريد بوحه للمعشوق. حتى إنه ليرقص طربا عندما تخرج منه جملة معبرة أو يؤيد بكلمة مجزية.

الرسالة الأولى:

مصارحة:

ربما استغربت، لأول وهلة، صدور هذه الرسالة عن شاب لم تقم بينك وبينه من قبل رابطة قربى، ولا صلة صداقة، ولا عاطفة إعجاب، ولكن متى علمت أن العاطفة الطاهرة تنمو في داخل القلب، ثم تخرج إلى النور، كما تخرج الزهور من قلب البراعم، أدركت أن هذه هي وسيلتي الوحيدة للتعبير عن عاطفة قلبي، ووجدت لي عندك عذرا مقبولا في توجيه هذه الرسالة إليك.

تذكرين يا عزيزتي لقاءاتنا المتكررة التي جاءت وليدة الصدفة وحدها، وتذكرين أيضا أنني لم أكن أكتم عنك اهتمامي بك، وإعجابي بمواهبك، وتقديري لشخصيتك الجذابة، ولا أظنك كنت ترفضين مثل هذا الاهتمام، أو تستغربين ذلك الإعجاب، متى ما صدر مني نحوك.

ولكن وجودنا بين أشخاص آخرين كان يحول دون أن أبثك حقيقة ما يخالج نفسي من شعور المودة العميقة التي أراها، وبكل صراحة قد غدوت في قلبي حبا لطيفا هادئا يدخل على وجداني لذة روحية، وسعادة صافية.

أرجوك أن تصدقي بأن للقدر يدا في تنبيه العواطف، لقد أصبحت أحس وكأن وجودك قطعة من وجودي. فأنت الطيف الجميل الذي يلاحقني أنى حللت، وكيفما اتجهت، حتى لم يعد أمامي سبيل إلى إيقاع الظلم بك أو بنفسي، إذ أحبك وأنت لا تعلمين، وأرغم طيفك على البقاء معي، أو يرغمني طيفك على البقاء معه، وأنت غافلة عما يدور في وجداني من صراع الهوى الغلاب.

لذلك كتبت إليك هذه الرسالة. كتبتها لأقول لك ببساطة وبصدق، وبغير التواء أو تمويه: إنني أحبك.

يا عزيزتي: أنا على انتظار موقفك مني: إذا بادلتني عاطفة بعاطفة، فليكن ذلك في رسالة طاهرة بريئة، وإن لم تبادليني عاطفتي هذه، فلا تهزئي بها، لأنها أنبل من أن تكون موضعا للسخرية، فأنا أريدك شريكة شرعية لعمري.

وثقي بأني راض بحكمك في الحالتين، فقد جئتك محبا لا مستجديا للحب، فإن أحببتني، وعدتك من حبي بالمزيد، وإن تعذر حبي عليك، فسأظل وفيا للذكرى، وسأجعلها حلما لذيذا ألوذ به كلما ادلهمت الأيام.

الرد:

قرأت رسالتك، ثم قرأتها، ثم قرأتها، فلم أصدق أن القدر قد أسمع القلب نداء القلب. بصراحة وبصدق وجرأة قلت لي: إنك تحبني!.

فأعذرني أنت، ولا تطلب مني أن أعذرك، إذا قلت لك بالمثل: وأنا أحبك حبا لا مزيد عليه. ولن يضعف موقفي تجاهك إذا صارحتك بالحقيقة التي أدخلت السعادة القصوى على قلبي، وهي أنني كنت عازمة على أن أكتب إليك بمثل ما كتبت به إلي، لو تأخرت رسالتك عني، فترة من الزمان.

والحمد لله أن القلوب تتناجى، وأن الأرواح تتنادى، وأن العواطف الطاهرة تتهادى في خاطرينا، وأن إعجابي بك وبخلقك وبصدقك وبأصالتك لا يقل عن إعجابك بي. فإذا كان ثمة من رابح في هذه الصلة الروحية التي تشد قلبي إلى قلبك، فأنا الرابحة الكبرى لأنك كنز ثمين لا يقدر.

لقد كانت نظراتك إلي واهتمامك بي، يثير في نفسي أكثر من سؤال. فلم أكن أدري إن كانت تلك منك بوادر الحب الأصيل أم إنه الإعجاب الذي لا يتجاوز حدود التقدير بين شخصين غريبين تلاقيا بالصدفة، وصدفة تكررت لقاءاتنا ولكنني الآن آمنت أنه رب صدفة خير من ألف ميعاد، وأن النفوس التي خلقت لتكون معا، و لتحيا معا، تتعاطف وتتآلف منذ اللقاء الأول.

تأكد يا عزيزي، أنني إذا أصبحت زوجا لك، أني سأحرص على أن أجعل أيامك كلها فردوسا خالدا، إذا قدرني الله سبحانه وتعالى، وإذا قدر لنا أن نحيا بقية العمر سويا، في بيت هادئ دافئ هو بيت الزوجية السعيد.

وعلى هذا الوعد، أودع رسالتي إليك كل ما في قلبي من حب لك، وأمل بك، وشوق إليك.

الرسالة الثانية:

رسالة فتاة عادت لرشدها:

احمل متاعك الممزق، أيها الرجل، وارحل عن أرضي، فلم يعد في صدري مزيد من القدرة على مواجهة جنونك وحماقاتك وبلاهتك.



كفرت بك، وبحنانك، وبذاك التافه الملعون الذي تسميه حبا. ليس بيننا، ولم يقم يوما، حب. كانت هناك، في داخلي وفي داخلك رغبة ملحاح، وقد أعطيناها معا وقتنا وأعصابنا، وركضنا وراءها شهورا طويلة، حتى تعبنا...وحان الوقت لنستريح.

ولا تقل...لنبق شهورا، أو أياما أخرى، لنواصل لعبة الهلاك سويا، لا تقل هذا فلن أبقى. لقد عزمت على أن أمزق بأسناني كل حبل كان يشدني إلى عالمك الضائع، الملون بأكاذيب بيضاء وحمراء وصفراء وسوداء، تضعف البصر.

وقد عميت عيناي معك وانشل العقل في رأسي، وتعب القلب في صدري وهو يتلقى وخز دبابيسك المؤلم.

كفى أيها الصديق، وثق بأن بابي، إذا عدت إلى طرقه يوما، سيظل مغلقاً.

الرسالة الثالثة:

من خطيب إلى خطيبته:

سلام كله إخلاص، وتحية كلها سعادة، وحب غامر يملأ الكون...كل هذا أقدمه لخطيبتي الحبيبة. بعد شهرين سننتقل إن شاء الله إلى عالم جديد هو عالم الزواج، وستواجهنا حين ذاك بعض التغييرات التي أود تنبيهك إليها قبل أن تشعري بمفاجئتها، اعلمي يا فتاتي أن أساس الزواج هو التضحية، ومن كل من الجانبين، أنا وأنت...ومن الطبيعي أن تتعارض آراؤنا حول قضية واحدة فأنظر أنا من زاوية وتنظرين أنت من أخرى...وبذلك نختلف...وهنا تتبدى قوة حبنا، فمن الواجب أن يلين واحد منا للآخر ويضحي حين لا يأخذ الآخر برأيه.

أقول هذا مع أنني وطنت نفسي على مناقشة كل موضوع معك، واحترام كل ما تقولين إلا ما كان في غير مصلحتنا نحن الاثنين. هذه مسألة. أما المسألة الأخرى فهي المنافسة التي يمكن أن تبرز، كما تبرز في العادة بينك وبين الوالدة.

اسمعي يا حبي:

أنت تعلمين أن والدتي عجوز طيبة، نعم، نعم إنها تنقصها ثقافة المدارس، لكنها تعوض عن ذلك بحكمة تجارب الحياة. ولا أبالغ إن قلت أن رأيها في كثير من الأحيان يكون هو الصواب، لا رأيي أنا، هذا بالإضافة إلى أن فضلها علي عظيم كأم، وكمربية، مما لا يسعني أن أتنكر له...وهي تبلغ من الطيبة حدا لا تتصورينه، ولا أظن غيرك يتصوره. كما أنها تحبك حب الابنة العزيزة...

و أما أنت، فأنا أهنئ نفسي على أن حظيت بحبك، على ما أعرفه عنك من رجاحة العقل واتساع الثقافة، والخلق الكريم. وكل هذا لن يمنع من حدوث بعض الغيرة في قلبك وقلبها. وهذا شيء طبيعي. أما سببه فهو أن الوالدة تود دوام إظهار منزلتها عند ابنها وطاعته لها واحترامه إياها. ومهما كانت كريمة فإنه لا يسعها أن تجود بابنها لامرأة أخرى، حتى لو كانت زوجته.

وكذلك العروس، فهي تود أن تتدلل على زوجها، وتبدي لجميع الناس أنها المسيطرة على تصرفاته بحكم حرصها عليه، وثقته البالغة فيها...وهذا طبيعي أيضا.

لكنى يا حبيبتي لن أسمح بشيء من هذا النفور المحتمل، فلكل منكما حد تلزمه، لن أنقصه عليها، مع أني سأحافظ على وجودي المستقل...

أنا واثق من أن كل منكما تنشد الخير، ولكني واثق أيضا من أنني أنا المسؤول عن التوفيق بين طريقيكما، فلك كل حبي، ولها كل احترامي... ولا أود أن أغفل نقطة رئيسية في هذا الموضوع، وهي:

أن المال هو السبب الذي يؤدي إلى النفور بين الحماة و الكنه في الغالب. ولدي والحمد لله منه قدرا يسمح بإجابة مختلف متطلباتك ومتطلباتها. وهذا ما يساعدني على إبقاء حب متبادل بينكما إلى الأبد.

يقولون يا فتاتي إن الحب أعمى، وهذا غير صحيح، فالأعمى لا يقود إلى الأفضل. أما أنا فأقول: في حالي معك يكون الحب بصيرا كله عيون ولهذا فإننا سنعيش سعداء.

الرسالة الرابعة:

زدني حبا:

حبيبتي...

أثارت رسالتك حبي من مكامنه...فأكدت ولهي بك وهيامي، من هذه اللهفة التي أشعر بها نحوك في كل آونة من الليل والنهار.... والإحساس بفراغ عميق عندما تكونين بعيدة عني. فأنا أشعر دائما بحاجة إليك....

ثقي أني دائما أصغي إليك وإلى كل ما تقولين، وأرجو من الله أن يسمح ويقرب ساعة اللقاء، التي بت أتمناها من أعماق القلب وصميم الفؤاد.

لا يسعني إلا أن أودعك الآن على أمل اللقاء العاجل. واقبلي يا حبيبتي أحر وأصدق تحياتي المخلصة.



الرسالة الخامسة:

في عش الغرام

حبيبتي الوفية...

ما أتعسه يوما لا تكونين فيه بقربي!

وما أثقله من ليل لا أرى خلاله طيفك يناجيني!

عندما أراك تزول همومي وأنسى نفسي، ولا يلذ لي شيء في الدنيا إلاك. إني ـ حسب الوعد ـ مجد لإيجاد بيت أحلامك الصغير، حيث سنبني سويا اليد باليد، والكتف إلى الكتف، عشا صغيرا لغرامنا نحيا فيه سوية بهناء وسرور. وإني لأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني في مسعاي، لأتمكن من الاجتماع بك، ولا نعود ننفصل فتتم أحلامنا ونحيا لآمالنا...

ولكني على يقين من أن الأحلام والآمال لا تكفي وحدها في حياة المحبين، لأنها كثيرا ما تدفع إلى الملل والسأم واليأس...

كلا إن العواطف وحدها لا تكفي، بل هناك أمور أخرى يجب التفكير بها كالزاد والكساء والدواء وما تتطلبه ضروريات الحياة، وهذا ما أنا منصرف إلى تدبره، وعندما أصبح قادرا على توفير هذه الأمور، سأدعوك إلى مشاركتي الحياة العائلية التي نصبو كلانا إليها.

واقبلي حبيبتي...تحياتي المشتاقة.

الرسالة السادسة:

اصبر قليلا !

لقد منَّ الله علينا باللقاء والتعارف صدفة، ومن دون سابق موعد، كما يقال.وهذا في رأيي يكفي لأن يكون العربون لحبنا المتبادل، إلى أن تتم المعجزة، فيجود علينا الله سبحانه وتعالى باللقاء القريب الذي لن يكون بعده فراق أبدا!

فنحن ما زلنا على مقعد الدراسة نتابع شق طريقنا في هذه الحياة، وباب المستقبل المفعم بالآمال الجسام نراه مفتوحا أمامنا على مصراعيه...

فقليلا من الصبر يا حبيبي، وسيتم كل شيء على أحسن ما يرام.

أعلم أني الفتاة التي وهبتك قلبها منذ النظرة الأولى، وتجاوزت حدودها

وراسلتك في غفلة من أهلها وذويها، وهذا وحده أيضا يكفي بأن تصبر قليلا ولا تطلب مني الكثير، لأن ذلك سيفسد ما بيننا من الود. وهو كفيل بأن يهدم كل ما بنيناه من أحلام في الدخول في عش الغرام وانتظار كلمة عقد فلان على فلانة!

وثق بأنني لا افتعل هذه الأقوال، ولا أتكلف تلك العبارات، ولو أنني لم أشعر بمبادلتك تلك العاطفة التي تأججت في نفسك يوم لقاءنا الأول، لما أخفيت عنك ذلك مطلقا، فكن مطمئنا إلى صحة علاقتي معك، فقد فتحت لك قلبي، وسكبت فيه من الحب ما لا يقل عما تحدث به أنت عن نفسك، غير أن الوقت لم يحن بعد لأبرهن على صحة هذا القول الذي ربما تجده مجرد ادعاء أو محاولة تهدئة.

المخلصة لك...

الرسالة السابعة:

حتى يتم لقاؤنا

تحية زاهية زاهرة، أزكى من شذا الزهر، وأعذب من تغريد البلبل، لا تسل عن غبطتي لدى استلام كتابك، وإني أتمثل بقول الشاعر:

وصل الكتاب كتابكم فأخذته

ولصقته من حرقة بفؤادي

فكأنكم عندي نهاري كله

وإذا رقدت يكون تحت وسادي

تناولت رسالتك بيد مرتعشة وعين شاردة، لا تكاد تصدق أنها تتسلم تلك الرسالة التي تحمل بين ثناياها هنائي، وتخفي بين سطورها سر سعادتي. كنت أتمنى لو أنك شاهدتني، وأنا أتلوها بلهفة وشوق، رغبة في معرفة مضمونها بسرعة، وأملا في الاطمئنان على مستقبل حياتي.

وما كدت أصل إلى هذه الكلمة الرائعة ـ أحبك ـ ووقعت عليها عيني، حتى توقفت عندها لا أريد أن أتجاوزها. كأنما أخذت بسحرها، أو شددت إليها بخيوط من نور، صنعت من حروفها الجميلة.

حتى إذا انتهيت من قراءتها، تفتح لي عالم جميل من الأحلام. فرأيتك بجانبي أنظر إلى عينيك العميقتين، وأغرق في خيالات حتى لا أنقطع عن

التفكير فيك، فتمنيت أن أكون سابحة في ذلك حتى يتم اللقاء. ذلك اللقاء الذي أنتظره وفي القلب أمل يضطرب. فما أحلى الحب وما أشهى اللقاء عند المحبين.

ختاما: تقبل، حبيبي، أحر أشواقي والى اللقاء.

حبيبتك المخلصة

الرسالة الثامنة:

أعترف لك !

تحية من أعماق القلب، وشوقا يجل عن الوصف، وبعد:

لست أدري سر هذا الاضطراب العجيب الذي يعتريني كلما أردت أن أكتب إليك، ولا سبب تلك الرعشة التي تنتاب لساني كلما أردت أن أخاطبك. إني أتساءل عما دهاني؟ أهذا هو الحب؟ إن لم يكن هو فما لي إذا رايتك اضطرب كياني، واشتد خفقان قلبي، وتدفق الدم حارا في عروقي!

وما لذاكرتي تتخلى عني كلما حاولت أن أحدثك عن شوقي. فإذا ما غبت عني وابتعد شخصك الحبيب عن ناظري، انتهت ذاكرتي وعادت، وأخذت العبارات المدخرة تسري في وجداني، وتحتشد على لساني، تلك العبارات التي أدخرها لك يا حبيبي، وصغتها من نفثات صدري ومكنون قلبي، لأشرح بها حبي وأصف وجدي. أليس هذا هو الحب؟ أليست هذه علاماته؟ بلى انه هو وهذه علاماته، ولا مفر لي من الاعتراف به...

إنني بصراحة وببساطة أحبك، أحبك من صميم قلبي، حبا ملك على حياتي، وأنا أطمع منك في أكثر من أن أرى لحبي صدى في نفسك، وأنك بدأت تهتم بي وتبادلني الحب، أنا أطمع في أن أرى منك علامات صادقة وخطوات جريئة في أن ترتضيني شريكة لحياتك وهذا ما أبتغيه و أرجوه في الحياة.

ختاما: إني بانتظار جوابك الذي سيكون بلسما لقلبي وما جاء منك رضيت به حتى لو أبديت لي اعتذارك فستجدني صبورة على الشدائد جسورة.

الرد:

حبيبتي...

عزف الحب نغمه الجميل في قلبك الخفوق...فنقل صداه إلى قلبي، ونفض عنه أحلام الصبا والخيال، وضرب على أوتار قلبي أنشودة الحب العذبة التي يحيا في خيالها كل فتى...فأحببتك...وبدأت تبعثين فيّ الأحلام التي كنت أرجوها في الحياة.



وليس هذا الشعور المقيم الذي سيطر على قلبك مدة من الزمن، هو شعورك فحسب، بل إنني كنت أحس أيضا برجفة غريبة كلما صادفتني، ولا أخال ذلك إلا دليل الحب، ها هي الدنيا ترحب بحبنا، وها هي الطبيعة بجمالها وسحرها تبارك هذا الحب، فلندخل معا إلى هيكل الغرام ونقسم على الوفاء المقيم والإخلاص...

إنني لأفتح قلبي لهذا الحب...وأغلق عليه، دفعا لصدمات الحياة، ولست أبالي للأقوال التي سوف تعترضنا.

فحافظي أيتها الحبيبة على هذا الحب حتى يورق، ثم يزهر السعادة والهناء...وأنا أعاهدك أمام الله والضمير على الوفاء والصبر والإخلاص.

الرسالة التاسعة:

من شاب إلى فتاة يستوضح حقيقة عواطفها نحوه، وإمكانية زواجه منها:

ليس بإمكاني أن أتكلم عن مبلغ التقدير الذي أكنه لك في قلبي، والأثر البليغ الذي تركه جمالك الرائع في نفسي وعقلي وقلبي.

إن أخلاقك، ومعارفك، وخصالك، وما تتحلين به من ثقافة رفيعة أوحت إليّ حبك الذي لن ينتهي إلا مع آخر يوم من أيام حياتي.

قد تفكرين أني كنت مريضا في حبي أو أنه ليس سوى نزق شاب يريد أن يلهو، ولن يفتأ أن يزول، ولذا جئت أؤكد بهذه الرسالة حبي لك الذي أثارته مقابلتك الأولى والتي لن أنساها.

جئت الآن بعد أن انتظرت عبثا مقابلة أتمكن من خلالها التفاهم معك، لأضع كل قوتي وأملي بأن أصبح محبك الوفي الأمين، القادر على تنفيذ كل رغباتك.

ثقي أن هذا القلب الذي أقدمه لك هو الإناء الطاهر الذي سيحوي حبك، ويسهر على نموه بكل تضحية وعطف وحنان...فهل توافقين يا عزيزتي بأن أطلع والديك الكريمين على علاقتنا الشريفة. وهل تعتقدين أنهما سيصغيان إليّ، أم هنالك ما يمكن أن أخشاه.

انتظر جوابك على أحر من الجمر، وأرجوك يا عزيزتي أن تشعري بأطهر وأشد عواطفي ومحبتي.

الرد:

إنني مدينة لك بكثير من الحب والحنان، وأحفظ لك شديد الامتنان لما أبديته نحوي من الاهتمام، ولن أتمكن من وصف غبطتي وسروري بعد تصريحك الأخير لي.

ثق بأنك لن تندم يوما على حبك لي، لأنني لن أدع لك فرصة للندم، وأنك وضعت أمانتك وثقتك في الشخص الأمين الذي يعرف كيف يحافظ ويحرص عليها.

كم قاسيت من آلام الخوف والجزع، قبل أن تحزم أمرك على فتح أبواب قلبك الذي فاض في تصريحك حبا وعطفا، ولست بحاجة إلى وصف جميع حالات الهم والقلق والهلع، التي كانت تنتابني وتسيطر علي منذ عرفتك، وحتى تلقيت منك رسالتك الأخيرة التي علمت منها سر قلقك الدفين وغرامك الأمين.

إنني لن أنسى أبدا العطف الذي كنت تنظر به إلى همومي، وتجرب دوما التخفيف من حدتها أما من وجهة والديّ، فلا أعتقد أن أمامنا مايحول دون مصارحتهم بالأمر، وليكن الله معنا، لنكون مثال الأحباء المخلصين.

الرسالة العاشرة:

من فتاة تطلب الزواج من شاب:

شيء ما مدهش ومع ذلك هو صحيح، فربما هذه أول رسالة من فتاة إلى شاب تطلب منه الزواج. أنا لا أعرف إذا كنت قد فكرت بي، لكن مع ذلك فأنا أفكر فيك دائماً. منذ أن التحقت بهذه الكلية كنت دائما أجد نفسي منجذبة إليك لكن قلّما كانت عندي الشجاعة لأعبر عن مشاعري لك رغم العديد من الفرص التي سنحت لي للقيام بذلك. لا أحد يعلم بذلك سوى صديقتي عائشة التي شجعتني الآن على إرسال هذه الرسالة.

إذا كنت تتقبل حبي وترغب الزواج بي، فإنني سأكون أسعد مما يمكن للمرء أن يتصور. وإذا كان الحال غير ذلك، أرجو أن تعذرني مؤكدة لك بأنني لن أقوم بأي شيء قد ينعكس على سمعتك.

المخلصة لك

الرسالة الحادية عشرة:

رسالة من فتاة إلى شاب تخبره بحبها

عزيزي

لطالما كتمت حبك في قلبي وحاولت وأده وهو في المهد دون جدوى، فلا يفتأ يطل على عالم الحب من نوافذ عديدة فتحها في قلبي ليستقبل سهام عينيك الجميلتين وها أنا أبادر بالكتابة إليك لأعرب لك عن عواطف قلبي الجريح بعدما اشتد إعجابي بك، ونما حتى أصبح حبا قويا عاصفا ليس بوسعي احتماله وحدي، لا تعجب من جرأتي هذه فإن حبك تمكن من قلبي وملك علي نفسي فلقد أحببتك حبا عميقا لا يعرف التلون والخداع، حبا خالدا لا تؤثر فيه الأنانيات ولا تنال منه أزمات الحياة فكل شيء فيك يدعوني إليك، عيونك.. شخصيتك.. رجولتك.. فاستجب لنداء قلبي وكن رحيما به شفيقا عليه، وإني إذ أضع بين يديك هذه الأمانة أرجو أن أنال حبك، لأسعدك، وتسعدني بتحقيق أحلامي وأمنياتي العذبة التي طالما حلمت بها وأنا أراقبك وأشاهدك أمام عيني فتأخذني هزة عنيفة أفيق بعدها وكلي إعجاب. أما إذا لم أنل إعجابك ومحبتك فسأركن إلى اليأس وزوايا الحرمان، وستقضي على شابة أرّقها حبك وهواك وعاهدت نفسها على ألا تحب سواك أبدا مهما كان رأيك فيها وثق يا عزيزي بأني سأكون مخلصة لك ما حييت متفانية في خدمتك وتقبل أحر تحياتي وإخلاصي.

الرد:

«حبيبتي» بهذا اللفظ السماوي أخاطبك، وبهذه الكلمة العذبة أبدأ حديثي معك، لأنك أصبحت فعلا حبيبتي، لأبثك حبي وهيامي، فلقد حاولت مرارا أن أكون السباق بالكتابة إليك وإعرابي عن مدى شعوري الفياض نحوك، ولكن كلما أمسكت بالقلم انتابتني رعشة أدع معها كل شيء وأسبح مع أجواء طيفك العذب الذي يقترب مني ويعانق روحي وينسيني ما بدأت به، وإذا كان الحب مصدره القلب فإن حبنا هذا مصدره الإلهام والشعور، فلقد تعلق قلبانا وتشابكت روحانا قبل أن نتصارح بحبنا.. ولن أخفي عليك أنني معجب بهدوئك ورزانتك وجمال وجهك وحسك.. ولا عجب في ذلك فإن نظراتي كانت كافية لإظهار ذلك. وثقي يا عزيزتي أني لن أبغي من هذه

الحياة سوى قلبك الفتي أبثه حبي وأودعه آمالي وأسراري واستمد منه العون لمواجهة مصائب الحياة ومتاعبها.

فإليك يا عزيزتي أفتح قلبي وروحي، معلنا حبي، إليك وحدك أبعث بمحبتي وإخلاصي ووفائي لنتعاون على بناء صرح هذا الحب الأبدي إن شاء الله.. فليبارك الله حبنا وليساعدنا على تحقيق أهدافنا في حياة سعيدة هانئة تطل على شاطئ الزوجية وعلى أمل اللقاء القريب تقبلي حبيبتي أقدس تحياتي لك بالسعادة والهناء.

المخلص لك

الرسالة الثانية عشرة:

عتاب واستفسار:

حبيبتي

إن قلبي يئن حزنا وألما وروحي تضطرب فزعا وهما أمام هذا النبأ الذي حول ضياء قلبي إلى ظلمة قاتمة، ونور نفسي حلكة عاتمة. لقد أحببتك من صميم فؤادي حبا طاهرا قويا وبنيت على دعائم هذا الحب أماني واسعة وأحلام كثيرة ورحت أتخيل في كل لحظة شكل بيت الزوجية وهيئته وأوصافه واتساعه وبدأت ادخر كل قرش يعرض لي في سبيل تأسيس وسائل الراحة والتسلية لك يا ملاكي.. وبينما أنا في أشد ساعات فرحي وسعادتي أحسست أن فلان قد استطاع أن يستميلك إليه وأنك أبديت له تقبلا وعاطفة وقد كان بينكما لقاء أكثر من مرة. فهل هذا النبأ على شيء من الصحة وإن كان كذلك فأين العهود والمواثيق التي قطعناها على أنفسنا وتعاهدنا عليها.

لن أقول لك أكثر من ذلك، ما زلت متشككا من كل ما سمعت ورأيت لأن عهدي بك قوية في حبك صلبة في إخلاصك لا يصدك عن حبي شيء مهما عظمت مكانته. وكل ما أرجوه تفسير يوضح لي حقيقة شعورك نحوي ونحو ذلك الشخص لأتخذ لنفسي الموقف الملائم وتقبلي خالص تحياتي وتمنياتي.

المخلص لك

الرد:

حبيبي

لم أكد أنهي تلاوة رسالتك حتى كانت الدموع قد غمرت عيني وسالت على خدي فأحرقتها من حرارة هذه الدموع الغزيرة. لا لست أنت الذي كتب هذه الرسالة، مهما حاولت التصور فلن أستطيع أتصورك وأنت تخط بيمينك هذه الاتهامات الباطلة عن غدري بك واحتيالي عليك ووصفك إياي بالفتاة الملوثة الخادعة اللاعبة بالنار لتحرق بها نفسها وغيرها. ولن أستطيع أن أتصور هذا المخلوق الحبيب الذي ضحى بكل شيء من أجلي يتهمني بكل هذا وقبل التأكد من صحة الخبر الكاذب وقبل التبصر والتروي ولو فعل ذلك لعلم أن هناك من يريد أن يفرق شملنا ويعكر حياتنا ويقضي على حبنا. هل بلغ بك التصور إلى هذا الحد، وأنا المخلصة لك الوفية لعهدك، الموت أشرف لي من سماع كلمات الخيانة والغدر.

إن حبي لك حبا أبديا لن يستطيع أي مخلوق أن يلوثه بوشاية أو مكيدة. آه آه وألف آه، ليتك كنت بجانبي الآن لتعرف مدى تأثري وعذابي ومبلغ حزني وألمي وأنا أقرأ رسالتك كلمة كلمة والدموع السخية تكاد تجف من منبعها من كثرة ما ذرف منها، كيف صدقت هذا وكيف خطر على بالك أني ربما أخونك وأنت تعلم أنه لا يفصلني عن حبك إلا الموت أيها المخلوق الحبيب. فارحمني يا حبيبي وارحم عيوني المتقرحة من سكب الدموع وعد إلى ثقتك الغالية بي، وعهدك السابق معي. عد إلي يا حبيبي فأنت أمي وأبي وأنت أختي وأخي.. عد إلي قبل أن أرحل عنك رحلتي الأبدية إلى العالم السماوي حيث تهدأ روحي وتستكين لمصيرها المحتوم

المخلصة لك

الرسالة الثالثة عشر:

إعجاب ممزوج بحب!

حائر أنا في أمري معك، أنا على نار مقيمة، لا أجرؤ أن أسأل عنك. وليس لي حيلة اتصل بها عليك، أريد أن أطفىء اللهيب الذي يستعر في داخلي. لا أعرف شعورك تجاهي لكن عيونك تخبرني الكثير كلما نظرت إليك. وفي



نفس الوقت لا أريد التسرع في الوصول إلى قلبك حتى لا أكون فضوليا في سؤالي وأرى منك ردة فعل سلبية؟. روحي تنادي روحك، وقلبي يستنجد بقلبك، وعيني صراخها قد علا. فهلا بان منك الوضوح.

كم تركت فرصة وأهملت فرصة. أملي نفسي لعلك تكونين البادئة، لكن صلابتك في التريث زادت من شوقي إلى سماع القبول منك في الوصال.

كاذب من يدعي الحب من أول نظرة، لكني أربي لك إعجابا ممزوجا بحب كأني به يصبح حبا صادقا يوما ما. أناديك فهل تأتين؟ فقلبي يحدثني ويقول «لا» فهل أصدقه؟ ماذا ترين؟

المخلص لك



أسطورة المنديل

لماذا نشاهد في أدبيات الحب والأفلام دائماً تبادل المناديل أو قطع قماش صغيرة بين المحبين في قصص الغرام؟ لماذا يحرص المحب على الاحتفاظ بتلك الرقعة وتبقى معه مدة طويلة يخرجها كلما أحس بالفراق؟ لماذا يتمسح بها المحبون ويحرصون عليها وكأنها قطعة من جسد لا يمكن العيش بدونها؟

يرجع تفسير ذلك إلى مفهوم كان يعتقده العشاق الأولون فيما مضى وهو أن العاشق إذا لم يشق قطعة من رداء حبيبته وهي تفعل مثل ذلك ويحتفظوا بها كتذكار، كانوا يعتقدون أنه إذا لم يفعل ذلك.. عرض البغض بينهما وكره كل منهما صاحبه.

ميثاق العشق

لي صديق مرهف الإحساس، طويل التأمل، راقي الفكر، له في المطالعة صولات وجولات، ملم بالقانون والأحوال الشخصية أستفيد بمشورته دائما إذا ألم بي أمر.

حدثته مرة عن الحب وغدرات العشاق، وتبادلت معه بعض أقاصيص المتيمين وما حل بهم، فوجدت ضالتي عنده عندما أخبرني أنه قد كتب ما اسماه بميثاق العشق. يقول أنه مفيد جدا لمن يبحث عن الحب ومن يطمح إلى حب أرقى وأسمى!

يقول في ميثاق الحب الذي كتبه:

«أقسم بالله، أنا الموقع أدناه، أن أحافظ على العاطفة النبيلة الطاهرة التي تربطني وإياك، على طهارتها ونقائها، وأن أبذل كل ما بوسعي من جهد كي أصل بسفينة حبي إلى مرفأ الزواج وألا أرتبط ما عشت بأية علاقة عاطفية أخرى».

ثم التوقيع هنا

لاحظ في نص الميثاق استخدامه لكلمة إياك حتى لا يكون الميثاق خاص بطرف واحد بل هو وهي ملزومين بالنص. فإذا سكنت الكاف كان «آدم» هو المعني، وإذا كسرت الكاف كانت «حواء» هي المقصودة.

وفي تقليعة جديدة ذهب شاب صيني وحبيبته إلى مكتب محاماة لطلب صياغة «عقد حب» بينهما يتضمن شروطا جزائية تطبق على الطرف سيء السلوك!

لصحيفة التي روت الخبر والتي تصدر في هونغ كونغ قالت بأن الشاب لي جون (٢٦ عاما) وصديقته تشو شومي (٢٢ عاما) وقعا عقدا مكونا من ١٥ بندا بشأن السلوك اللائق وينص على غرامات مالية على أي طرف ينتهك بنود العقد.

وتتحدث بنود العقد عن أمور مثل كيفية تحديد موعد ومكان تلاقي الحبيبين وما الذي سيفعلانه خلال اللقاء وكيفية تقسيم النفقات وطبيعة الأسرار الخاصة التي يمكن أن يتقاسمها الطرفان.

ونسبت الصحيفة إلى محام في شركة المحاماة التي صاغت العقد قوله إن العقد ملزم قانونا للشاب وصديقته اللذين يقيمان في مدينة شونجتشينج!

جلسة نفسية مع الشعراء

أبا الطيب، سمعنا عنك الكثير وأطراك الناس عامة، فدعنا نستشيرك في أمر من أمور العشق.

ـ ماذا تقول فيمن يشكو العشق والصبابة:

المتنبي:

لا تعذل المشتاق في أشواقه

حتى يكون حشاك في أحشائه

ـ وماذا عن التعفف؟

المتنبي:

وما كل من يهوى يعف إذا خلا

عفافي ويرضى الحب والخيل تلتقي

ـ إذن أنت تنصحه أن يتعفف؟ أليس كذلك؟

المتنبي:

كل جريح ترجى سلامته

إلا فؤادا رمته عيناها

ـ ماذا تعني؟

المتنبي:

يا عادل العاشقين دعك من فئة

أضلها الله كيف ترشدها

ـ ويحك أبا محسد هلك والله الشاكي؟

المتنبي:

أرق على أرق ومثلي يأرق

وجوى يزيد وعبرة تترقرق

جهد الصبابة أن تكون كما أرى

عين مسهدةٌ وقلبٌ يخفق

ماذا عنك بن داود، أنت صنفت في العشق كتاب الزهرة وكله شعر، ولك في مسائل الحب صولات وجولات، ماذا تقول في العشق:

يا ابن داود، يا فقيه العراق

أفتنا في قواتل الأحداق

هل عليهن في الجروح قصاص

أم مباح لها دم العشاق

ابن داود:

عندي جواب مسائل العشاق

فاسمعه من قرح الحشا مشتاق

لما سألت عن الهوى هيجتني

وأرقت دمعا لم يكن بمراق

إن كان معشوقا يعذب عاشقا

كان المعذب أنهم العشاق

وأنت ابن القيم، يا صاحب الكلام القيم، هل لك في ذلك شيء؟

فطالما كان حديثك سياطا للقلوب.

ابن القيم الجوزية:

نعم، إن النظرة تجرح القلب جرحا، فيتبعها جرحا على جرح، ثم لا يمنعه ألم الجراحة من استدعاء تكرارها:

ما زلت تتبع نظرة في نظرة

في أثر كل مليحة ومليح

وتظن ذلك دواء جرحك وهو

في التحقيق تجريح على تجريح

فذبحت طرفك باللحاظ وبالبكا

فالقلب منك ذبيح أي ذبيح

ماذا عنك فارس الفرسان عنترة، ماذا تجود به قريحتك؟

عنترة:

ولولا أنني أخلو بنفسي

وأطفي بالدموع جوي غرامي

لمت آسى وكم أشكو لأني

أغار عليك يا بدر التمام

- كلام جميل .. هيه.. زدنا!

عنترة:

وأغض طرفي ما بدت لي

جارتي حتى يواري جارتي مأواها

- أحسنت يا كحيل البشرة؟!

عنترة:

إن كنت أسودا فالمسك لوني

ولولا سواد الليل ما طلع الفجر

- أهلا أيها المجنون، أفنيت عمرك تطلب ليلى وفارقك الرقاد؟ ما الخطب؟ ماذا جرى؟

قيس بن الملوح:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلبا خاليا فتمكنا

- هيه، ثم ماذا وهل قابلتها بعد ذلك؟

قيس بن الملوح: لا ولكن..

أمر على الديار ديار ليلى

أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن حبي

ولكن حب من سكن الديار

ـ فماذا فعلت عندما حجبوك عنها؟

قيس بن الملوح

أقلب طرفي في السماء عله

يوافق طرفي طرفها حين تنظر

ـ أنت والله حقا مجنون!

هبوا... هبوا.. هبوا.. هبوا

ألا أيها الركب النيام ألا هبوا

أسائلكم هل يقتل الرجل الحب؟

ـ من.. من الرجل؟

أنا جميل.. يسمونني جميل بثينة، أبليت فيها الدهر بانتظار وعدها لي:

يموت الهوى منى إذا ما لقيتها

ويحيا إذا فارقتها فيعود

ـ أنت الذي يقولون أنك كنت مسحورا؟ هل هذا صحيح؟

يقولون مسحور يجن بسحرها

وأقسم ما بي من جنون ولا سحر

ـ فماذا عنك وضاح اليمن؟ أراك تبتسم، سمعت أن لك قصة طريفة اقنعت بها محبوبتك على اللقاء؟ فكيف تم ذلك؟

وضاح اليمن:

قالت: ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجل غائر

قلت: فإني طالب غِرّة منه، وسيفي صارم باتر

قالت: فإن القصر من دوننا قلت: فإني فوقه ظاهر

قالت: فإن البحر من دوننا قلت: فإني سابح ماهر

قالت: فحولي إخوة سبعة قلت: فإني غالب قاهر

قالت: فإن الله من فوقنا قلت: فربي راحم غافر

قالت: لقد أعييتنا حجة فأت إذا ما هجع السامر

فاسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناه ولا زاجر

ـ لياليك ملاح يا وضاح!

ماذا عنك أيها الفتى القرشي، لماذا قلت وهل يخفى القمر؟

عمر بن أبي ربيعة:

بينمـــا يذكـــرنني أبصـــرنني

دون قـيـد الميل يـعـدو بي الأغـر

قـالت الكبـرى: أتـعـرفن الفـتى

قـالت الوسطى: نعم هذا عـمـر

قـالت الـصـغرى وقـد تيمتـهـا

قد عـرفناه، وهل يخـفى القـمر

ـ أستاذ أحمد شوقي؟ سمعت لك تعريف خاص بالحب؟

أحمد شوقي:

ومـــا الحب إلا طاعـــة وتجـــاوز

وإن أكـثـروا أوصـافـه والمعـانيـا

ومـــا هو إلا الـعين بالـعين تلـتــقي

وإن نوعـوا أسـبـابه والدواعـيـا

وعندي الهوى موصـوفه لا صفـاته

إذا سـألوني مـا الـهوى قلت مـا بيـا

ـ وأيضا ما بيا!

ـ ابن سهل الأندلسي؟ يبدوا أنك تكتم شيئا؟

ابن سهل الأندلسي:

ولقد كتمت الحب بين جـوانحي

حـتى تكلم في دمـوع شـؤوني

هيـهات لا تخفى علامات الـهوى

كـاد المريب بـأن يقـول خـذوني

الشاب الظريف، أهلا ومرحا، سأظل أحب شعرك الرقيق.. أريد أن أشرح لك شيئا ولكنني متردد!

الشاب الظريف:

لا تخف ما فعلت بكم الأشواق
واشرح هواك فكلنا عشاق
فعسى يعينك من شكوت له الهوى
في حمله فالعاشقون رفاق
لا تجزعن فلست أول مغرم
فتكت به الوجنات والأحداق

عروة، لا تحزن، لقد سمعت ما جرى بينك وبين عمك، والله ما أظنه إلا قد ظلمك، ولقد والله اخلف وعده، قاتل الله الناس كم هم يحبون صاحب المال ويكرهون الفقير!

عروة بن حزام:

من كان من أمهاتي باكيا لغد
فاليوم، إني أراني اليوم مقبوضا

ـ انتظر أرجوك.. حدثنا عن نفسك أولا، ألهذا الحد؟

عروة بن حزام:

على كبدي من حب عفراء قرحة
وعيناي من وجد بها تكفان
تحملت من غفراء ما ليس لي به
ولا للجبال الراسيات يدان
فيا عم يا ذا الغدر لا زلت
مبتلى حليفا لهمٍّ لازم وهوان
يكلفني عمي ثمانين ناقة
وما لي يا عفراء غير ثمان
تحملت زفرات الضحى فاطقتها
وما لي بزفرات العشي يدان



ـ دعك منه والله لا يستحق منك كلمة عم.. عروة، انظر إلي، تعال اجلس بجنبي.

عروة بن حزام:

فـمـا هو إلا أن أراها فـجـاءة

فـأبـهت حـتـى مـا أكـاد أجـيب

ـ قد ذهبت عفراء يا عروة... أرجوك كف عن ذلك، نحن نتألم معك.

عروة بن حزام:

لا تلـمني لـو كنت تسـمع مـا قـالت

حين دخل بهـا صـاحب المـال والجـاه؟!

ـ وماذا قالت؟

عروة بن حزام:

قالت:

يا عـرو ان الحي قـد نقـضـوا

عـهد الإله، وحـاولوا الغـدرا!!!

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون.



كيف يقع الآخرون بحبك؟

أنت كل يوم دون وعي وإدراك تخبر الناس عن شخصك وعن كيفية معاملتهم لك دون أن تتلفظ ببنت شفة. تملي عليهم كيف يتحدثون إليك وكيف يفكرون فيك. بطريقة كلامك وبأسلوبك وأخلاقك تؤثر فيهم وترسل لهم إشارات بأنك شخص جدير بالاحترام والحب.

إذا فهم ذلك، فإن شخصا ما سيتأثر بوقع كلامك ويميل إليك ـ قد يكون هو من تفكر به الآن ـ هذا الشخص متأثر بصفة جميلة لاحظها فيك وأعجب بها، ثم تطور ذلك الإعجاب ليشمل كيانك كخليل يستحق الحب.

وفي سبيل الوصول إلى هذا الهدف يسلك المحبين طرقا ومسالك شتى، فالرجال عادة يلجئون إلى تحقيق أكبر قدر من النجاح والشهرة، وإظهار علامات الرجولة والسيطرة والتحكم في الآخرين، أو الوصول إلى أكبر درجة من الثراء والسعة في المال.

أما النساء فإنهن عادة ما يتبعن طرائق مختلفة، فهن يحاولن إظهار فتنتهن وجاذبيتهن وأنوثتهن عن طريق الاهتمام بجسمهن وبأناقتهن وباستخدام مواد التجميل المختلفة وتسريحات الشعر المبتكرة، وكل الحركات والايماءات، وحتى عن طريق تغيير طبقات الأصوات سواء في اللقاءات المباشرة أو عبر الهاتف.

وهناك من الطرق والأساليب المشتركة بين الاثنين مثل محاولة الإنسان رجلا كان أو امرأة أن يكون أريبا ولطيفا ومهذبا، ذا خبرة وثقافة ودراية، وأن يكون ذكيا واسع الاطلاع والمعرفة، وأن يكون ذا خلق عال، وعلى استعداد لمد يد المساعدة للجميع.

إن طريقة تعامل الشخص مع نفسه بإهمال وعدم احترام ودون مراعاة تنعكس على أسلوب تعامل الآخرين معه. فإذا سألت المحبين عن أسباب ميولهم لأشخاص معينين، تجد الجواب أن هناك شيئا ما جميل في شخصية المحبوب جذبتهم إليه.

وعادة ما تكون هناك تفاصيل دقيقة يظنها الناس تافهة ليس لها أهمية، لكنها في الواقع تؤثر بشكل كبير على نظرة الآخرين إليك، على سبيل المثال، إذا كنت شخصا لا تهتم بمظهرك كثيرا وتلازمك رائحة كريهة دائما لقلة اهتمامك بنفسك ونظافتك، ولا تحرص أن تكون رائحة

فمك طيبة في جميع الأوقات، فكيف تريد لشخص يبحث عن معشوق أن يميل إليك أو حتى يهتم بك.

كانت[١] اريلا سيدة أنيقة في أواخر الثلاثين من عمرها جاءت لأنها ـ حسب وصفها لنفسها ـ «تصاب بلعنة» حال إقامتها علاقة، وعندما ذكرت لها أنه ربما هي التي تظهر مواقفها بهذا الشكل دون وعي منها، اعترضت تماما ولم تأخذ بما قلت، وأصرت أن ما تمر به كان نتيجة حظ تعس، لذا طلبت منها أن تقص قصتها علي:

وفي أثناء حديثها كانت تؤكد أن قدرها أن تعيش تعيسة دون أن تجد من يحبها حتى أنها أنهت قصتها قائلة: «أعتقد أنني سأعيش وحيدة إلى الأبد».

وطرحت عليها بعض الأسئلة عن نفسها، وهنا بدأت تظهر بعض الحقائق الأساسية على السطح، فقد كانت اريلا تعمل في متجر ملابس ولم تكن تشعر بالمتعة في عملها وتراه مثيرا للملل ولكنها استمرت في هذا العمل نظرا لاعتقادها بأنها لن تجد وظيفة أفضل، وقالت أنها ظلت لوقت طويل تتوق لفتح حضانة ولكنها لم تخط خطوات جادة في هذا الاتجاه. وكانت تنتقل من عمل إلى آخر دون أن تعطي نفسها الوقت لتعتني بنفسها، وكانت تتناول الأطعمة المعلبة وكميات كبيرة من القهوة، ونادرا ما كانت تشترك في أي نشاط بدني، باختصار لم تكن تهتم بذاتها.

واندهشت اريلا عندما قلت لها أن طريقة تعاملها مع نفسها بإهمال وعدم احترام ودون مراعاة قد انعكست على أسلوب التعامل معها، ولم تكن هناك حاجة إلى الحديث عن رأيها في ذاتها، فقد كان ذلك جليا من سلوكها وتصرفاتها، وكان الناس يتعملون معها عن طريق الرسالة التي تبثها لهم من خلال تعاملها مع نفسها.

هذا الكلام صحيح ومشاهد عزيزي العاشق، فالحب ليس شيئا يسعى الشخص إليه أو لعبة حظ، هناك مسببات يجب اتخاذها، فالفتاة التي لا تشترك في أية مناسبات اجتماعية، ودائما ما تكون جالسة في المنزل في انتظار من يدق بابها، ليس لها صديقات يتمنون لها الخير، ولا تشارك في أي نشاط يجمعها مع الآخرين، فإنها حتما ستبلغ الأربعين جالسة في منزلها في انتظار شريك حياتها الذي تفكر فيه.

---

(١) إذا كان الحب لعبة فهذه هي قوانينها د. شيري كارتر سكوت.



والسلبية التي يعيشها بعض الناس عموما والشباب خصوصا برفضهم تقديم بعض التنازلات عند حدوث الشراكة، هذه السلبية خطيرة تؤدي إلى ازدياد الشباب الأعزب والفتيات العوانس.

تحدث هذه السلبية عند الإحساس بالتغيير المفاجىء في نمط الحياة لأن هناك مقاسمة للوقت والمال وتغيير في أولويات الأشخاص عند الوقوع في حب شخص آخر. هذا التغيير ـ نعم ـ يكون مفاجئا ومخيف، لكن انتظر فكر قليلا، ستجد أنك تسير في سنة كونية وترتقي إلى أسمى معاني الحب والالفة عند حدوث الشراكة والزواج.

الإنسان لا يساوي شيء إذا لم يحبه أحد، ومهما نجح الإنسان ومهما ملك ومهما طغى، إذا لم يشعر أن هناك من يحبه، عرف في نفسه أنه لا يساوي شيء.. الحب هو الذي يعطي الإنسان ثقته بنفسه، هو الشعور الذي يجعلك تدرك أن بك شيء جميل جذب شخصا إليك وتعلق بك.

كل إنسان لا يحبه إنسان آخر يجد نفسه في مواجهة مع السؤال «ماذا بي؟».

إن الذين لا يجدون من يحبهم قد تأتيهم نوبات من الإحساس أنهم لا قيمة لهم وتأتيهم أحيانا رغبة جامحة في تمني الموت. إن كثيرا من الناس لا يعرفون طعم الحب ولم يتذوقوه لأنهم لم يهيئوا أنفسهم له، ومنهم من ينكر وجوده ويسخر منه لعدم تمكنه من الحصول عليه. إن الشعور بالحب احتياج وهو احتياج طبيعي للتمتع بالحياة.



حدث وذكرى

حياة العشاق مليئة بتفاصيل وأحداث، ومواقف ومقامات تهيج عندها المشاعر والذكريات. لا يعرفها إلا هم. هذه المقامات هي أماكن أو مشاهد أو لقطات، كان العشاق يعيشونها لحظة من اللحظات، كلما عادت إليهم أو أتى بها القدر أمامهم مرة أخرى، وجدوا استرجاع عاطفي وتنهدات حبيسة، حالة من نشوة رومانسية تنتعش بسببها الروح.

عندما ترى شخصا يشبه حبيبك تحملق فيه وكأنك تعرفه حتى تثيره على سؤالك «هل أعرفك؟» ثم تسترجع وتقول له لا.. لا شيء!

عندما تشم عبق رائحة العطر الذي يستخدمه حبيبك في مكان ما.. تجد نفسك في قشعريرة رومانسية كأنها تسري في أوردة جسمك وتمر على جميع أطرافه.

عندما تسمع اسم شخص له اسم حبيبك بعد فراق طويل تبدأ تتذكر كم كان ذلك الاسم مألوفا لديك تعودت لفظه تكرارا ومرارا.

أحب من الأسماء ما وافق اسمها

وأشبهه أو كان منه مدانيا

عندما تمر بحديقة أو بشارع أو بسكن أو بكلية حدث فيها التقاء العين بالعين ورق قلبك لأول مرة في ذلك المكان.

عندما تشاهد مركبة تشبه مركبة الحبيب وتحمل لوحة مثل لوحة مركبة الحبيب تبدأ تتخيل من بداخل المركبة وتقنع نفسك كما لو أن ما تريده هو من يقود المركبة في تلك اللحظات التي ارتسمت فيها صورة الحبيب لك.

عندما تسمع أنشودة أو أغنية يحبها الحبيب لطالما استمعتم إليها سويا وكررتم سماعها حتى أصبحت لغة بينكم تحفظونها لأنها تذكركم ببعضكم البعض.

عندما تقرأ كلمات مستظرفات في مكان ما لطالما لهج بها الحبيب أمامك ورددها معك عندما كنت تحدثه ويفضي بعضكم لبعض أطراف الحديث.

كل تلك المقامات لذيذة الشعور يتطبب بها المحبين عند حدوثها وما أجملها من أحداث.



إرشادات للعشاق

إذا كان هنالك شخص تميل إليه وتحس نحوه بالقبول، وتود أن تقيم معه علاقة حب سامية، فيجب عليك اتباع ما يلي[١]:

* تعتني بمظهرك وأناقتك وتكون نظيف الثوب والبدن وتنبعث منك رائحة طيبة.
* تكون رقيقا ومهذبا في التعامل مع من تحب وتشعره بحبك دون أن تفصح عنه، وقبل أن تفصح عنه، فيكون هناك تمهيد وإعطائه الفرصة الكافية لكي يقتنع بك.
* محاولة لفت نظره إلى اهتمامك به بلباقة واحترام من غير تكلف.
* إذا كان هناك عدم قبول من الذي تحبه وتكاد محبته تخترق جدار قلبك، فلا إكراه في الحب. يجب عليك الانسحاب فورا ولا تكون ملحا في طلب حبه، حتى لا تعرض قلبك للجراح وكرامتك للخدش.
* اذا وجدت قبول عند من تحب، أو من ترغب في بناء علاقة قوية معه فيجب عليك الا تضيع هذه الفرصة.. انتظر.. كن حذرا!
* ابدأ أنت بوضع كلمة الأساس في هذه العلاقة السامية ولا تنتظر ممن تحب أن يبدأ هو، فقد يكون خجولا، ولا يفصح عن حبه أبدا. وقد قرأت في جريدة اليوم التي أكتب فيها هذه السطور أن سيدة إنجليزية تعرض مكافئة لمن ترضى بالزواج من ولدها الخجول الذي بلغ سن الزواج!
* تجنب الغرور، فلست وحدك الذي يحب، ولا تجعل من شخصك الكريم سيد العشاق، وملك المحبين.
* عندما تقوى العلاقة. قد يترتب عليك أن تؤمن بأن من تحبه يحبك أكثر من حبك له.
* يجب أن يكون الأقوى في حبك العفة والطهارة والأضعف الشهوة والقذارة.
* اعلم أن الكمال لله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، فلا تتوقع أن تحب شخصا كاملا.

---

(١) في الهوى: كيف تحب وكيف تكون محبوبا بتصرف.

* كن عطوفا وحنونا مع من تحب، لعله قد يكون أحبك حبا صادقا فإنك إذن تكون أسعد أهل الأرض بحبه الصادق.

* يجب على الفتاة أن تعرف من هو الذي يحاول اختراق قلبها. فقد يعاود الخروج منه تاركا ورائه جروحا عميقة تدوم مع الزمن.

* يجب على الفتى أن يعرف من تكون الفتاة التي تستهويه وتجذبه إليها فقد تكون من اللائي يتلاعبن بقلوب الآخرين. ولا عيب في أن تسأل عمن تحب بأدب وتنبّه للتأكد من استمرار العلاقة بينكما.

* يجب وضع الجانب المادي والاجتماعي في الحسبان. لأن ذلك قد يكون حاجزا في تتويج العلاقة بالزواج، وبعد ذلك يحصل الفراق الذي كان يجب أن يحدث من البداية. وإن حصل وتزوجا فقد تنقلب حياتهما جحيما لعدم التكافؤ. لكن هذا ليس قاعدة ثابتة.

* بعض الناس يعتبرون الحب وسيلة إلى تحقيق رغبات ونزوات فحدد موقفك من هؤلاء.

* من السهل أن تحب، لكن ليس من السهل أن تترك من تحب!

* إذا أردت أن تحصد حب، إذن ازرع حب.

* إذا أردت أن تأتيك عاطفة الحب وتشعر بها شعورا عميقا، فلا تفكر فيها ولا تطلبها، فإن قوة الحب تفرض عليك فرضا، وتغزو قلبك دون إرادة منك.

* جمال المرأة لا ينبع فقط من اكتمال التقاطيع وتناسب التقاسيم فابحث عن الجمال الحقيقي عند فتاتك، وهو جمال النفس وحسن المنبت.

* كل امرأة في مقدورها أن تكون جميلة، لو أنها عرفت كيف تبرز ما فيها من حسن وأخلاق كريمة.



لا يخدعوكن!

في دراسة شجاعة وجديرة بالاهتمام، بينت هذه الدراسة التشويه الذي تعرضت له مفاهيم الحب عند الناس في الأدب المعاصر.

تقول هذه الدراسة أن الأدب العربي المعاصر ومعه الإعلام تأثر بالنظرة الغربية المادية للحب فهوى به إلى مستنقع الحيوانية والرذيلة في جانب كبير منه وصار الأدب لا يعبر عن أشواق عاشق ولا عن زفرات محترق ساهد بل صار يعبر عن نعيق حيوان شبق يريد أن يروي غريزة الجنس وهكذا تردى الأدب المعاصر في جانب كبير منه ليس فقط بتضييق مفهوم الحب بل بتشويه حب الرجل للمرأة.

يقول الأستاذ محمد علي قطب في كتابه «الحب والجنس»:

فكلهم أو جُلهم، يتحدث في هذا الموضوع من خلال علاقة الرجل بالمرأة، عاطفيا أو جسديا، فهم (يقوقعون) هذه العاطفة النبيلة في أضيق إطار وأقل حيز.. وبعدها (يهبطون) بها إلى الدرك الغريزي ويمضون بها على صراط غير سوي من العلاقة التي لا تُنتج إلا إثماً، ولا تُزهر إلا شوكاً وقتاداً، سواء على الذات الفردية أو المجتمع البشري.

ومن عجب أن يُسمى هذا اللون بالأدب المكشوف، ولقد حفلت به كتب التراث!

فهل هناك أدب مُغطى؟ وإلى أي حد تتناسب معه كلمة: (الأدب)..!؟.

إن من حق التاريخ على الأمم أن تسجل حياتها على ما هي عليه في مختلف أدوارها، صعوداً وهبوطاً، سمواً أو دنواً، رقياً أو انحطاطاً.

وأما في الأدب المكشوف فقد استخدم الحب أبشع استخدام لتخريب المجتمعات بجعله داعياً إلى الرذيلة والتمرد على القيم الأخلاقية وهدم المجتمع. وتمت صياغة الأدب المكشوف في كل قنوات الإعلام المعاصرة كالجرائد والمجلات والسينما والمسرح والتلفزيون والغناء الذي جعل أشعار الماجنين على كل لسان، وصارت المنكرات الشريعة عرفا مقبولاً بل محبوباً.

يقول الأستاذ عبدالسلام البسيوني في كتابه «ماذا يريدون من المرأة».

المشكلة أن مثل هذه الأفكار لم تعد ـ في كثير من الأحيان ـ حبيسة

صفحات هذه الروايات بل صارت تخرج إلينا عبر الإذاعة والتلفزيون والسينما مع كثير من التوابل والبهارات التي تغير العقول وتعبث بالقلوب.

وإن كثيرا من روايات نجيب محفوظ وإحسان عبدالقدوس ويوسف إدريس والقعيد والغيطاني وغيرهم عرضت سينمائياً وإذاعياً وتلفزيونياً، بما تحوي من خلاعة ومناظر خارجة مسيئة.

ويواصل يوسف إدريس عرض فكرته عن المرأة والحب، من خلال شخصيات غير شريفة. وفي " خان الخليلي " يقدم نجيب محفوظ عليات الثائرة معشوقة للأزواج، وقد تزوجت زواجاً صورياً، زواج مهنة وارتزاق.

وفي " الثلاثية " الكثير من الجنس واللهو، ورسم لصورة خاصة بالمرأة لافتة للنظر، ففي " السكرية " يشير إلى أن الزواج أمر مادي يقوم على المساومة والدهاء والفوائد والخسائر. ويقدم المرأة الشعبية غالباً ممثلة في جماعة البغايا و " العوالم " المتاجرات بالجسد، وإن استتر هذا أحياناً تحت اسم الفن رقصاً أو غناء. ويعطي نجيب محفوظ البغايا أسماء متفائلة مثل وردة وعطية وكريمة وجليلة وزبيدة.

هذا هو الحب في الرواية المعاصرة ، والجنس هو المحرك الأول لكل شيء فيها تقريباً.

ترى كم ظلموا الحب وتجنوا عليه؟!!

خدعكم أيضا نزار!

سأكون ناقل للخبر في هذا الموضع، فالكلام سيدور حول شاعر الحب المعاصر. والذي سيتحدث عنه الأستاذ عبد السلام البسيوني ، يقول:

وأقر وأعترف بما هو أخطر ـ لأنني مأمور شرعاً بألا أكتم الشهادة ـ وهو أنني أعتقد حتى الآن أن الرجل من أشعر من ظهر في النصف الأخير من القرن العشرين إن لم يكن أشعرهم، فهو على رأس قلة من الشعراء الذين اخترعوا لأنفسهم قاموساً للمفردات والصور والخيالات التي أزعم أنه لم يسبقه أحد إليها، كتعبيراته القميص الكسول، وشهقة الدانتيل، ووشوشة العطور وشَبَق الزنانير، وشرايين الشفق، وأراجيح الفل، وأضلاع الكمنجة.

وابتدع غزليات هي غاية في الجمال والرقة والعذوبة، كما في قصائده: عدّي على أصابع اليدين، إذا مر يوم ولم أتذكر، لا تسألوني ما اسمه حبيبي، وغيرها.

وهو الذي نقل شعر الغزل تاريخياً من مرحلة (تقول وقد مال الغبيط بنا معاً) الجاهلية، ومرحلة (فكان مجنّي دون من كنت أتقي) من عهد: ابن أبي ربيعة، إلى مرحلة حقول الورد، وموسيقى قوس قزح، ورائحة الشهوة، ولون العشق، وهو أيضاً الذي نجح إلى حدٍ كبير في تحقيق هدفه الذي رسمه لنفسه منذ ديوانه الأول:

وأصير قاموساً لطلاب الهوى

وأصير فوق شفاههم ألفاً وباء

حتى أصبح مجلة "بلاي بوي" متحركة، أو شريط فيديو إباحياً يسير على الأرض، فهو ينقل ما في غرف بيع الجسد شعراً على الورق، ويصور ما يدور في المواخير، ومخادع المتعة الحرام، بعبارات رشيقة، وتصاوير فاتنة، فشعره في رأيي كلحم الخنزير، لذيذ لكنه حرام! .

هذا هو صاحب المولد القادم نزار قباني، الرجل المباهي بنجاسة الذيل، المفاخر بأهرام الحلمات، المجاهر بفتوحاته الجنسية الخاطئة:

لم يبق نهدٌ أبيضٌ أو أسودٌ

إلا زرعت بأرضه راياتي

لم تبق زاويةٌ بجسم جميلةٍ

إلا ومرّت فوقها عرباتي

فصلّت من جلد النساء عباءة

وبنيت أهراماً من الحلمات

وكتبت شعراً لا يطاول سحره

إلا كلامُ الله في التوراة

أتقن هذا الفن أكثر من غيره، وكان إذا فتح الله عليه فتكلم عن شيء آخر غير القدود والنهود، لم ير في تاريخ الإسلام والعروبة ما يسر، فأخذ يكيل للعرب السباب، ويلطخ التاريخ بالهباب، ويعلن وفاتهم بالسكتة الحضارية، لأنهم لم يفتحوا أبوابهم للنساء "على البحري"، لم يفتح الرجل منهم بابه لزوجته أو ابنته كل ليلة لتخرج بعد العشاء.

إنه حضرة الإمام الأعظم نزار، الرجل النرجسي الذي يعشق نفسه من الرأس إلى الأخمص، معتقداً أن كل ما فيه فذّ – حتى الدعارة – فهو وحده الرجل، وهو الشاعر، وهو الوطني، والآخرون "ولا حاجة". هو الشاعر الوحيد الذي ستبكيه الحانات والخمارات، والبغايا والصبايا والمراهقات:

إني أضأت، وكم خلق أتوا ومضوا

كأنهم في حساب الأرض ما خلقوا

غداً ستحتشد الدنيا لتقرأني

وتحت شعري يدور الورد والعَرَقُ!

وهو القنوع الذي لا يلهث وراء المجد كثيراً فأعظم ما يرضي غروره:

"كفاني من المجد تسبيحُ ثغرٍ جميلٍ بحمدي"

وهو الساحر الذي يستطيع ـ وحده ـ أن يجعل المرأة امرأة، فإذا لم يقل لها كوني، لم تكن:

اتركيني أبنيك شعراً وصدراً

أنت لولاي يا ضعيفة طينُ

وهو الذي كاد أن يجعل الدعارة باباً من أبواب الهدى، والاستقامة، ومعرفة الله تعالى:



مـــــــتى تـدركـين أنـك أنـثـى

عند نهــديك يؤمن الإلحـــادُ؟!

هو الذي طالب بتدمير كل فضيلة، وجعل العفة ضرباً من الجنون:

مـــجنونة من تحـــجب

النـهـدين أو هي تحـــتـمي

مــــــجنونـة من مــــــرّ

عــهـدُ شـبـابهــا لم تلـثم

وهو الذي رفع شعار أنه ـ أمام الجنس ـ ينبغي أن تلغى الأديان:

لا يعرف الطوفانُ في جرفه

مـا حلل الله ومـا حـرمَـهُ

هو ليس نرجسياً فقط، بل هو مريض بمرض شاذ نادر، هو عشقُ الثياب النسائية، فقد سردها قطعة قطعة، وعراها قطعة قطعة، وعشَقها قطعة قطعة، وتأستذَ في الحديث عن القميص المغتلم، والوشاح المخمور، ورافعة النهد الزاهية، والرداء المسعور، والفستان المذعور، والأزرار المفكوكة، والجورب المشمور، والوشاح الأحمر؛ فالمسكين "يحوص" بين النرجسية، بين حب الذات لدرجة العمى، واشتهاء الثياب والقطع الداخلية، يستعرض عليها فحولته وعنتريته المهولة.

يتكلم عنها وهي شاذة منحرفة جنسياً مع صديقتها، فيهتف:

مطر مطر وصـــديقــتــهـــا

مــعــهــا ولـتـشـرين نواحُ

والبـــابُ تئن مــــفــــاصلُهُ

ويـعـــربد فيّ المفـــتـــــاحُ

ســـرٌ بينهـــمـــا يعــرفــهُ

اثنـان أنا والمصـــبـــــاحُ

أحــــرامٌ أخـــتـــاه إذا مـــا

لَثَمَ التـــفـــاحَ التـــفـــاحُ؟

أتراني كُـــوّنت امــــرأةٌ

كي تمضغ نهـدي الأشبـاحُ؟

يتكلم عنها بغياً تبيع لحمها، ويفلسف ذلك ويسوغه وربما يعرض الحرام:

هذه جـاءت حديثـاً سيـدي

ناهدٌ ما زال في طور الطفولة

وإذا شـــئت فــــرافق هـذه

إنها أشهى من الخـمر الأصيلة

ويذهب إلى أن أعظم خطر ابتليت به أمـة لا إله إلا الله هـو الزواج، وأن الحل للقضـاء على هذا الخطر هو فتح الأبواب " ع البحـري " ولا جـواز ولا وجع دمـاغ، " لو كنت حـاكمـاً لألغيت مـؤسـسـة الزواج، وخـتـمت أبوابها بالشمع الأحمر " !!

والله تعالى عز وجل يتعب ويسأم ويبالغ ويفكر " ؟!! " في شعر جريء وقح له:

من أين يا ربِّ عصرت الجنى

وكـــيـف فكرت بـهـــذا الـفم؟

وكـيـف بالغتَ بتـــدويره؟

وكـيـف وزعت نـقـاطَ الدم؟

وكـيف بالتـوليب سَـوَّرتهُ؟

بـالورد بـالعنّـاب بالـعَنْدم؟

وكـيـف ركـزتَ إلى جنبــه

غـــمّـــازةً تـهــزأ بـالأنجم؟

كم سنةً ضيـعـت في صنعـه

قل لي: ألم تتــعب؟ ألم تسأم



وهو ـ كأجساد عشيقاته ـ متمرد على الله تعالى:

لا تستبدي برأيك فوق فراش الهوى

لأني من الله لا أتلقى الأوامر

❋ الله عنده يُذْعَرُ ـ سبحانه وتعالى ـ ويفرّ:

وطن بدون نوافذ

هربت شوارعُهُ/ مآذنهُ/ كنائسه

وفرّ الله مذعوراً..

وفرّ جميع الأنبياء

وفي شهادته الخاصة التي تخالف منطوق كلمة التوحيد "أشهد أن لا امرأةً إلا أنت " .

ولو رحت أتتبع الأعمال كلها، والزوايا كلها لاحتجت لصفحات كثيرة.. وإنما هي نفثة عجلى.. لكن تذكر ـ قارئي العزيز ـ أن كثيرين انتظروا جنازته الكريمة ليشبعوا لطماً وعويلاً وتأبيناً لفقيد الإسلام والعروبة والإنسانية.

اللهم ارحمنا من الانفتاح النزاري، ومن جماعة المثلث الوردي يا رب العالمين.. اللهم آمين.

انتهى كلامه، ولا ألومه، فالحب عند نزار جنس وماخور ودعارة، فمن شوه صورة الحب يستحق أن تشوه صورته.



الحب والجنس

هناك فرق بين الحب كعاطفة والرغبة الجنسية كغريزة. فالرغبة الجنسية وضعها الله فينا كي يستمر الجنس البشري ويتحقق التكاثر. والمحب الصادق يرى في تحقق الرغبة الجنسية شيء أعلي وأسمى من مجرد الاشتهاء الجسدي والتصاق الأجسام. يرى فيها اتحادا روحيا يجمع بين المحبين اللذين ارتبطا برباط الزواج وتعاهدا على بناء أسرة سعيدة تساهم في بناء المجتمع وتسعى إلى تقدمه.

إن العلاقات المحرمة التي يكون الجنس جزء منها خارج إطار الزواج لا تنتمي للحب بأية صلة. بل إنها تدخل في عالم أو دنيا الفاحشة الذي تتدنى فيه العلاقة بين الرجل والمرأة لتخرج عن دائرة الحب إلى مستنقع الجريمة.

وإن محاولات الربط بين الحب والجنس في قصص العشاق كرابط أساسي لا يتحقق الحب إلا به هو هبوط بمعاني الحب السامية إلى متعة الجسد الفانية. والفرق شاسع بين لذة الجسد التي تمر مرورا طارئا وتدخل صاحبها في وحل الحرام وبين لذة السعادة التي يقذفها الحب في أرواح البشر والتي تبقى متدفقة في حس الإنسان كموج لا يتوقف. ألا ترى كيف أن مجرد تذكر ابتسامة المعشوق وسعادته بلقياك تنتعش بها الحواس وينجلي بها الهم والضيق.

تقول إحدى الممثلات الشهيرات في عصر أفلام الحب المصرية والتي اشتهرت بأنها أكثر ممثلة تلقت القبلات من أشهر الممثلين في ذلك الوقت، بعد أن سألها أحد الصحافيين عن أجمل قصة حب في حياتها، ردت قائلة:

(رغم أنني تزوجت أربع مرات إلا أنني لم أعش قصة حب مع أي زوج من أزواجي الأربعة ! حتى إنني في أحيان كثيرة أرى أن الحب سراب ولا يوجد في الحياة).

- معقولة لم تصادفي الحب طوال مشوارك الفني الذي اقترب الآن من نصف قرن؟ يسألها الصحافي؟

(مع الأسف .. هذا حقيقي رغم أن بداخلي كمية كبيرة من الحب لكنها مكبوتة تحتاج إلي شخص يفجرها، وحتى الآن لم أجد هذا الشخص).

إن إنكار كثير من الناس لمعاني الحب ووجوده إنما هو ردة فعل لاتخاذ فئة ساقطة من البشر الحب كمدخل للوصول إلى اشتهاء الجنس. ما إن

يحادث الشاب الشابة ويجيد الكلام وينمقه، حتى تستمع الشابة له بتلهف وتصديق، فيضطرب النبض، وتبدأ عرى الحياء تنحل عروة عروة فيبدأ هو بالطلب، وتستجيب هي دون سؤال أو استفسار أو تريث، تقدم بسذاجة تنازلات تلو تنازلات في مذبح الحب، اندفاع غير واع، حالة من الضعف يعلو فيه صوت الجسد على صوت الروح، حتى إذا شبع هو ونال ما تمناه، وسقطت هي له بسهولة، كثر الغياب، وتوقف الاتصال، وانقطعت الرسائل الجميلة، وكثرت الأعذار، لتبدأ الشكوى وتتعالى صيحات الألم، وتبدأ كلمات جديدة ترن في الآذان كالعار والرذيلة والخيانة والثأر والخزي ويا لها من كلمات مقيتة شوهت صورة الحب.

قل لي ولو كذبا كلاما ناعما

أعطيك ما تشتهي دون حساب

الجنس بذاته يحقق تلاقيا مؤقتا للأجساد لإفراغ رغبة تشعر بعدها الروح باللوعة وبمزيد من الوحدة وربما الاشمئزاز. أما في الحب العشقي، فإن تلاقي الأبدان يحقق قدرا من الطمأنينة والسعادة استجابة لرغبة الأرواح في مزيد من الاقتراب والالتصاق. ولهذا فإن الأبدان في الحب العشقي هي وسيلة وليست هدفا[١].

الحب شيء ثمين، شيء مقدس روحيا، ظاهرة تعلو فوق الشهوات، أما الجنس فهو مجرد حاجة بدنية، وحتى لا ننفي الجنس، دعنا نقول أن الجنس من الممكن أن يكون شيئا رائعا في إطار الزواج، له إطلالة رقيقة تكمل الحب بين اثنين، لكن هناك جنس سيء رديء ورخيص. بل منه ما أصبح تجارة وهي مهنة قديمة في تاريخ البشر للأسف. نريد حب في أعلى مراتب الفضيلة، بعيدا كل البعد عن درك الرذيلة.

الرغبة في الجنس عندنا كمسلمين، مقترنة مع الرغبة في الزواج والإنجاب و تكوين أسرة، غير ذلك، فتحكمنا شريعة سماوية بينت لنا الحدود التي يجب ألا نتخطاها. والرغبة في التواصل والارتباط هو إمتداد لعلاقة الحب الراقية. نريد أن نكون معا، ونستمر معا، ونبقى معا، إلى درجة أن نلتصق معا في أقرب نقطة توحد بين المحبين. تعبير عن جزء اجتماعي في تلك العلاقة.

---

(١) «معنى الحب» د. عادل صادق ص ١٢٨ .



والحب هو الذي يجعل التفاصيل الجنسية مثل صفات الجسد أمراً ثانويا وهو الذي يتفضل على المتزوجين بإضفاء المتعة عند اللقاء. إن الإنسان حين يحب حبا حقيقيا يكتشف أن هناك معنى آخر للجنس. يجد إخلاص بدني ملازما للإخلاص الروحي. سبحان الله، وهذا الذي يميز الجنس عند الإنسان عنه عند الحيوان. فممارسة الجنس خارج إطار الحب والزواج مختلفا عن ممارسته داخل إطار الحب والزواج.

يقول أستاذ الطب النفسي د. عادل صادق بكلية طب جامعة عين شمس:

" ..وكذلك معاشرة امرأة بغي...وبالمثل اغتصاب امرأة ضد إرادتها...وأيضا ممارسة الجنس لذات الجنس...إنها كلها ممارسات تحقق إرضاء وإشباعا على المستوى الفسيولوجي (الغريزي) ولكنها تخلو من أي معنى إنساني...تتعارض مع طبيعة الإنسان السوية هذا بالرغم من أنها من الناحية الفسيولوجية لا ضرر منها ولا خرق لأي قاعدة فسيولوجية ولكنها خرق كامل للطبيعة الإنسانية. إن كل هذه الممارسات السابقة نستطيع أن نراها على مستوى الحيوان ولا نرى ذلك غير طبيعي لأن الحيوان يفتقد الوعي...يفتقد لإرادة الاختيار المبنية على وعيه بذاته. وبالمثل فإن الإنسان الذي ينغمس في مثل هذه الممارسات الجنسية غير الأصيلة فإنه يفتقد للوعي. يفتقد لإرادة الاختيار المبنية على وعيه بذاته وإدراكه لإنسانيته وانبثاقا من قيم ثابتة راسخة داخله. "

الأرقام في الحب تتكلم

في استطلاع للرأي أجرته مجلة الشقائق بين مجموعة من الشبان والشابات حول مسألة العلاقات العاطفية التي تنشأ بين الجنسين، أكد نحو ٨٠٪ منهم أن العلاقات العاطفية بينهم وبين الطرف الآخر انتهت بالفشل، في حين قال ٢٠٪ منهم فقط أنها انتهت بالنجاح.

وقال ٤٥٪ منهم أن العلاقة العاطفية بينهم وبين الطرف الآخر استمرت سنة واحدة فقط، في حين قال ٢٦٪ منهم أنها استمرت سنتين، وأشار ٢٩٪ أنها استمرت أكثر من ذلك.

ماذا تستنتج من حديث الأرقام ؟!!.



عيد الحب

إنه يوم الورود الحمراء والهدايا الحمراء واللباس الأحمر واللون الأحمر، إنه عيـد الحب Valentine’s day الناس في هـذا اليوم أحـوالهـم عـجيـبـة، وأفهـامهم مختلفـة. و من المحزن أن نستورد أفكارا الحب بمنهج " اجعل لنا ذات أنواط كمـا لهم ذات أنواط " أو " اجـعل لنا آلهـة كـمـا لهم آلـهـة " . حب التقليد وإن كان موجودا في النفـوس ممقوت إذا كان تقليدا أعمى. في التلفاز تقليد، في الإذاعة تقليد، في اللباس تقليد، في طريقة الأكل تقليد، في الفكر تقليد. وأخيرا في الحب تقليد!

ولعل ذلك مـا أشار إلـيه ابن خلدون في مـقـدمتـه، في تنظيـره أن المغلوب يتبع الغالب في كل أموره.

اقـرؤا التاريخ إن فيـه العبـر

ظل قــوم لا يـدرون الخــبــر

الموسوعـة الكاثوليكية ذكرت ثلاث روايات حـول فالنتاين ولكن أشـهرها هو ما ذكـرته بعض الكتب أن القسيس فـالنتاين كان يعيش في أواخـر القرن الثالث الميـلادي تحت حكم الامبـراطور الروماني كلاوديس الثاني وفي ١٤ فـبراير قـام هذا الامبـراطور بإعدام هـذا القسـيس الذي عارض بعض أوامـر الامـبراطور الـروماني. ولكن مـا هو هذا الأمـر الذي جـعل الامبـراطور يأمـر بإعدام هذا القسيس ؟

لاحظ الامبـراطور أن العزاب أشد صـبراً في الحـرب مـن المتزوجين الذين يرفضـون الذهـاب لجبهة المعركة فأصدر أمراً بمنع عقد أي قران للزواج، غير أن القسـيس فالنتـاين عارض هذا الأمر واسـتمـر يعقد الزيجـات في كنيسـته سراً حتى اكتشف أمره وأُمر به فسجن.

وفي السـجن تعرف على ابنة لأحد حراس السجن وكانت مصابة بمرض فطلب منه أبوها أن يـعالجـهـا فشـفـيت ـ حسب مـا تقـول الرواية ـ ووقع في غرامهـا، وبعد فترة من السجن أمـر به ليعدم وقبل أن يعـدم أرسـل لها بطاقة مكتوباً عليها (من المخلص فالنتاين).

هي قصـة جميلة وفيها حب صـادق، لكن إتباع الآخر في تقاليده و التقليد لمجـرد التقليـد والمحـاكاة، يخـدش بحيـاء أمـة عريقـة لهـا تاريخهـا في الحب.

الحب عندنا له صبغة خاصة في إطار شريعة وتقاليد محافظة. نحن لا نتهم الآخر ولا ننفي وجوده ولا نقول إن حبنا أفضل من حبهم، لكن في الحب لهم نهج وفي الحب لنا نهج.

بل هناك اختلافات كبيرة واضحة لا نستطيع تجاهلها. نحن ـ إلى الآن ـ لا يوجد عندنا مساكنة قبل الزواج، وهو عبارة عن رجل وامرأة يعيشان مع بعضهما البعض خارج إطار مؤسسة الزواج بما فيها من التزامات، يعيشان كزوجين في معيشتهما ديمومة ولكنها خارج الالتزامات والحدود. وهي أمور لا يتقبلها المجتمع العربي والمسلم.

مفهوم الصديق والصديقة والخروج معا وتبادل القبلات أمام الوالدين قبل الزواج والسماح بالمعاشرة الجنسية بعلم الجميع لا يوجد عندنا ولا نشجع عليه. الحب الذي ينمو في الظلام في المراقص المختلطة والملاهي الليلية مشبوه عندنا ومرفوض. هناك بالفعل فروقا كثيرة.

في حوار مع زميل أمريكي في ولاية نورث كارولاينا عن اختلاف العلاقات بين الثقافات، وعن تعدد الزوجات، ومواضيع كثيرة تخص العلاقة بين آدم وحواء. سألني إن كنت من عائلة الأب فيها قد عدد في الزيجات، فأجبته بنعم، وأنا فرد من هذه الأسرة، فاستغرب وقال إنه لا يتخيل وجود امرأتين لرجل واحد في نفس الوقت. أبديت تفهمي و عندما جاء دوري في السؤال سألته إن كان لا يمانع في الزواج من فتاة فقدت عذريتها ولها علاقات كثيرة كان للجنس نصيبا كبيرا منها، فرد قائلا إنه طالما أنها تحبه وسوف تخلص له سيتزوجها بلا تردد، قلت له وأنا أيضا لا أتخيل كيف يستطيع الرجل أن يتزوج فتاة رغم كل ذلك ولا يوجد عنده أي نوع من التحفظ.

الشاهد في ذلك الحوار هي الاختلافات بين رؤانا ورؤاهم نحو العلاقات والحب. عيد الحب كعيد عند الغرب، لن نناقش شرعيته لأنه ليس عيدنا، لكن هناك من ينظر إليه كظاهرة تجارية تستغل الربح على حساب الأخلاق. فهناك تجارة الشيكولاته، والورود، والاتصالات، والرسائل، والسينما، الكل يستغل هذه الظاهرة من أجل مردود مالي وفير. كل ذلك يجعل منه خطاب جيوب، ليس خطاب قلوب!

وفكرة التصدي لعيد الحب كظاهرة، غير عملية، وفيها تحدى لفئة كبيرة من الناس، لكن عنصر الخير عند الناس لا يزال موجودا.



تؤخذ الأمور بالإقناع والحجة وتبيّن الحقائق في الأدبيات والمنتديات. هناك فئة من الناس السذج يحتاجون إلى من يدفع بهم إلى الفهم السليم.

هناك دول حذرت من عيد الحب والاحتفال به ومنعت المحلات التجارية من استغلاله، ولهم وجهة نظر في ذلك. فقد حدثت حالات غريبة ناتجة من احتفال البعض بهذا العيد. منها إرسال أحد المغفلين رسالة عيد حب إلى زوجة جاره مما تسبب في أزمة أدت إلى طلاق. وأقسام الشرطة تنشط في وقت عيد الحب بسبب تغيب شباب في سن الزهور وخروج المراهقين بطريقة خادشة للحياء في الأماكن العامة مجاهرين بتقارب الأجساد حتى يظهروا للناس أنهم محبين!

بصراحة، المجاهرة في الحب سفه وخفة، وفوق ذلك تتم هذه المجاهرة في عيد مستورد. أين معاني الحب الراقية هنا. حالات الحب الجميلة معاشر العشاق تتم في سرية لطيفة واستتار عفيف، تضفي على العشاق رونقا ساحرا من الرومانسية.

أيها العشاق، اجعلوا أيامكم كلها أعياد حب. الحب هبة ظريفة انتم تحملونها أينما حللتم وكنتم، في الوصل، وفي اللقاء، عيد بعد عيد.

وأنتم أكبر من أن يغرر بكم كي تذهبوا إلى بائع الورد مكرهين لأن ١٤ فبراير قد خصص لذلك، أنتم أكبر من أن تجبروا على شراء قميص أحمر لأن الجميع يلبس اللون الأحمر في ذلك اليوم، أنتم أكبر من أن تلقنوا ماذا يجب أن تفعلوا تجاه من تحبوا. قد يحتاج الإنسان من يذكره بعيد الوطن، من يذكره بعيد الاستقلال، من يذكره بعيد حريته، لكنه لا يحتاج من يذكره بمشاعره وإنسانيته!



شرطة العفة

في كتاب «الفرج بعد الشدة» أن قائد شرطة بغداد إسحاق بن إبراهيم المصعبي كان فيه زعارة أخلاق وإسراع في القتل وكان نديم يعرف بأبي عبيدة، حسن الأدب كثير الرواية للأخبار. فحدث أن استدعاه المصعبي ذات ليلة في منتصف الليل، فهال ذلك أبو عبيدة وأفزعه لما يعرفه عن المصعبي وشك في أنه قد نقم عليه شئيا وهو لا يعلم، أو أن باطلا قد بلغه عنه من الوشاة.

يقول أبو عبيدة: فخرجت طائر العقل، حتى أتيت داره، فأدخلني إلى دور بها نساء فاشتد جزعي وذهب علي أمري. وفي دهليزها بكاء امرأة ونحيبها، ودخلت فإذا هو جالس على كرسي وبيده سيف مسلول، وهو مطرق، فأيقنت بالقتل.

فسلمت، ووقفت، فرفع رأسه وقال: اجلس أبا عبيدة، فسكن روعي وجلست.

فرمى إلى رقاعا كانت بين يديه وقال: اقرأ هذه؟!

فقرأت ما فيها وإذا بكل واحد منها خبر مداهمات وقعت على نساء وجدن على فساد، من بنات رجال أجلاء وكبراء وغيرهم من العامة، فقلت: قد وقفت على هذه الرقاع، فما يأمرني به الأمير أعزه الله؟

فقال: ويحك يا أبا عبيدة، هؤلاء الناس الذين ورد ذكر حال بناتهم، كلهم كانوا أجل مني أو مثلي، وقد أفضى بهم الدهر إلى ما قد سمعت وقد وقع لي أن بناتي بعدي، سيبلغن هذا المبلغ، وقد خطر لي أن أقتلهن وأستريح!

ثم أدركتني رقة البشرية، والخوف من الله تعالى، فأردت أن أشاورك في إمضاء الرأي، أو شيء تشير علي فيهن.

فقلت: أصلح الله الأمير، إن آباء هؤلاء النساء اللواتي قرأت رقاع أخبارهن، أخطئوا في تدبيرهن، لأنهم خلفوا عليهن النعم، ولم يحفظوهن بالأزواج، فخلون بأنفسهن ونعمهن، ففسدن، ولو كانوا جعلوهن في أعناق الأكفاء، ما جرى منهن هذا.

والذى أرى أن تستدعي فلان القائد فله خمسة بنين، كلهم جميل الوجه، حسن اللبس والنشوة، فتزوج كل واحدة من بناتك واحدا منهم. فتكفي العار والنار، وتكون قد أخذت بأمر الله عز وجل والحزم، ويراك الله تعالى قد أطعته في حفظهن، فيحفظك فيهن. أ. هـ

هذه الحادثة لا تقتصر على زمن بعينه، بل اختلفت الآليات التي تتم بها عمليات المداهمات حتى وصلت حد الغرابة. ففي زمن ليس منا ببعيد أسست ملكة النمسا ماريا تريزا بوليسا للعفة لم يكن مجرد بوليس للآداب فحسب. فقد كانت هذه القوة تبذل جهودا مضنية لصيانة الإخلاص الزوجي والنزاهة الجنسية لدى جميع النمساويين!

كان أفراد هذه القوة المخلصة للملكة يجتاحون البيوت ويتلصصون من ثقب الأبواب بحيث لم يعد يرى عاشق أو عاشقة في مأمن من أمره أينما وجد. كانت هذه القوة تفتش كل الطرود والرسائل البريدية وحتى الحقائب الدبلوماسية بحثا عن كتب وصور الرذيلة. كانت كل امرأة تمشي في الشارع بمفردها تعتقل وتقدم للمحاكمة. والعاهرات كن يجبرن على مغادرة المدينة إلى مصحات قروية في جنوب هنغاريا. أما العاهرات اللاتي تكيفن مع جو الحياة في فيينا فكن يمشين بكل حشمة وأدب. وكن يمسكن المسابح بأيديهن كلما صادفن أحد المسؤولين!

كانت الأقاويل تتردد بأن الملكة أمرت بتشكيل قوة بوليس العفة لأنها منيت باحباط من قبل عشيقها الداعر والحميم (فرازنز الأول).



فاصل قصير مع ابن حزم وطوق الحمامة

إذا كانت المسألة مسألة حب، فإن طوق الحمامة هو الدستور المدني الأساسي الذي رتبت مواده العلاقة بين المحبين. رغم إنه قد سبقه بعض الكتب التي تطرقت إلى أحوال العشاق ومصارعهم، إلا أن كتاب طوق الحمامة يعد اللبنة الأولى التي ألهمت كثيرا ممن كتب في الحب وأحواله. والجميل في قصة الكتاب إنه خرج من شيخ وفقيه في زمانه، فقدكان له صديق من أبناء أمير المؤمنين الناصر في الأندلس اسمه عبيد الله كلفه أن يكتب له في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه. فما كان منه إلا أن يلبي طلب صديقه.

يرد ابن حزم على عبيد الله ويقول: " فبدرت إلى مرغوبك ولولا الإيجاب لك لما تكلفته، فهذا من الفقر، والأولى بنا مع قصر أعمارنا ألاّ نصرفها إلا فيما نرجو به رحب المنقلب وحسن المآب غدا " مع أن بعض النقاد قالوا أن ابن حزم افتعل ذلك السبب متعمدا حتى لا يلام على تطرقه إلى موضوع كهذا !

إذا كنت لا تعرف ابن حزم، فاعرف أنني أتحدث عن إنسان فقيه ومحدث وفيلسوف. ألف الكثير من الكتب في المنطق والتاريخ والسياسة. يعني باختصار، إذا أردت أن تكون فقيها في الحب وتدرسه لغيرك، فابدأ مع ابن حزم وطوق الحمامة.

ببساطة، ابن حزم احتكم إلى التجربة والملاحظة المباشرة، فتميز عن غيره، ساعده على ذلك خبرته في الحياة وتقلباتها، إذ إنه نشأ في بيت عز ومال، بين الجواري والخدم، ثم ما لبث حتى تغيرت حياته وتعرض وأسرته إلى نكبات، فقد تسلم الوزارة، ثم عزل عنها، وعذب وأهين ونفي. فزال عنه النعيم الذي كان يعيش فيه.

أضف إلى ذلك وقوعه في الحب في سن مبكرة إذ يحدثك في كتابه عن صاحبته " نُعْم " وقد فجع بوفاتها وهو حين ذاك دون العشرين.

ودائما إذا قرأت كتابه تجد نفسك أمام إنسان مجرب يريد لك النصيحة فمثلا يقول:

" ولقد جربت اللذات على تصرفها، وأدركت الحظوظ على اختلافها، فما للدنو من السلطان ولا المال المستفاد، ولا الوجود بعد العدم، ولا الأوبة بعد طول الغيبة، ولا الأمن بعد الخوف، من الموقع في النفس كما

للوصل،ولاسيما بعد طول الامتناع وطول الهجر حتى يتأجج عليه الجوى، ويتوقد لهيب الشوق، وتتضرم نار الرجاء...ولا إشراق الأزاهير بعد إقلاع السحاب، ولا خرير المياه المتخللة لأفانين النّوار، وتأنق القصور البيض قد أحدقت بها الرياض الخضر، بأحسن من وصل حبيب قد رضيت أخلاقه، وحمدت غرائزه، وتقابلت في الحسن أوصافه ".

نظر ابن حزم في الحب وعالجه بمنتهى الصراحة ومن دون تمويه. وفوق ذلك لم يتورع وهو الشيخ عن البوح بمكوناته والتحدث عن تجاربه في هذا الشأن. ويعترف بأنه كابد وقاسى الحب وذاق حلوه ومره، ولا يجد أي غضاضة في تسطير اعترافاته واسترجاع تجاربه في العشق. رغم ما للموضوع من قيود في وقته.

بقي أن ننبه إلى أن الشيخ لم يتورع عن ذكر بعض الأمور الدقيقة التي ربما كان الحديث عنها في زمانهم سائغا نستحي أن نذكرها ونتكلم عنها في معاينتنا لمواضيع الحب ودقائقه. فوجب التذكير ولمن أراد التمحيص فله ذلك.

هذا هو ابن حزم وكان ذلك طوق الحمامة في الألفة والألّاف.



الوقت المناسب للزواج المناسب

في كثير من المجتمعات، حينما يحصل الشاب على مصدر دخل ويبلغ سن الزواج. تبدأ الحلقة الاجتماعية من حوله بمطالبته بالزواج واختيار شريكة حياته. هنا يشعر الشاب أنه أصبح فعلا بحاجة إلى الشراكة.

يدخل الشاب بعدها في مرحلة الاختيار، وتختلط عليه المفاهيم، وتنتابه الحيرة والتردد، فيبدأ بوضع الشروط ويتمنى لنفسه الأماني، في هذا الوقت، إذا لم يكن هذا الشاب حازماً وواثقا من نفسه، وعارفا بالدراية الجيدة حقيقة ما هو مقبل عليه، فقد يكون الاختيار غير موفق.

الزواج قسمة ونصيب، لا يختلف اثنان في ذلك، وتأخر شخص عن آخر، وأسبقية شاب على آخر شيء طبيعي نرجوا من الجميع أن يتفهموا ذلك.

وقد يطول انتظار عائلة لابنها الوحيد لكي يتزوج، لكن لكل انتظار حدود ومن تعدى الخامسة والثلاثين ولم يتزوج فقد أقام على نفسه الحجة، ولكل شخص ظروفه.

كان عثمان بين أصدقائه وحيدا لم يتزوج بعد، بلغ سن الزواج وطبقا لمن حوله، الكل يريد لعثمان أن يتزوج. لم يكن أحد يعرف رغم ذكاء ولباقة ووسامة عثمان لِمَ لم يتزوج بعد، فمعظم أصدقاءه لديهم أولاد والكل يمارس الضغط علىَ عثمان لكي "يستقر" ويتزوج.

بكل بساطة أجاب عثمان الجميع وقال : يبدو أن الجميع يعتقدون أنني أخشى الزواج أو الالتزام أو أي شيء من هذا القبيل. لقد قابلت الكثير من اللائى فكرت في الارتباط بهن برباط الزواج ولكني أبيت، لأني أدركت من الداخل أنني لست مستعدا لهذا بعد، وبمجرد إعداد نفسي وبمجرد لقائي بالفتاة المناسبة لن أتردد في إعلان ذلك على الجميع.

الكل كان يغفل أن عثمان في منعطف داخل حياته العملية، وذلك ما كان يشغل وقته واهتمامه.

والشعور بالاختلاف عن الأقران والأنداد، شعور صعب ومربك، خصوصا إذا رافق ذلك عدم تفهم من الأهل على تأخر بعض الشباب عن الزواج. والذي يجب أن يلام على تأخير الزيجة هو ذلك الشاب الذي أغرقه وقت الفراغ وتوفرت له الإمكانيات ثم هو يؤخر الزواج. فليقدم على الزواج من كان مستعدا، وغير ذلك، فليعد الأيام عدا !.



الغريب من قصص العشاق

كان هناك كاتب إيطالي يدعى "فرانشيسكو كولونا" شديد الحياء ويخجل من التقدم لطلب يد الفتاة التي يحبها وتدعى "بوليا". فكتب من أجل ذلك كتابا سماه "حلم حب" مؤلف من ١٦٥ألف كلمة! ويحوي سبعة وثلاثين فصلا بداية أحرف كل فصل تعطي الجملة (فرانشيسكو كولونا يحب بوليا)!

وفي قصة أخرى حكى الأصمعي قال بينما كنت أسير في بادية الحجاز إذ مررت بحجر كتب عليه هذا البيت:

يا معشر العشاق بالله خبروني

إذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتب الأصمعي تحت ذلك البيت:

يداري هواه ثم يكتم سره

ويخشع في كل الأمور ويخضع

ثم عاد في اليوم التالي إلى المكان نفسه فوجد تحت البيت الذي كتبه هذا البيت:

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى

وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتب الأصمعي تحت ذلك البيت:

إذ لم يجد صبراً لكتمان سره

فليس له شيء سوى الموت ينفع

قال الأصمعي فعدت في اليوم الثالث إلى الصخرة فوجدت شابا ملقى تحت ذلك وقد فارق الحياة وقد كتب في رقعة من الجلد هذين البيتين:

سمعنا وأطعنا ثم متنا فبلغوا

سلامي إلى من كان للوصل يمنع!!

هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم

وللعاشق المسكين ما يتجرع!

وفي حادثة أخرى يروي صاحب رواية فتاة البرتقال كيف يقابل "جون" "أولاف" عندما كان طالبا في السنة الأولى يدرس الطب في الجامعة وهي فتاة في مثل سنه في القطار، وكانت تحمل كيسا ورقيا مليئا بالبرتقال، ويقع في حب الفتاة من النظرة الأولى، ويلاحظ أنها تبادله نظرات عميقة، وتنشأ قصة حب تختزل قصة الكون والحياة والوجود.

تبدأ القصة عندما يبدأ الشاب بالتفتيش عن الفتاة التي لا يعرف عنها سوى أنها قابلته في القطار وهي تحمل كيسا من البرتقال. ويتوقع أنها تذهب إلى سوق الفواكه وإلى المحلات التي تبيع الفواكه بأكياس ورقية فيذهب إلى بائعين البرتقال عله يلقاها هناك فلا يجدها. ثم يلتقيان صدفة في اليوم التالي مرة أخرى في مقهى ويتبادلان كلمات قليلة ثم تختفي، ويلتقيان مرة ثالثة بعد وقت طويل ليلة عيد الميلاد فيعبر لها عن حبه فتطلب منه أن ينتظرها ستة أشهر، ولكنه لا يطيق الانتظار.

وتأتيه رسالة من فتاة البرتقال تحتوي على عنوان بيته وباسمه، فيتساءل كيف عرفته الفتاة وعرفت عنوانه وهما لم يلتقيا سوى ثلاث مرات دون أن يتبادلا سوى بضع كلمات.

الرسالة كانت قادمة من إشبيلية، فيقرر الشاب أن يسافر من النرويج إلى إشبيلية ليقابلها، ويخبر والديه أنه سيسافر ليتزوج من الفتاة التي قابلها مصادفة، ويقرضانه مبلغا من المال ويسافر، ويتبع السياح إلى حديقة جميلة قديمة، ويقرر أن ينتظر فيها لعله يقابل فتاته هناك، وتأتي الفتاة بالفعل ليجد أنها تعرفه منذ زمن بعيد وأنه يعرفها أيضا، فقد كانا صديقا طفولة قبل أن يفترقا في المرحلة الإعدادية، وقد كانت الفتاة تتابعه حتى تعرفت إلى عنوانه، ثم زارت والديه في غيابه فيتذكرانها هما أيضا، وتخبرهما أنها ذاهبة إلى إسبانيا لدراسة الفنون الجميلة، وهذا ما جعلهما يبديان موافقة على سفره إلى إسبانيا لمقابلة الفتاة!

وفي تقليعة أخرى كتب شاب عنوانه على ورقة صغيرة ، ووضعها في زجاجة أغلقها إغلاقا محكما ثم ألقى بها في النهر. وتصادف أن انتشلت الزجاجة فتاة حسناء، لم تجد غضاضة في أن تكتب إلى الشاب خطابا لتتعرف به، وبعد عدة أشهر، تم الزواج!.



ومن أخبار الأولين، عثر المنقبون على الآثار القديمة في بابل على قطعة قرميد عليها خطوط وعمرها ٤٢٠٠ سنة وهي ممضية باسم (غيميل ماتدروك) إلى حبيبته (قصيبة) وهذه القرميدة لا تزال محفوظة كأول رسالة حب في العالم وقد كتب المحب فيها: " لتهبك شمس (مروك) حياة خالدة...أحب أن أعلم إذا كنت بصحة جيدة...فأرجوك أن ترسلي إلي رسولا لينبأني عن صحتك...أنا اليوم في بابل ولا أستطيع أن أراك...وشوقي إليك لا يحتمل."

فهل يا ترى (غيميل ماتدروك) و حبيبته (قصيبة) كانوا كقيس وليلى في زمانهم؟! من يدرى!

وفي قصة أخرى مؤثرة لم تجد أحد الفتيات الهائمات وسيلة في التعبير عن حبها سوى أن تكتب بدمها عبارة (أحبك) في قطعة قماش صغيرة مربعة، وقد بدت الكلمة بأحرف من دم متخثر، بعد أن وخزت أصابعها بالإبرة التي تستخدمها في الخياطة و التطريز!

أما في رواية "البعث" الشهيرة للأديب الروسي تولستوي التي نشرت عام ١٨٩٨ م يقول تولستوي رأيه في مشكلات عصره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وفيها نرى الصراع بين الفلاحين والإقطاعيين، وهذه الرواية تحكي قصة الفلاحة الفقيرة "كاتيوشا" الخادمة عند إحدى العائلات الإقطاعية والتي تقع في حبائل شاب إقطاعي هو "أنخيلودف" وتتخيل أنه يحبها غير أنه بعد ما نال هدفه منها تركها واختفى وبعد سنوات تلتقي به في قاعة المحكمة وقد أصبح قاضيا وهي متهمة بجرائم سرقة وقتل فيرق قلبه ويندم على ما فعله ويعتبر نفسه مسؤولا عن سقوطها وهنا يستيقظ في أعماقه "الإنسان" ليطرد من تلك الأعماق "الذئب" ويعمل على إصدار حكم خفيف عليها، وفي النهاية ينفصل أخلاقيا عن طبقته الاجتماعية.

كذلك الجندي الأمريكي، الذي شارك في الحرب العالمية الثانية، ومازال منذ ذلك الحين دائم البحث عن المرأة، التي مازالت حلم عمره، التي وقع في حبها من نظرات عابرة في ألمانيا، حتى إنه نشر صورته بالزي العسكري، مرفقة برسالة موجهة إلى جميع "السيدات اللواتي تجاوزن السبعين من العمر".

يطلب فيها من تلك المرأة التي شاهدها الاتصال به، والجواب عن بعض الأسئلة!

أمـا في الرواية الشـهيرة التـي حصل كـاتبـهـا على جـائزة نوبل في الأدب " الحب في زمن الكوليرا " نرى كيف انطوى " فلورنتينوا اريـزا " العاشق على حبه سنوات طالـت وطالت إلى أن أصبحت عقودا مـتتابعة، ولـم يتـخل عن حبه لحبيبـتـه التي لم تفـارقه صـورتـهـا، بعد أن قـضـيـا فترة من الزمـن في رسـائل حب أذابت قلبـيـهمـا، عندمـا كـان في العشـرين من عـمـره، وظل ينتظرها رغم زواجهـا الذي دام طويلا، وانتظر حـتى مات زوجـهـا ليـأتيهـا وزوجهـا لا تزال جثته سـاخنة في القبر لـيقول " فـيرمينـا، انتظرت هذه الفرصـة طـوال ما يزيد على نصف قرن لأؤكد لك من جديد عهد وفائي الأبدي وحبي السرمدي!! " .

بل إن الحب مـازال يزوِّد المسنين بطاقة خـرافيـة للحلم، وبشـهـية مـخيـفة للحيـاة، كما في طهران، حـيث وافقت المحكمة على زواج رجل، في الخـامسـة والثمانين من عمره، بامرأة في الخامسـة والسبعين من عمرها.. بعد أن سبق لأهلها منذ ٥٠ سنة أن رفضوا تزويجه بها!

في الحـقـيـقة الناظر إلى هذه القـصص من أقـاصـيـص العشـاق الغـريبـة يخرج بمفهوم واحد لا ثاني له، وهو أن الحب أكسـير الحياة ستظل البشرية تبحث عنه وتعانقه متى وجد، وسيظل فاقد الحب في انعزال رهيب لا يخرج منه إلا في وجود الحب.



جنون الحب

كثيرون هم العشاق الذين عانوا من ويلات الحب وقسوته، ودرجات صبرهم على تلك القسوة تفاوتت من زمن إلى زمن، وكل كان له ردة فعل تليق بوضعه وحالته. ينفس عن ذلك المحبين إما بشعر أو شكوى أو تظلم أو صبر شديد، ومنهم من ثأر لنفسه ومنهم من يأس وعاش واقعه. لكن قيس بن الملوح صاحب ليلى بنت مهدي كان له ردة فعل مختلفة واحتجاج صارخ جعل منه مضربا للمثل في جنون الحب وطغيانه.

تماما كما هم الآخرون، أحب قيس ليلى وطلب يدها من أبيها للزواج، لكنه وقع في أخطاء الآخرين عندما قضى فترة من الزمن يتشبب بها، وجرت عادة العرب ألا يزوجون من تناول ابنتهم في شعره. فقال أهل ليلى لقيس إنا مخيروها وهم غير صادقين فقد خيروها بين ورد بن محمد العقيلي وقيس والعصا مشهرة إذا اختارت قيس والجزرة مقدمة إذا أختارت ورد!

وبذل لها ورد عشر من الإبل وتزوجها وقيس على مرأى ومسمع من ذلك!؟.

هنا هام قيس على وجهه وما تحمل هذا التواطؤ والظلم، لكنه يعرف أيضا انه لا يملك الحق في الاعتراض فقد تم الزواج وذهبت ليلى. هنالك بلغ به العشق مبلغه، فبدأ بالوسواس والهيمان، كأنه ذهب عقله، أصبح كثير الهذيان، يصعد الجبال تارة، ثم يهبط الأودية تارة أخرى. يطأ الشوك ولا يشعر به، حرارة الرمال لا تؤثر فيه، يمشى هكذا في الصحراء من غير اتجاهات.

وتزداد حالته سوءا فيمزق الثياب ويلعب بالتراب وحده طريدا يرحمه الناظر إليه. يتفرد في الصحاري ويستوحش من الناس ويستأنس بالوحش حتى لا يشك أحد في أنه أصبح مجنونا. لكن المسألة الأهم أنه لا يعقل عقلا إلا إذا ذكرت له ليلى!

يفيق من غفلته إذا سمع ذكرها، وكأنه أصح الرجال عقلا، لا ينكر من حديثه شيئا، فإذا قطع عن ذكرها رجع إلى وسواسه وهذيانه وتماديه في ذهاب عقله.

إذا راودك شك أنه كان يمثل على من حوله في وقته فاسمع هذه القصة حتى يزداد يقينك في أن الرجل كان مجنونا فعلا:

قيل لأبيه مرة لو أخرجت قيسا إلى بيت الله في أحد المواسم وأمرته أن يتعلق في أستار الكعبة ويقول " اللهم أرحني من حب ليلى " لعل الله يفرج عنه ما هو عليه من حال.

فاستحسن الأمر الأب وذهب بقيس فلما طاف بالبيت أمره وتركه يتعلق بأستار الكعبة، فسمعه يقول "اللهم زدني لليلي حبا...وبها كلفا...ولا تنسني ذكرها أبدا! " فضربه أبوه وعنفه وعاود به وقيس ينشد:

ذكرتك والحجيج له ضجيج

بمكة والقلوب لها وجيب

فقلت ونحن في بلد حرام

به لله أخلصت القلوب

أتوب إليك يا رحمن مما

عملت فقد تظاهرت الذنوب

وأما من هوى ليلى وتركي

زيارتها فإني لا أتوب

وكيف وعندها قلبي رهين

أتوب إليك منها أو أنيب

بينما هو يمشي بمنى وأبوه معه قد أخذ بيده يريد الجمار نادى مناد من احد الخيام "يا ليلى" فخرَّ مغشياً عليه، واجتمع عليه الناس وضجّوا ونضحوا عليه من الماء وأبوه يبكي عند رأسه، ثم أفاق وهو مصفرٌ لونه متغيرٌ حاله فأنشأ يقول :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من مِنى

فهيّج أحزان الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما

أطارَ بليلى طائراً كان في صدري

عاد بعدها في البرية مع الوحش، يشرب مع الظباء إذا وردت مناهلها. حتى قيل إنه رأى صيادين قد ظفرا بظبية (غزالة) بعد أن ربطاها بحبل، فلما



نظر إلى الظبية دمعت عيناه حتى أطلقوا سراحها بعد أن قال لهما: اتركاها وخذا مكانها شاة من غنمي.

كأنك تراه وقد طال شعره على جسده، واستأنس بحياته مع البرية حتى ألفته الظباء والوحوش فلا تنفر منه. وكأنها تعرف قصته فلا تلومه. تجده في نجد مرة، وعلى حدود الشام مرة، هائم على وجهه. تبلغ به الجرأة أن يسأل زوج ليلى مرة ويقول:

بربك هل ضممت إليك ليلى

قبيل الصبح أو قبلت فاها

وهل رفت عليك قرون ليلى

رفيف الإقحوانة في نداها

فقال له الزوج اللهم اذ حلفتني فنعم! وكأنه يقول لا بأس بأخبار مجنون بذلك!؟

يقال أن المجنون عض على شفته فقطعها لما سمع ذلك فقام زوج ليلى متعجبا مما رآه منه!!!

وبينما هو في طوافه وهيمانه، كما هي عادة العرب الرحل، صادف أن مر على ديار تسكن بها ليلى فشاهدها تمشى في ظاهر البيوت فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه ثم انصرف وهو يبكى خوفا من أهلها أن يعرفوه.

هواه جلب له الجنون، لم يسبقه أحد ولم يأت بعده أحد في هذا الضرب من الهيمان.

لما وصل به الحال إلى أمر يدعو إلى الشفقة، أرسلت له ليلى تقول: لقد عز علي ما أنت فيه ولو وجدت شفاء لدائك لوقيتك بنفسي منه.

قال: هيهات...إن دائي ودوائي أنت!

يقول الرواة أن شيخا من بني مرة التقى بقيس بعد انعزاله في الصحراء وبعده عن الناس. يقول ذلك الشيخ : ذهبت أبحث عنه فأخبرني أحد أصدقائه المقربين إليه قائلا إذا رأيته فادن منه ولا تجعله يشعر أنك تهابه فإنك إن فعلت فسيتهددك ويتوعدك أو يرميك بحجر فإنه إن فعل ذلك فاجلس صارفا

بصرك عنه فإذا سكن فأنشده شعرا غزلا من شعر قيس بن ذريح حبيب لبنى لأنه معجب به وبشعره. يقول ذلك الشيخ أمضيت يومي من الصباح الباكر باحثا عن ذلك العاشق الهائم حتى وجدته عصر ذلك اليوم جالسا يخط على الرمل بإصبعه وحين دنوت منه نفر مني نفور الوحش من الأنس فأعرضت عنه حتى سكن فأنشدت شعرا لقيس بن ذريح كنت أحفظه:

ألا يا غــــراب البين ويحك نبني

بعلمك في لبنى وأنت خـــبـــيـــر

فإن أنت لم تخبر بشيء علمته

فلا طرت إلا والجناح كـســيـــر

يقول حين أنشدت ذلك الشعر اقترب قيس مني وقال وهو يحاول كتم بكاءه: لقد أحسن والله ذلك الشاعر ولكني قلت شعرا أحسن منه ثم أنشد:

كـــأن القلب ليلة قـــيل يفـــدى

بليلى العـــــامـــرية أو يراح

قطاة غـــرها شـــرك فـــبـــاتت

تجـــــاذبه وقـــــد علق الجناح

بعد أن أنهى قصيدته مرت بقربهم غزالة تعدو فنهض قيس يجري خلفها حتى توارى عن الأنظار. ويواصل ذلك الشيخ قصته قائلا: في اليوم التالي عدت إلى نفس المكان على أمل أن ألتقيه مرة أخرى فوجدت امرأة وقد وضعت طعاما في المكان الذي كان يجلس فيه وانقضى ذلك اليوم دون أن يأتي قيس.

ومضت ثلاثة أيام لم أره فيها فأخذ أهله يبحثون عنه وأنا معهم دون جدوى. وفي اليوم الرابع وبعد سير طويل في الصحراء للبحث عنه وجدناه في وادي كثير الحجارة وهو ميت فوقها. يقال بأنه بعد انتشار خبر وفاة قيس بين أحياء العرب لم تبق فتاة إلا خرجت حاسرة الرأس صارخة عليه تندبه واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أحر بكاء وشاركهم في ذلك كافة قبيلة حبيبته ليلى العامرية حيث حضروا معزين وأبوها معهم وكان أشد القوم جزعا وبكاء عليه وهو يقول: ما علمنا أن الأمر يبلغ كل هذا ولكني كنت عربيا أخاف من العار وقبح الأحدوثة.



أنيس المحبين

قرأت في سير المحبين والعشاق ووجدت أن من نعم الله على بعضهم أن يهب لهم من يلطف عليهم أجواء الحب ويوجه لهم العلاقة إذا ما انحرفت عن الجادة. فما أجمل أن يكون لك صديق مخلص، لطيف القول، مستوي المطابقة، شديد الاحتمال، جميل المخالفة.

طيب الأخلاق، كتوم للسر، مشهور الوفاء، معه يكمل الأنس، وتنجلي الأحزان.

قس على ذلك أنك قل ما ترى من الملوك والأمراء والوجهاء إلا ولهم ندماء وحاشية وبطانة يخففون عنهم ما يحملوا من شدائد الأمور.

والمحبين كذلك، قد تمر عليهم فترات من الاختناق العاطفي تكاد تجعلهم يصيحوا بأعلى صوت «هل يشعر بنا أحد!».

لا بد هناك للعاشق نديم، يناجيه ويكلمه ويكاشفه، ويبوح له بالهموم والمنغصات. يجد العاشق عند تلك المناجاة راحة، كما يجد المريض في التأوه والمحزون في الزفير راحة. وأحيانا يكون مجرد الاعتراف والإفشاء والمكاشفة، ولو لإنسان لا نراه ولا نعرفه، فيه إفراغ لثقل في القلب يكون بمثابة راحة وحل للمشكلة. فيه إخراج لعواطف حبيسة توازي فك عقدة لشخص مسحور.

والنساء عندهن من المحافظة على إسعاد بعضهن البعض والتواطؤ في أمور العشق والغرام ما يفوق بكثير ما يفعله الرجال في مثل ذلك.

النساء يتمتعن بتفرغ بال وفضول في أمور الغزل وأسبابه. هم في الغالب يتجالسون ويتآلفون أكثر من الرجال لما جبلن عليه من توفر أوقات تجمع بينهم. فالرجال مقتسمون بين لقمة العيش وصحبة السلطان وطلب العلم ومكابدة الأسفار وضروب الصناعات والتعرض للحروب و عمارة الأرض وذلك كله شاغل عن ما تفعله النساء من الاهتمام بأمور الغزل وتفاصيله.

يحكى أن امـرأة جليلة حـافظة لكتـاب الله عـز وجل ناسكة مـقبلة على الخير، قـد ظفرت بكتاب لفـتى قد أرسـله إلى إحدى الفتـيات ممن هن تحت إمرتها كان الفتى يكلف بها. فعرف الفتى الأمر وخاف وانتظر الإنكار من المرأة. لكنهـا قـالـت له: مـا لك؟ ولا تبـالي بهـذا فـوالله لا أطـلعت أحـدا على سـركما أبدا !

ووالله لو أمكنني أن أزوجكما من مالي ولو كان كله لفعلت.



مقامة العشق

لي صديق، يشكو من الضيق، به تغير حال، وتبلبل بال، يقول به أرق، أظنه قد عشق، وفي بحر الحب غرق. صاحب أسرار، بعيد الأغوار، ولا يبوح بالأمر، حتى يكابد الأمّر.

أحزنني حاله، وما صار إليه من حاله، فطفقت أسليه، وبكلامي أمليه، فأطرق قليلا و سكن، كأنه وجد الكلام حسن.

أقبل نحوي واستفهم، وقال أنت في الحب تفهم، هل كل حب منكر، وذنبه لا يغفر؟

فقلت «لا» باجتهادي، وعلمي واعتقادي.

ما أكبر الغلط، هذا ظلم وشطط، هل الحب منكر فقط؟ من منا ما أساء قط، ومن له الحسنى فقط، خذ من أمرك الوسط.

يا صديقي وقت ضيقي، عند المحبين ضوضاء، لكن لا بد هناك ضوء ضاء، لم التعميم، وهذا الفهم السقيم، لا يا صديقي، هناك عيب، وذاك الكلام به ريب.

لكن انتبه، لما أنت به، ما كل ما ترتجيه صائر، فقد تكون خاسر، احرص على ما ينفعك، فهو الذي يرفعك. لا تكن مع من ضل، وكم من عزيز في الحب ذل.

هناك حروف تجر الحتوف، والحر لموارد السوء عيوف، والحب حرفان، حاء وباء، تغزو الأحباء، وهو حرب بلا راء. هو عشق، هو رق، سمه ما تشاء، فهو عناء، إحتار في وصفه العلماء، وعجز فيه الطب، يأسر قلب كل ذي لب.

الحب لغة الأحداق، وكلام يساق، منمق جميل، من شخص نبيل. لا يضاهيه سلطان، ولا يحصره زمان، سريع الجر، لا ينفع فيه، كر ولا فر، هو منحة هو محنة، مكثه سهر، وفراقه سفر. يذيب الحبيب، ويسكر اللبيب، ويصبر عليه المتعفف الأديب.

الحب أوله روعة تخفق منها أحشاؤك، ينقطع منها فؤادك، فيه مغامرات ومناورات، وفتن متجاورات، فاسمع يا غلام، عذب الكلام، خذ الحذر، من الخطر، انتبه، لما أنت به.

للعشق مقامات، ورتب وعلامات، من بلغ فيه العلا مات. فيه روعة، وارتعاش ولوعة، يتآلف فيه المؤتلف، ويتخالف فيه المختلف.

تقول حواء كلا ولا، وهي تعني، أهلا هلا، بأديمها مدبرة، وبقلبها مقبلة، فما أنت فاعل، مجرد تساؤل!

تجرحك جرح أليم، فتغدو سقيم، ثم تأتي تشتكي، إن كيدهن عظيم. مالي أنا، ولضعفك، ذلك ذُلّك، وعلّك فعلك، قد خطوت في الخطا خطى، فاسترجع يا رفيق الصبى!

اعلم أن الحب يأتي هبة، لا مناهبة، فإذا وجدت من الحبيب ازورار، فأنسحب بلا حوار، عز نفسك وكن ذهب، وأذهب مع من ذهب، وتحمل قليلا من العذاب، فما زلت في سن الشباب.

واعلم أن الحب الذي لا ينتهي، هو أن تكون أنت هي، روحان تمتزجان، كلؤلؤ ومرجان، لله مرتغب، في الله مرتقب، طهر وعفاف، إلى يوم الزفاف.

تعود في أمورك الكتمان، في كل زمان ومكان، فهو للسلامة أحيط، وتعلمه أبسط، كن كناطق صامت، يبغض الحاسد الشامت، حتى لو كان الحبيب مثل القمر، وسحره سحر مستمر. تجلد وكن صبورا، ولا تكن للنعمة كفورا، تعش فرحا فخورا.

وإذا أردت تلخيص المعاني، وتريد تخليص عاني، فالحديث باختصار، وتأني ووقار «سل النجاة سبيلا، يكن عيشك سلسبيلا»

هذا ما أجيد، فهمت أم أعيد!

دواء العشق

المعشوق يستولي على قلب العاشق ولا يخلو من تخيله والتفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه. فعند ذلك تشتغل النفس فتتغير أفعال وصفات العاشق. والعشق مبادئه سهلة حلوة، وأوسطه هم، وانشغال قلب وأرق، وآخره مفسدة وقتل إذا لم تتداركه عناية من الله تعالى.

قيل:

الحب أول ما يكون لجاجة
يأتي بها وتسوقه الأقدار
حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى
جاءت أمور لا تطاق كبار
من ذا يطيق كما نطيق من الهوى
غلب العزاء وباحت الأسرار

ويؤكد على ذلك الآخر:

تولع بالعشق حتى عشق
فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة
فلما تمكن منها غرق

العشق وتداعياته، طال أم قصر ، له أضرار، ففيه مفسدة دينية ودنيوية أضعاف ما يقدر فيه من المصلحة. لأن العاشق في هيمانه ينشغل عن مصالح دينه ودنياه. فتلك المصالح تتطلب إقبال القلب عليها والعمل بها ولا يمكن لقلب عاشق سابح في خيال معشوقة أن يلم شعث قلبه وينتبه لنفسه وهو على حال كذاك الحال. والعشق إذا لم يأخذ حجمه الصحيح، ويأخذ العقل أيضًا مكانته اللائقة؟ فإن هذه الفورة الوجدانية التي تسلب الإنسان إرادته ستعمي بصره، فلا يرى الحقيقية مهما كانت واضحة جلية. فقد اعتبر العشق أنه عبارة عن حالة مرضية تحدث نتيجة للمغالاة الشديدة في الحب، مما ينعكس ذلك بآثار سلبية على شخصية العاشق تتظاهر باضطرابات جسمية، فضلا على

الاضطرابات السلوكية والتي كثيرا ما تدفع الشخص المصاب لأن يرتكب تصرفات غير عقلانية.

ولعل أول من تكلم في مرض العشق من الأطباء هو الطبيب اليوناني أبقراط والملقب بأبي الطب. حيث قال واصفا إياه: العشق طمع يتولد في القلب وتجتمع فيه مواد من الحس. فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر. وعند ذلك يكون احتراق الدم واستحالته إلى السوداء، ومن طغيان السوداء وفساد الفكر يكون الفدامة[1] ونقصان العقل، ورجاء ما لم يكن وتمني ما لم يتم حتى يؤدي ذلك إلى الجنون. فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه، وربما مات غما. وربما وصل إلى معشوقه فيموت فرحا أو أسفا. وأنت ترى العاشق إذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل لونه. وزوال ذلك عمن هذه حالته بلطف من رب العالمين، لا بتدبير الآدميين[2].

وقال جالينوس واصفا هذا المرض بقوله: «العشق استحسان ينضاف إليه طمع، والعشق من قبَل النفس، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد. والعاشق يمتنع عن الطعَام والشراب لاشتغال الكبد، وعن النوم لاشتغال الدماغ بالتخيل وذكر المعشوق والتفكير فيه، فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت فيه. فمتى لم تشتغل فيه وقت الفراق لم يكن عاشقا».

لقد أجمع أكثر الأطباء العرب المسلمون الذين تحدثوا عن مرض العشق أن اضطراب النبض هو من العلامات الهامة لتشخيص مرض العشق بل وحتى معرفة هوية المعشوق. ومرد ذلك يعود إلى حكاية تروى عن ابن سينا والذي ألف رسالة في العشق كتبها لابن عبد الله الفقيه[3].

وملخص هذه الحكاية، أنه وقع أحد الفتيان من أبناء أمراء فارس في مرض عضال، وقد عجز الأطباء في ذلك الوقت عن معرفة هذا المرض وبالتالي علاجه. فكان الشاب ينحل ويضعف يوما بعد يوم، وقد امتنع عن الطعام لانعدام الشهية حتى هزل ولزم الفراش. ولما عجز الأطباء عن إيجاد الدواء الشافي لمرض هذا الفتى، لجأ أهله لابن سينا يرجونه زيارة المريض والنظر في حالته بعد أن يئسوا تماما من شفائه. وفور وصول ابن سينا إلى

(١) قلة الفهم.
(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٥١-٥٢
(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٥٨ - ٤٥٩



بيت المريض سأل عن أعراض سقمه وما آل إليه. ثم دخل على الفتى وفحصه بعناية، وجلس بجانب فراشه ووضع إصبعه على نبضه، ثم طلب من أحد الخدم أن يعدد جميع أحياء تلك البلد، ولما وصل الخادم إلى ذكر أحد الأحياء المجاورة لاحظ ابن سينا أن نبض الفتى قد تسارع. وعندئذ طلب من الخادم أن يذكر أسماء العائلات التي كانت تقطن ذلك الحي، ولما أتى الخادم على ذكر اسم معين من تلك الأسماء شعر بأن نبض الفتى قد تسرع أكثر. وهنا سأل ابن سينا إن كان لتلك العائلة من بنات فأجابوه نعم، فقام من توه إلى أهل الفتى وقال لهم لقد بان السبب فزال العجب، إن ابنكم عاشق إحدى بنات تلك العائلة، وهذا هو المرض وعلاجه بالزواج من تلك الفتاة!

يمكن تلخيص أعراض وعلامات مرض العشق كما ذكرها الأطباء المسلمون القدامى: النحول ـ قلة الشهية ـ غؤور العين مع سماكة الجفن ـ حب العزلة مع الاسترداد وكثرة الصعداء ـ اضطراب النبض وخاصة تسرعه لدى ذكر المعشوق أو أي شيء يتصل به(١).

قال العلماء:

أعظم الأدوية التي يعالج بها العشق النكاح فهو علاجه الذي لا يعدل عنه لغيره ما وُجد إليه السبيل.

لكن إذا تعذر نكاح المعشوق لمعشوقته أو المعشوقة لمعشوقها، هنا يأتي الدواء الذي لا بد منه. و إلا وقعت أضرار العشق التي بها مفسدة وأي مفسدة.

من أدوية العشق غض البصر وفي الحديث الذي أخرجه الحاكم وصححه (النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة فمن تركها من خوف الله أثابه جل و عز إيماناً يجد حلاوته في قلبه) وليصدح ويتغنى العاشق بقول يوسف عليه السلام (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) كلما ألم به الأمر.

ومن أدوية العشق الصبر على المصاب والتجلد، واحتساب الأجر عند الله في ترك من يحب. لأن تعسر اللقاء واليأس من الوصول إلى المحبوب بعد اتخاذ كل ما هو مقبول شرعا وعرفا، يفهم على أنه القدر والنصيب. فلا يعذب العاشق نفسه وأهله وقد رأى ما رأى بعد اتخاذه للأسباب.

ومنها محاولة نسيان الماضي بقدر الاستطاعة وفتح صفحة جديدة في

---

(١) مرض العشق وعلاجه في التراث الطبي العربي الإسلامي د. عبدالناصر كمدان .

الحياة، إذ إنه إذا لم يجدد العاشق حياته ويبحث عن أنيس يقضي معه أجمل أيام عمره لذهبت نفوس المحبين حسرات وتحولت حياتهم إلى حزن دائم وانطواء مخيف.

ومن أدوية العشق أيضا إقناع النفس بأنها ستجد أفضل من معشوق قد تعذر وصاله، وأن القدر سيعوضها بأفضل منه. ومن العلاج: إدامة ذكر الله في جميع الأحوال، في الصباح والمساء، وعند النوم.

ومنها الابتعاد عن الأغاني وكل ما هو مهيج للأشواق وجالب للأحزان، فقلوب العشاق رقيقة، وأفئدتهم مرهفة، والأغاني تبري في القلب كبري الخنجر في الوشاح.

ومنها ترك الأماكن التي تشتعل فيها المشاعر، وتستحضر فيها الذكريات، يجب الابتعاد عن كل شيء يقربك إليها إذا توفر ذلك.

ومن أدوية العشق أيضا، شغل النفس بالمعاش وطلب الرزق والالتفات إليها وما يجلب لها النفع. فالطالب يلتفت إلى دروسه، والموظف ينتج أكثر في مقر عمله، والمقصر في واجباته نحو حياته يتدارك نفسه ويهتم بأمر دينه ودنياه. لأن الفراغ هو الذي يستدعي لجج الهوى ويذكّر بالحاجة إلى أليف وعشيق. لذلك تجد أصحاب الحرف لا يشتكون كثيرا من العشق ويتمتعون براحة بال وسعادة حال. لما سألوا المجنون لماذا تعلق قلبك بليلى قال:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فلا تدع للفراغ حيزا من وقتك لأنه الداء العضال والمرض الدفين.

تفت فؤادك الأيام فتا

وتنحت جسمك الساعات نحتا

سجنت بها وأنت لها محب

فكيف تحب ما فيه سجنتا



أروع قصة حب على الشبكة

تدور أحداث هذه القصة في بيت صغير يعيش أهله بسلام وهم عائلة محافظة، ولكن أحداث القصة لم تكن لتختار من أفراد هذه العائلة إلا فتاة قد بلغت السادسة عشر من عمرها، تدعى (نغم).

كانت نغم فتاة محبوبة من جميع صديقاتها، لم تعرف العداوة أبداً في حياتها، عاشت فترة المراهقة في هدوء، كانت ترى صديقاتها كيف يعشن مراهقتهن، هذه تحب للمرة الثالثة، وهذه تعشق ابن الجيران والأخرى متيمة بمن هو في عمر أبيها، ولم تكن لتقتنع بهذا الشيء الذي يدعى حب، كانت كلما قالت لها صديقاتها عن معاناتهن مع أحبابهن تضحك...!!

كانت نغم تعيش عصر الإنترنت، كانت مولعة بالإنترنت وتجلس عليها لساعات وساعات من غير ملل أو كلل بل يكاد أن ينفصل قلبها عن جسمها عندما ينفصل الجهاز عن الإنترنت!!

كانت تحب المواقع المفيدة ومواقع العجائب والغرائب وتجوب أنحاء الإنترنت بحثاً عنها وكانت تحب محادثة صديقاتها عن طريق الإنترنت وتجد في ذلك المتعة أكثر من محادثتهن على الهاتف أو على الطبيعة.

في يوم من الأيام كانت نغم كالعادة تمارس هوايتها المفضلة وتجوب الإنترنت من موقع لموقع وفي نفس الوقت تحادث صديقتها في المدرسة بأحد برامج المحادثات. قالت لها إحدى صديقاتها مرة سأعرفك على فتاة سوف تحبينها للغاية، كانت نغم ترفض محادثة الشباب عن طريق الإنترنت لأنها كانت تعتبر ذلك غير مناسب وخيانة لثقة أهلها بها فوافقت نغم على أن تحادث الفتاة فقد كانت تحب إقامة صداقات مع فتيات من جميع أنحاء العالم وفعلا تعرفت عليها فوجدت فيها الفتاة المهذبة الخلوقة المتدينة، ووثقت بها ثقة عمياء وكانت تحادثها لساعات وساعات لتزداد إعجابا بالفتاة وسلوكها وأدبها الجم وأفكارها الرائعة عن السياسة والدين وكل شيء، رأت فيها الشخص المناسب الذي يتماشى مع فكرها ورأيها. في مرة من المرات بينما كانت تحادثها عن طريق الإنترنت قالت لها هذه الفتاة سأعترف لك بشيء لكن عديني ألا تكرهيني عندها، فقالت نغم على الفور: كيف تتلفظين بلفظ (كره) وأنتي تعرفين مقدار معزتك عندي فأنتي مثل أختي.

قالت لها الفتاة سأقول لك الحقيقة، أنا شاب في العشرين من عمري ولم أكن أقصد خداعك ولكني أعجبت بك جداً ولم أخبرك بالحقيقة لأني عرفت أنك لا تحادثين الشباب ولكني لم أستطع أن أصبر أكثر من ذلك فأنا أحببتك حباً جماً وأشعر بك بكل نفس؟!

وهنا لم تعرف نغم ماذا تفعل فقد أحست أن هناك شيئاً بها قد تغير فهل من المعقول أن كل هذا الأدب والدين والأخلاق هي لشاب في العشرين من عمره.

أحست أن قلبها قد اهتز للمرة الأولى ولكنها أيقظت نفسها بقولها: كيف أحب عن طريق الإنترنت وأنا التي كنت أعارض هذه الطريقة في الحب معارضة تامة؟!

فقالت له: أنا آسفة، أنت مثل أخي فقط، فقال لها : المهم عندي أني أحبك وأن تعتبريني مثل أخيك وهذا أمر يخصك ولكني أحببتك.

انتهت المحادثة هنا . لتحس نغم أن هناك شيئاً قد تغير بها. لقد أحبته نغم، ها قد طرقت سهام الحب قلب نغم من دون استئذان ولكنها لا تحادث أي شاب عن طريق الإنترنت وفي نفس الوقت ترغب بالتحدث إليه فقررت أن تحادثه بطريقة عادية وكأنه فتاة وأن تحبه بقلبها وتكتم حبه فلا تخبره به !!

وتمر الأيام وكل منهما يزداد تعلقاً بالآخر حتى أتى اليوم الذي مرضت فيه نغم مرضاً أقعدها بالفراش لمدة أسبوع وعندما شفيت هرعت للإنترنت كما يهرع الظمآن لشربة ماء لتجد بريدها الإلكتروني مملوء بالرسائل وكلها رسائل شوق وغرام، وعندما حادثته سألها: لماذا تركتيني وهجرتيني، قالت له: كنت مريضة، قال لها: هل تحبيني؟؟ وهنا ضعفت نغم وقالت للمرة الأولى في حياتها : نعم أحبك وأفكر بك كثيرا.

وهنا طار الشاب من الفرحة فأخيراً أحبته حبيبة قلبه وفي نفس الوقت بدأ الصراع في قلب نغم: لقد خنت ثقة أهلي بي لقد غدرت بالإنسان الذي رباني ولم آبه للجهد الذي أفناه من أجلي ومن أجل ألا أخون ثقته فتنهض من سريرها في منتصف الليل لتكتب هذه الكلمات على شكل رسالة بالبريد الإلكتروني:«يشهد الله أني أحببتك وأنك أول حب في حياتي وأنني لم أر منك إلا كل طيب ولكني أحب الله أكثر من أي مخلوق وقد أمر الله ألا يكون هناك علاقة بين الشاب والفتاة قبل الزواج وأنا لا أريد عصيان أمر خالقي

ولا أرغب بخيانة ثقة أهلي بي لذلك قررت أن أقول لك إن هذه الرسالة الأخيرة وقد تعتقد أنني لا أريدك ولكنني ما زلت أحبك وأنا أكتب هذه الكلمات وقلبي يتفطر من الحزن ولكن ليكن أملنا بالله كبيرا ولو أراد الله أن يلتم شملنا لالتم رغم بعد المسافات وأعلم أننا تركنا بعضنا من أجل الله وتذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال إن الذي ترك شيئا لوجه الله أبدله الله بما هو خير.فإن كان لنا أن نلتقي يوما سيحدث بإذن الله. ولا تنساني لأني لن أنساك وأعدك أنك حبي الأول والأخير ومع السلامة».

كتبت نغم هذه الرسالة وبعثتها له وهرعت لسريرها تبكي ألما ووجعاً ولكنها في نفس الوقت مقتنعة بأن ما فعلته هو الصواب.

وتمر السنين وأصبحت نغم في العشرين من عمرها وما زال حب الفتى متربعاً على عرش قلبها بلا منازع رغم محاولة الكثيرين اختراقه ولكن لا فائدة لم تستطع أن تحب غيره وتنتقل نغم للدراسة بالجامعة وهناك في الجامعة كانت تدرس الهندسة وكانت تبعث الجامعة بوفود الطلبة والطالبات إلى أماكن العمل والشركات الكبرى ليتعرفوا على طبيعة عملهم المستقبلي واختارت الجامعة وفدا ليذهب إلى أحد المعارض وكانت نغم ضمن هذا الوفد وأثناء التجول في المعرض توقفوا عند شركة من الشركات التي تعرض منتجاتها وأخذوا يتعرفون على كل منتج.

وتنسى نغم دفتر محاضراتها على الطاولة التي تعرض عليها هذه الشركة منتجاتها فيأخذ الشاب الذي يعمل في هذه الشركة الدفتر ويلحقها به لكنها تضيع عن ناظريه فقرر الاحتفاظ به فربما ترجع صاحبته للسؤال عنه ويجلس الشاب وبيده الدفتر والساعة تشير للحادية عشرة ليلا وقد خلا المعرض من الزبائن وبينما هو الشاب جالس راودته فكرة بأن يتصفح الدفتر ليجد على أحد أوراقه عنوان لبريد إلكتروني ليس بالغريب عليه.

ذهل الشاب من الفرحة وأخذ يقلب صفحاته ليجد اسم نغم فيطير من الفرحة وأخذ يركض ويقفز في أنحاء المعرض ثم يذهب الشاب للبيت ويعجز عن النوم كيف لا وقد عادت نغم لتملأ عليه حياته من جديد وفي صبيحة اليوم التالي يهرع للمعرض أملا في أن تأتي نغم لتأخذ الدفتر وفعلا تأتي نغم لتأخذ الدفتر وعندما رآها كاد أن يسقط من الفرحة فلم يكن يتوقع أن يخفق قلبه لفتاة بهذا الجمال فأعطاها الدفتر وأخذ يتأمل في

ملامحها وهي مندهشة من هذا الشاب فشكرته بلسانها ولكنها في قرارة نفسها كانت تقول عنه أنه أخرق لأنه لم ينزل عينيه عن وجهها!!

وذهبت نغم ليلحقها الشاب إلى بيتها فينتظرها حتى دخلت وأخذ يسأل الجيران عنها وعن أهلها فعلم أنهم أناس محترمون جداً، وابنتهم فتاة طيبة لم تعرف إلا بسمعتها الحسنة، فجاء اليوم التالي ومعه أهله ليخطبها فهو لا يريد أن يضيع لحظة من دون نغم وقد وجدوه أهلها العريس المناسب لابنتهم فهو طيب الأخلاق ومتدين وسمعته حسنة ولكن نغم رفضته كما رفضت من قبله لأن قلبها لم يدق إلا مرة واحدة ولن يخفق مرة أخرى وخاب أمل أهلها وأخبروا الشاب برفض نغم له ولكنه رفض ذلك قائلا: لن أخرج من البيت حتى أتحدث إليها وأمام رغبة الشاب وافق الأهل بشرط أن يتم الحديث أمام ناظريهم.

وجاءت نغم وجلست فقال لها : نغم ، ألم تعرفيني ..فقالت له: ومن أين لي أن أعرفك..؟!؟

قال لها : من التي رفضت التحدث معي حتى لا تخون ثقة أهلها بها؟ عندها أغمي على نغم من هول الصدمة والفرحة فنقلت للمستشفى لتستيقظ وتراه واقفا أمامها، وعندها أدارت وجهها لأبيها قائلة: أنا موافقة يا أبي أنا موافقة، وخطب الإثنان لبعضهما وعاشا أجمل حياة ومن ترك شيئا لوجه الله أعطاه الله ما يستحق.





ملكة الليل

في فناء حديقة المنزل عندما كنا صغارا، كانت هناك شجرة مميزة صغيرة رائعة قريبة من المكان الذي كنا نجلس فيه للسمر. كان كبار السن يطلقون عليها اسم «ملكة الليل» كان لذلك الاسم الجميل المميز صدى في قلب كل من يسمعه، وكأن الكل يريد أن يعرف لماذا سميت تلك الشجرة بـ «ملكة الليل».

لتلك الشجرة سر عجيب، فالشجرة التي نتحدث عنها تبدأ بإرسال عبق لرائحة جميلة عندما يرخي الليل سدوله بعد غروب الشمس مباشرة ولا تتوقف عن إرسال ذلك العبق إلا إذا إنجاب الظلام، لكن الغريب في الأمر إن مصدر الشذا الرائع المنبثق منها لا يمكن تحديده بالضبط، تقترب من الزهر فلا تجد شيئا، تقترب من الورق فلا تجد شيئا، تدخل رأسك بين الغصون فلا تجد أثرا لتك الرائحة، تهزها بيأس كي تحصل على دليل لمصدر تلك الرائحة الحسنة فلا تجد شيئا. هكذا وكأن الرائحة عطر يسقط من السماء على موقع الشجرة في ذلك الوقت!

ليس هذا فحسب، بل إن تلك الرائحة مميزة لا مثيل لها بين العطور، تعانق الأنوف، وتأسر الألباب، وكأنها شذا قد تسرب من الجنة ينزل باستحياء إلى الأرض.

انظر إلى وصف هذه الشجرة عند علماء النبات لتجد التميز حتى في الصفات. يقول عنها دليل المزارع، هي شجيرة مستديمة الخضرة يصل ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار وذات تفرع كثيف من القاعدة. لها أوراق بسيطة متبادلة رمحية الشكل، ولها أزهار بيضاء اللون. ذات رائحة زكية، ومعدل نمو الشجيرة سريع. تنمو الشجرة بصورة جيدة تحت الظروف البيئية الشديدة وتتحمل بدرجة جيدة العوامل البيئية القاسية من حيث ارتفاع درجة الحرارة إلى ٤٥ درجة مئوية، كما لها درجة تحمل جيدة للجفاف والرياح!

لم يخطىء أبدا من اختار لها تلك التسمية فهي فعلا «ملكة الليل». فكرت إن كان في بني البشر شبيها بتلك الشجرة فوجدت ذلك. فهناك أشخاص تقابلهم في مراحل حياتك المختلفة في شتى مراحل عمرك البسيط، تحبهم ولا تعرف لماذا أنت تحبهم، تجد قبولا وسطوة لسلطانهم عليك ولا تعرف

لماذا، هناك جمال وجاذبية تشع منهم، لا تعرف مصدر تلك الجاذبية. قد لا يكون هناك شجر في الجمال، أو روعة في الملاحة تميزهم عن غيرهم، لكن ثمة هناك مغناطيسية شديدة تجذبك إليهم لا تستطيع تحديدها. صفاتهم أشبه بصفات «ملكة الليل» المذكورة إلا أنهم بشر بجسد وروح. مهما حاولت أن تكتشف مصدر جاذبيتهم فلن تستطيع لأنك كالذي يبحث عن مصدر عبق الرائحة الجميلة المنبثقة من شجرة «ملكة الليل».

تأمل كل من حولك، فإذا لم تجد في الأنام ممن هم في دائرتك شبيه بشجرة «ملكة الليل»، فربما تكون أنت نفسك «ملكة الليل»!

مأثورات في الحب

❋ الذي يخاف الحب أرق من الذي يخافه.

❋ الحب الحقيقي: هو أن تحب الشخص الوحيد القادر على أن يجعلك تعيسا.

❋ أجمل ما في الدنيا: الحب والرغيف والحرية.

❋ الإهمال يقتل الحب، والنسيان يدفنه.

❋ الحب لا يقتل أحدا إنما يعلقه بين الحياة والموت.

❋ الحب سلطان ولذلك فهو فوق القانون.

❋ أنت لا تعرف قلبك حتى تفشل في الحب.

❋ الحب كالقمر له وجهان: الغيرة هي الوجه المظلم.

❋ الحب يقضي على الكثير من الآلام لأنه أعظمها.

❋ أن تحب: صدفة. أن تستمر: هذه إرادتك.

❋ الأعمال أعلى صوتا من الكلام ـ إلا في الحب.

❋ الدموع تروي الحب والبسمات تنعشه.

❋ الحب كالمعدة القوية يهضم أي طعام وأي كلام.

❋ الحب ليس هلوسة ولكن فيه الكثير منها.

❋ الحب يجعل الزمن يمضي والزمن يجعل الحب يمضي.

❋ الحب أن تفنى في شيء والموت أن يفنى فيك شيء.

❋ الحب الحقيقي هو الذي تحس به بعد فوات الأوان.

❋ الذين أحبوا بقوة، لم يحبوا من أول نظرة.

❋ الحب يجعل الإنسان العادي شاعرا، والشاعر مجنونا.

❋ الحب هو أن تبالغ في قيمة من تعرف، والغيرة هي أن تبالغ في قيمة من لا تعرف.

❋ الإخلاص في الحب ليس إلا كسلا في النظر إلى إنسان آخر!

❋ المحب لا يجوع. والجائع لا يحب.

❋ الحب والحرب ندخلهما عندما نريد، ولكن نهرب منهما عندما نستطيع.

* الذي يحب يصدق كل شيء أو لا يصدق أي شيء.
* الحب بئر عميق اشرب منها فقط واحترس من أن تقع بها.
* الذي يحبك بقسوة إنما يكرهك برفق.
* الحب يولد في العزلة والكراهية تولد بين الناس.
* الحب ليس أعمى ولكنه مصاب ببعد النظر فهو لا يدرك الأخطاء إلا عندما يبتعد.
* الندم لمن عرفوا الحب والأسف للذين لم يعرفوه.
* القبلة اتفاقية صامتة بعدها نلقي السلاح.
* اللعبة الوحيدة التي يشترك فيها اثنان ويكسب فيها اثنان أو يخسرا معا..الحب.
* الحب هو أجمل سوء تقدير بين اثنين.
* الحب كالحرب من السهل أن تشعلها..ومن الصعب أن تخمدها.
* ثلاثة لا يمكن أن نخفيها: الجمل وراكب الجمل والحب.
* بالحب لا نعقل وبالعقل لا نحب.
* بالقلب نحب .. وبالعقل نكره .. بالاثنين نصاب بالجنون.
* بداية الحب نهاية العقل.
* بذور الحب تنمو على مهل، أما الثمار فبسرعة.
* حب تطارده جميل، حب يطاردك أجمل.
* روح المحب تعيش في جسم من يحب.
* حبنا لشخص لجماله ليس حبا، ولكن عندما نحبه رغم عيوبه، فهذا هو الحب بكل تأكيد.
* عندما نريد الحب لا يجيء ، عندما يجيء لا نريده.
* عقوبة من يحب كثيرا، أن يحب دائما.
* في طريقنا على القلب يجب أن نمر بباب له شفتان.
* في الليل وفي الحب يصاب الناس بعمى الألوان.
* في الحب ننسى كرامتنا، وفي الغيرة ننسى الحب.
* في الحب خطابات نبعث بها وأخرى نمزقها وأجمل الخطابات هي التي لا نكتبها.



❋ قد يولد الحب بكلمة ولكنه لا يموت أبدا بكلمة.

❋ ليس الحب هو الذي يعذبنا، ولكن من نحب.

❋ لا أحبك لأنك مصدر راحتي وإنما أحب راحتي لأنك مصدرها.

❋ ندين للحب بحياتنا، وبموتنا أيضا.

❋ من يحب..يحب إلى الأبد.

❋ الحب أعمى.

❋ الحب وردة والمرأة شوكتها.

❋ يضاعف الحب من رقة الرجل ، ويضعف من رقة المرأة.

❋ الحب يضعف التهذيب في المرأة ويقويه في الرجل.

❋ الحب مبارزة تخرج منها المرأة منتصرة إذا أرادت.

❋ الحب للمرأة كالرحيق للزهرة.

❋ الحب عند الرجل مرض خطير، وعند المرأة فضيلة كبرى.

❋ الحب أنانية اثنين.

❋ الحب المجنون يجعل الناس وحوشاً.

❋ ما الحب إلا جنون.

❋ الحب ربيع المرأة وخريف الرجل.

❋ الحب يرى الورود بلا أشواك.

❋ العشق مرض ليس فيه أجر ولا عوض.

❋ الحب يستأذن المرأة في أن يدخل قلبها، وأما الرجل فإنه يقتحم قلبه دون استئذان.

❋ إذا أحبت المرأة فعلت كثيراً، وتكلمت قليلاً.

❋ الحب أعمى والمحبون لا يرون الحماقة التي يقترفون.

❋ الحب نار تشوي قلب الرجل لتأكله المرأة.

❋ إذا شكا لك شاب من قسوة امرأة، فاعلم أن قلبه بين يديها.

❋ الحب دمعة وابتسامة.

❋ يعجبها مني أن أحبها ، ويطربها أن أشقى في سبيلها.

* إذا كنت تحب امـرأة فـلا تقل لهـا «أنـا أحـبك ، إن هذه العبـارة أوّل مـا تجعل المرأة تفكر في السيطرة عليك».

* إذا سـمعت أن امـرأة أحبت رجـلاً فقـيرا، فـاعلم أنها مـجنونة، أو اذهب إلى طبيب الأذن لتتأكد من أنك تسمع جيداً.

* ما أقـوى الحب، فـهـو يجعل من الوحش إنسـاناً، وحيناً يجـعل الإنسان وحشاً.

* الحب لا يعرف أي قانون.

*الحب وهم يصوّر لك أن امرأة ما تختلف عن الأخريات.

* الحب هو الأكثر عذوبة والأكثر مرارة.

* الحب امرأة ورجل وحرمان.

* كلّما ازداد حبنا تضاعف خوفنا من الإساءة إلى من نحب.

* خير لنا أن نحب فنخفق ، من ألا نحب أبداً.

* يصعب أن نكره من أحببناه كثيراً.

* نتائج الحب غير متوقعة.

* إذا أحب الرجل امـرأة سقـاها من كـأس حنانه ، وإذا أحبت المرأة رجـلاً أظمأته دائماً إلى شفتيها.

* الحب هو تاريخ المرأة وليس إلا حادثاً عابراً في حياة الرجل.

* الحب يدخل الرجل عبر العينين، ويدخل المرأة عبر الأذنين.

* الرجال يموتون من الحب ، والنساء يحيين به.

* الغيرة هي الطاغية في مملكة الحب.

* رؤية الحبيب جلاء العين.

* المرأة لغز ، مفتاحه كلمة واحدة هي: الحب.

* المرأة بلا محبة امرأة ميتة.

* ليس بالحب إلا ما نتخيله.

* الحب زهرة ناضـرة لا يـفـوح أريجـهـا إلا إذا تسـاقطت عليـهـا قطرات الدموع.

* الحب أقوى العواطف لأنه أكثرها تركيباً.



❋ الحب هو الدموع، أن تبكي يعني أنك تحب.

❋ وجد الحب لسعادة القليلين، ولشقاء الكثيرين.

❋ الحب سعادة ترتعش.

❋ إن الحب يهبط على المرأة في لحظة سكون، مملوءة بالشك والإعجاب.

❋ إن الحب هو الذي يجعل الشيخوخة على مسافة كبيرة من المرأة.

❋ يدوم جمال المرأة، مادام الرجل يحبها.

❋ مهما كانت المرأة جاهلة فإنها تعرف عن الحب أكثر مما يعرفه أعلم العلماء.

❋ لا تقل أحبها لكذا بل قل أحبها رغم كذا .. وكذا .. وكذا!!!

❋ الحب يستأذن المرأة في أن يدخل قلبها ..وأما مع الرجل فإنه يقتحم قلبه دون استئذان.

❋ في الزواج: هي تتمنى أن تكون الأخيرة في حياته، وهو يتمنى أن يكون الأول.

❋ كل عقل الرجل لا يساوي عاطفة من عواطف المرأة.

❋ الحياء والصمت أجمل زينات المرأة.

❋ وجه المرأة مرآة صافية لما يدور في أعماقها.

❋ كلما قل عقل المرأة قصر ثوبها.

❋ الصداقة هي الحب مجرداً من اجنحتة!

❋ قد تنمو الصداقة فتصبح حباً ولكن الحب لا يتراجع ليصبح صداقة!

❋ الحب يوجب شوقاً، والشوق يوجب أنساً، فمن فقد الشوق والأنس، فليعلم انه غير محب.

❋ علامة الحب: أن تقبل على حبيبك عند إقباله عليك، وإدباره عنك.

❋ الحب الطاهر الشريف يبقى مابقي الحب، والحب ذو الغرض ينقضي بانقضائه.

❋ إن المرأة لا تهزأ من الحب، ولا تسخر من الوفاء إلا بعد أن يخيب الرجل آمالها.

❋ المرأة التي تفقد حبيبها: امرأة أحبت، والمرأة التي تحتفظ بحبيبها امرأة أتقنت فن الحب.

❋ عندما تنام كل العيون ، تظل عيون الحب وحدها ساهرة.

❋ أبلغ حديث: الصمت في الحب.

❋ الشباب يدوم ساعة، والجمال عمره كعمر الزهور، أما الحب فذلك هو الجوهرة التي تومض إلى الأبد.

❋ الحب لا يعرف كلمة «لا» .

❋ ربما كان من الخير أن تحب بعقل وروية، ولكن من الممتع حقاً أن تحب بجنون.

❋ الحب شعلة نار تدخل النفوس فتشعلها، ويظهر لمعانها من خلال العيون.

❋ ليس للدهر سلطان على الحب.

❋ عتاب المحبين كمطر الصيف ، يمضي سريعاً

، ويترك الدنيا أكثر نضارةً وجمالاً.

❋ الحب الذي ينتهي ليس حباً حقيقياً.

❋ الحب استمرارية ونقاء، والكراهية موت وشقاء.

❋ الحب أشد أنواع السحر فعالية.

❋ لا يمكن أن يكون الحب صادقا إلا إذا كان متبادلا.

❋ دوام الحب في مراعاة الأدب.

❋ خلافات العشاق تجديد للحب.

❋ نحن نغفر ما دمنا نحب.

❋ من يحب الشجرة يحب الأغصان.

❋ الحب والسعال لا يمكن إخفاؤهما.

المراجـع

١ ـ مشكلة الحب د. زكريا إبراهيم.

٢ ـ الحب العذرى د. كامل الشيي.

٣ ـ كتاب الرسائل محمود عطوي.

٤ ـ أحدث الرسائل العصرية إعداد/ لجنة من المتخصصين.

٥ ـ تاريخ الحب ورسائله الخالدة إبراهيم المصري.

٦ ـ الصداقة والحب يوسف ميخائيل أسعد.

٧ ـ الحب من أول نظرة يوسف ميخائيل أسعد.

٨ ـ أروع ماكتب من الرسائل إميل ناصيف.

٩ ـ فن الهوى: كيف تحب وكيف تكون محبوبا رياض المندراوي.

١٠ـ الحب في الأندلس د.جودت مدلج.

١١ـ الشبكة الإسلامية «آدم وحواء في واحة الحب»hhtp://www.islamweb.net

١٢ـ قصص عربية: "الحب يأتي متأخرا " http://arabicstory.net

١٣ـ موقع البلاغ .www.balagh.com

١٤ـ مجلة أسرتي "أسريات" العدد ١٠٩ .

١٥ـ الرجال من الزهرة النساء من المريخ د.جون غراي ترجمة: د.حمود الشريف مكتبة جرير .

١٦ـ إذا كان الحب لعبة، فهذه هي قوانينها د. شيري كارتر سكوت.

١٧ـ طوق الحمامة ابن حزم.

١٨ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن قيم الجوزية.

١٩ـ ذم الهوى ابن الجوزى.

٢٠ـ "مموزين" دكتور محمد سعيد البوطي.

٢١ـ سؤال $ الحب د. فوزية الدريع ج٣ .

٢٢ـ أسرار الحب د. محمد إسماعيل على.

٢٣ـ اعترافات عشاق مصطفى محمود.

تم بحمد الله